

۲۱۲۹۳	داغی نمبر
۴۹	فن نمبر
۳۱	قمار نمبر

جواهر الأدب

يشتمل على مختارات نفيسة من المنظوم والمنثور
لمشاهير الشعراء وبلغاء الكتاب

الجزء الثالث

جمعه ونقحه المطبوعة . بستان



طبعة سادسة

بيروت

مكتبة صادر

« جميع الحقوق محفوظة »

المقدمة

هذا الجزء الثالث من هذه السلسلة النفيسة توفه الى طالاب العربية على اسلوب انيق يروي غلة المتأدين ويسد ثلثة واسعة في الكتب الادبية المتداولة لهذا العهد بين ايدي الاحداث لما اشتمل عليه من غرر المعاني ودرر المباني في اغلب ابواب الانشاء مما يرسخ في اذهان المتخرجين ملكة الكتابة وينثني³ فيهم سلامة الذوق وحسن الاختيار ويمهد لافكارهم التوسع في جميع المواضيع الاجتماعية والادبية والاخلاقية الى ما هنالك مما يستخرجونه من مواده الغزيرة وفصوله السديدة ومقالاته الرائقة المختارة عن انبغ الكتاب واشهر حملة الاقلام في كل عصر

ولا نرتاب في ان ابناء التحصيل قد عثروا في هذا السفر المفيد على بغيتهم المرصودة حتى اقبلوا عليه كما اقبلوا على شقيقه من قبله مما انساني العناء الذي تجشمنه في سبيل وضعه على ذلك النمط المحكم . ولا نخال ارباب المعاهد والاساتذة الكرام الا مرتاحين الى الفصول الادبية العديدة التي اودعناها في باب الفضائل والنقائص مما تحلو منتخبات الادب والتخريج عن اكثره ولا سيما التي بين ايدي التلامذة وقد التقطناها من مواطن جمة فنظمنا تلك الدرر المنثورة في اضعاف الكتب كل درة في عقدها حتى تألف منها ذلك المجموع الرائع . وانما غرضنا من ذلك ان نوفر للطلاب مواد التهذيب وننمي في بصائرهم الافكار السامية والمبادئ العالية التي تبصرهم مواقع الامور وتقيم العاثرات في معترك العمل وتصونهم من الاختباط في دياجي الزلل وتقصيهم عن الشوائب الشائنة التي تعلق في طباع الاغرار واخلاق القروغا ممن لم تكحل ابصارهم بانوار المعارف والاداب الى ما هنالك من الفوائد الاثيرة التي يلحق بابناء العصر ان يتحلوا بها قبل الاستهداف لنبال الاجتماع . والله الرشيد الى مناهج الصواب ومناجي السداد

الباب الاول

في العلم والادب



الفصل الأول

في منافع العقل وأضرار الجهل

قَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : الْعَقْلُ وَزِيْدُ رَشِيْدٍ وَظَهِيْرٌ ^(١) شَدِيْدٌ .
مَنْ أَطَاعَهُ نَجَّاهُ وَمَنْ عَصَاهُ أَرَدَاهُ ^(٢)

وَقَالَ سَعِيْدُ بْنُ جُبَيْرٍ : لَمْ تَرَ عَيْنَايَ أَفْضَلَ مِنْ عَقْلٍ يَتَرَدَّى
بِهِ الرَّجُلُ . إِنْ أَنْكَرَ جَبْرَهُ ، وَإِنْ صُرِعَ أَنْعَشَهُ ، وَإِنْ ذَلَّ
أَعَزَّهُ ، وَإِنْ أَعْوَجَّ أَقَامَهُ ، وَإِنْ عَثَرَ أَقَالَهُ ، وَإِنْ أَفْتَقَرَ أَغْنَاهُ ، وَإِنْ
عَرِيَ كَسَاهُ ، وَإِنْ غَوَى أَرْشَدَهُ ، وَإِنْ خَافَ أَمَنَهُ ، وَإِنْ حَزَنَ
أَفْرَجَهُ ، وَإِنْ أَقَامَ بَيْنَ أَظْهَرِ الْقَوْمِ ^(٣) اغْتَبَطُوا بِهِ ، وَإِنْ غَابَ
عَنْهُمْ أَسَفُوا عَلَيْهِ

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيُّ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَذِّبَ عَالِمًا فَاقْرَأْ

(١) معين (٢) اهلكه (٣) اي في وسطهم

يَهْ جَاهِلًا . وَقَالَ آخَرُ : مُجَالَسَةُ الْجَاهِلِ مَرَضٌ لِلْعَاقِلِ .
 وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ قُتَيْبَةَ : لَا تَطْلُبْ حَاجَتَكَ إِلَى أَحَقِّ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ
 أَنْ يَنْقَمَكَ فَيُضِرَّكَ . فَسُكُونُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ ، وَبُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ ،
 وَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْأَحَقُّ ضَالٌّ مُضِلٌّ ، إِنْ أُوْسِ تَكَبَّرَ ، وَإِنْ
 أَوْحَشَ تَكَدَّرَ . مُجَالَسَتُهُ تَضُرُّ وَمَوَالَاتُهُ تَعُورُ

وَقَالَ آخَرُ : الْأَحَقُّ إِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ ، وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ ^(١) ،
 وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِ نَزَلَ ، وَإِنْ حِيلَ عَلَى بَاطِلٍ فَعَلَ . وَمِنْ
 عَلَامَاتِهِ الْغَضَبُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ
 وَالْتِمَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَأَنْ لَا يَعْرِفَ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ

وَقِيلَ : الْعَاقِلُ مَنْ ذَادَ ^(٢) عَنْ مَرَاتِعِ ^(٣) الْهَوَى نَفْسَهُ
 وَكَفَمَهَا عَنْ شَهَوَاتِ تَقَرَّبُ إِلَيْهِ دَمَسَهُ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ ^(٤) بِهِ إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مِنْ يُدَاوِيهَا
 وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ :

إِتَّقِ الْأَحَقَّ وَأَحْذَرْ وَدَّهُ إِنَّمَا الْأَحَقُّ كَالثَّوْبِ الْخَلْقِ ^(٥)

(١) وهم وغلط (٢) دفع (٣) جمع مرتع وهو المرعى (٤) يقال

استطب لدائه دواء من فلان اذا سأله ان يصفه له (٥) البالي

كُلَّمَا رَفَعْتَ مِنْهُ جَانِبًا زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ وَهَنَا فَأَنْخَرَتْ
 أَوْ كَصَدْعٍ^(١) فِي زُجَاجٍ فَاحِشٍ هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَرْتَقِي
 فَإِذَا عَاتَبْتَهُ كُنِيَ يَرْعَوِي زَادَ شَرًّا وَمَتَادَى فِي الْحَقِّ
 وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : إِذَا كَانَ الْعَقْلُ فِي النَّفْسِ اللَّيْمَةِ كَانَ
 بِمِثْلِ الشَّجَرَةِ الْكَرِيمَةِ فِي الْأَرْضِ الذَّمِيمَةِ ، يُنْتَفَعُ بِشَرِّهَا عَلَى
 خَبَثِ الْمَغْرَسِ . فَاجْتَنِبْ ثَمَرَ الْعَقْلِ وَإِنْ آتَاكَ مِنْ لِيَامِ الْأَنْفُسِ .
 قِيلَ لِأَتَوْشِرْ وَأَنْ : أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالسَّعَادَةِ . قَالَ : أَنْقَضُهُمْ
 ذُنُوبًا . قِيلَ : فَمَنْ أَنْقَضَهُمْ ذُنُوبًا . قَالَ : أَتَمَّهُمْ عَقْلًا

الفصل الثاني

في دلائل العقل

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ . فَإِذَا
 أَرَادَ الْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ .
 وَقَلْبُ الْأَخْقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ . وَقَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : الْعَاقِلُ الْكَرِيمُ صَدِيقُ كُلِّ أَحَدٍ ، وَالْجَاهِلُ
 اللَّيْمُ عَدُوُّ كُلِّ أَحَدٍ

(١) الصدع الشق في شيء صلب

وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : يَلْبِغِي لِلْعَاقِلِ الْحَكِيمِ أَنْ يَدَعَ الْإِنْسَانَ
مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَإِلَّا يُعَذِّبْ جَاهِلًا . كَرُّ جُلٍّ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ السُّنَنُ
فِي الْبَرِّ وَالْعَجَلِ ^(١) فِي الْبَحْرِ ، وَذَلِكَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ الْجَهْلِ : مَنْ غَضِبَ
عَلَى مَا لَا يُرْضِيهِ ، وَجَلَسَ إِلَى مَنْ لَا يُذْنِبُهُ ^(٢) وَتَفَاقَرَ ^(٣) إِلَى
مَنْ لَا يُغْنِيهِ ، وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : الْجَاهِلُ يَظْلِمُ مَنْ خَالَطَهُ وَيَعْتَدِي عَلَى
مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَيَتَطَاوَلُ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ، وَيَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ .
وَإِنْ رَأَى مَكْرَمَةً أَعْرَضَ عَنْهَا ، وَإِنْ عَرَضَتْ فِتْنَةٌ أَرْدَنَتْهَا ^(٤)
وَتَهَوَّرَ فِيهَا

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : الْعَاقِلُ لَا تُبْطِرُهُ الْمَنْزِلَةُ أَلْسِنَةً .
كَالْجَبَلِ لَا يَتَزَعَزَعُ وَإِنْ أَشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ . وَالْجَاهِلُ تُبْطِرُهُ
أَذْنَى مَنْزِلَةٍ كَالْحَشِيشِ يُحَرِّكُهُ أَذْنَى رِيحٍ

وَقَالَ سَهْلٌ : الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَعِينِي بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلٌّ
جَلَالُهُ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ : إِذَا عَقَلْتَ عَقْلَكَ ^(٥) عَمَّا لَا يَنْبَغِي
فَأَنْتَ عَاقِلٌ . وَقَالَ آخَرُ : الْعَاقِلُ يَبْقَى مَالُهُ بِسُلْطَانِهِ وَنَفْسُهُ بِمَالِهِ

(١) جمع العجلة وهي الآلة التي يحركها الثور محمولاً عليها الاتقال (٢) يقربه

(٣) تظاهر بالفقر (٤) أهلكته (٥) أي قيدك وحبسك ومنعك

وَدِينَهُ بِنَفْسِهِ

وَقِيلَ لِلْعَلِيِّ: صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ . قَالَ : هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ
مَوْضِعَهُ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : مَسَّ بِكَ مِنْ عَقْلِكَ .
قَالَ مَا دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا خَرَجْتُ مِنْهُ . فَقَالَ : وَلَكِنِّي
مَا دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ قَطُّ وَأَرِيدُ الْخُرُوجَ مِنْهُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : الْعَقْلُ النَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ . وَقَالَ
آخَرُ : الْعَاقِلُ مَنْ لَهُ رَقِيبٌ عَلَى جَمِيعِ شَهَوَاتِهِ . وَقَالَ آخَرُ .
الْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَ نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْمَحَارِمِ ^(١)

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي شَرَفِ الْعِلْمِ

قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءَ : أَفْضَلُ مَا آمَنَ بِهِ الْحَقُّ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ
الْعِلْمُ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْعَقْلَ وَيَسْحَدُ الذِّهْنَ وَيُخَيِّ الْقَلْبَ ، وَيُمَتِّعُ
فِي الْخُلُوةِ وَيُوْنِسُ فِي الْوُحْشَةِ ، وَتَصِلُ لَذَّتُهُ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ
سَامَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَقَلُّ النَّاسِ قِيَمَةَ أَقْلِهِمْ عِلْمًا

(١) المحارم ما يحصى من كل شيء وما حرمه الله تعالى

وَقَالَ أَيْضًا : كَفَى بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ يَدْعِيَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ
وَيَفْرَحَ بِهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ . وَكَفَى بِالْجَلِّ ضَعْفًا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ
مَنْ هُوَ فِيهِ ، وَيَفْضُبَ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

الْعِلْمُ يَرْفَعُ يَتَا لَا عِمَادَ لَهُ

وَالْجَلُّ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : مَنْ خَلَا بِالْعِلْمِ لَمْ تُوحِشْهُ الْخَلْوَةُ ،
وَمَنْ تَسَلَّى بِالْكَتُبِ لَمْ تَفْتَقِ السَّلْوَةُ
وَمَا يُنْسَبُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

مَا أَتَفَخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى ^(١) أَدِلًّا
وَقَدَّرُ كُلَّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
قَفَرُ يَعْلَمُ تَعِشَ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : كُلُّ عِزٍّ لَمْ يُوطَّدْ يَعْلَمُ فَإِلَى ذَلِكَ
مَا يَصِيرُ ^(٢)

وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ عَبْدُ الْأَطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ : أَعْلَمُ أَنْ لِلْعِلْمِ
عَبَقًا ^(٣) وَعَرَفًا ^(٤) يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ ، وَنُورًا أَوْضَاءَ يُشْرِقُ عَلَيْهِ

(١) طلب الهدى (٢) أي آخرته الذل (٣) العبق انتشار الرائحة

(٤) العرف الريح الطيبة

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ . كِتَابُكَ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ وَلَا تُجْهَلُ بِضَاعَتُهُ .
وَكُنْ يَمِشِي بِمَشَلٍ ^(١) فِي لَيْلٍ مُدَلِّهِمْ ^(٢) . وَالْعَالِمُ مَعَ هَذَا
مُحْبُوبٌ أَيْنَمَا كَانَ وَكَيْفَمَا كَانَ . لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ وَيُؤْوِزُ
قُرْبَهُ وَيَأْنَسُ بِهِ وَيَرْتَاحُ بِمُدَانَاتِهِ ^(٣)

الْفَصْلُ الرَّابِعُ فِي الْحُضْرِ عَلَى الْعِلْمِ .

قَالَ بُرْزُجْهَرُ : مِنْ الْعِلْمِ . أَلَا تَحْزِرُ شَيْئًا مِنْ الْعِلْمِ . وَمِنْ
الْعِلْمِ تَفْضِيلُ جَمِيعِ الْعِلْمِ .
وَقَالَ سُفْرَاطُ : تَعْلَمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَتَأَلَّوْا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا
حِطًّا فَلَنْ يُدَمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُدَمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ .
وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى تَعْلَمِ الْعِلْمِ وَتَعَمُّهِ صَبَرَ عَلَى شَقَاءِ الْجَهْلِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَذْخِرْ غَيْرَ الْعُلُوِّ مِ فَإِنَّهَا نِعَمُ الدَّخَائِرِ
فَالْمَرَّةَ لَوْ رَجَعَ الْبَقَا مَعَ الْجَهْلَةِ كَانَ خَاسِرًا
وَقَالَ آخَرُ :

جَهْلُ الْفَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُؤْلُهُ ^(٤) عَارٌ عَلَى الْآيَامِ .

(١) بقنديل (٢) مشتد الظلام (٣) بمقارنته (٤) خفاؤه وسقوطه

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَا تَتَّبِعْ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ مَنَّاكَ
وَأَسْتَحْيَاكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي صَنْعِكَ . فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ خِدَاعِ
الْجَهْلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ . وَلَآنَ تَكُونُ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوَّلَى مِنْ أَنْ
تَكُونُ شَيْخًا جَاهِلًا

ذُكِرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِي دَخَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ
يَتَكَلَّمُونَ فِي أَلْفِهِ . فَقَالَ . يَا عَمَّ مَا عِنْدَكَ فِي مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْنَا فِي الصَّغَرِ وَأَسْتَفَلْنَا فِي الْكِبَرِ .
فَقَالَ : لِمَ لَا تَتَعَلَّمُ الْيَوْمَ . قَالَ : أَوْ يَحْسُنُ بِمِثْلِي طَلَبُ الْعِلْمِ .
قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَآنَ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعِيشَ قَانِعًا
بِالْجَهْلِ . قَالَ . وَإِلَى مَتَى يَحْسُنُ بِي طَلَبُ الْعِلْمِ . قَالَ : مَا حَسُنَتْ
بِكَ الْحَيَاةُ

الفصل الخامس

فِي آفَاتِ الْعِلْمِ

قَالَ أَحَدُ الْفَصَحَاءِ : مَنْ أَخَذَ مِنَ الْعِلْمِ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ
مَا تَعَدَّرَ ، كَانَ كَالْفَتَّاصِ إِذَا امْتَمَّ عَلَيْهِ الصَّيْدَ تَرَكَهُ ، فَلَا يَرْجِعُ
إِلَّا خَائِبًا ، إِذْ لَيْسَ يَرَى الصَّيْدَ إِلَّا مُتَمِّعًا . كَذَلِكَ الْعِلْمُ كُلُّهُ صَبْرٌ
وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ : يَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَلَّا يَخْوُضَ
فِي فَنٍّ حَتَّى يَتَأَوَّلَ مِنَ الْفَنِّ الَّذِي قَبْلَهُ عَلَى التَّرْتِيبِ بِعَدَرٍ حَاجَتِهِ ،

وَأَنْ يُقَدِّمَ الْأَهَمَّ فالأهم يغير إخلال في الترتيب (إذا كان
مُعَلِّماً يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَسِّنَ إلقاءَ الدرسِ وَتَقْوِيمَهُ لِمُعْتَمِلِينَ وَلَا
يُلْقِي عَلَيْهِمْ مَا لَا يُنَاسِبُهُمْ مِنَ الْمَشْكَلَاتِ بَلْ يَدْرِجُهُمْ وَيَأْخُذُهُمْ
بِالْأَهْوَنِ فالأهون إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق ، فحينئذ
يَدْخُلُ بِهِمْ فِي غَوَامِضِ الْعِلْمِ وَيَخُوضُ بِهِمْ عُسَابَهُ الزَّائِرَ .
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَدِمُوا الْوُصُولَ لِتَرْكِهِمْ هَذِهِ الْأُصُولَ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَبْلَغَاءِ : إِنَّ الْعُلُومَ تَوَافُرُ تَبَدُّلٌ^(١) عَنِ الْأَذْهَانِ .
فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا حِمَاةً وَالْأَقْلَامَ هَامَا رُعَاةً

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : رَبَّمَا اسْتَقْبَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ
وَأَتَكَلَّ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعْنَى عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا
عِنْدَ الْحَاجَةِ . فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ
بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ . فَلَا تُعْقِبُهُ الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا
تَدَمًّا . وَهَذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : إِمَّا الضَّجْرُ
مِنْ مُعَانَاةٍ^(٢) الْحِفْظِ ، أَوْ طَوْلُ الْأَمَلِ فِي التَّوَقُّرِ^(٣) عَلَيْهِ عِنْدَ
نَشَاطِهِ أَوْ فِسَادُ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ

كَانَ حَمَزَةٌ مِنْ خُطْبَاءِ الْعَرَبِ وَعُلَمَاءِ زَمَانِهِ . ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ
فِي الْقَصَاحَةِ وَطَوْلِ الْعُمُرِ . فَسَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا : يَمُ نِلْتَ الْعِلْمَ .

(١) تنفر (٢) مقاساة وتحمل (٣) من توفر على الشيء اذا صرف همهته اليه

قَالَ : يَلْسَانُهُ سَوُولٌ وَقَلْبُهُ عَقُولٌ ^(١)

الْفَصْلُ السَّادِسُ

فِي آدَابِ التَّعَلُّمِ وَأَخْلَاقِهِ

قَالَ الْخَلِيلُ : الْعُلُومُ أَقْصَالُ وَالْأَسْئَلَةُ مَقَاتِيحُهَا . وَقَالَ
آخَرُ : مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعْ لِلْعِلْمِ لَمْ يَنْلَهُ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا يَسْتَكْفِ الْمَرْءُ أَنْ يَتَعَلَّمَ
مَا لَيْسَ عِنْدَهُ . وَإِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ لَا أَعْلَمُ
وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ : يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِضَ خَوَاطِرَكَ
عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيْفِهِمْ ، وَتَتَشَبَّهَ وَلَا تَعَجَلَ وَلَا تُعْجَبَ .
فَمَعَ الْعُجْبِ الْعِتَارُ وَمَعَ الْإِسْتِبدَادِ الزَّلَلُ . وَمَنْ لَمْ يَغْرِقْ جَيْئُهُ
إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَغْرِقْ ^(٢) فِي الْفَضِيلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ أَلَمَ
التَّعَلُّمِ لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ ^(٣) لَمْ يُفْلِحْ
وَقَالَ أَحَدُ الْفُصَحَاءِ : التَّوَاضُّعُ وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ مِنْ أَحْسَنِ
أَخْلَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ . لِأَنَّ التَّوَاضُّعَ عَطُوفٌ ^(٤) وَالْعُجْبَ مُنْغَرٌّ .
وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالْعُلَمَاءِ أَقْبَحُ . لِأَنَّ النَّاسَ يَهْتَدُونَ

(١) القول القاهم المدرك للأمور (٢) لم تمتد عروقه أي اصوله (٣) يكدح

ويجهد نفسه بالعمل (٤) أي يعطف الناس ويعلمهم إلى صاحبه والعجب ينفرهم منه

وَقَالَ آخَرُ : كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِرَأْيِهِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : قَلْبًا تَجِدُ بِالْعِلْمِ مُعْجَبًا وَيَمَا أَدْرَكَ
 مُفْتَخِرًا إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ مُقِلًا وَمُقَصِّرًا . فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِيهِ وَجِيهًا
 وَمِنْهُ مُسْتَكْثَرًا ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ بُعْدِ غَايَتِهِ وَالْعَجَزِ عَنْ إِدْرَاكِ نَهَايَتِهِ ،
 مَا يَصُدُّهُ عَنِ الْعُجْبِ بِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : مَنْ أَلِمْهُ أَلَا تَتَكَلَّمُ فِي مَا لَا تَعْلَمُ
 بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمُ . فَصَبَّكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَقْهَمُ .
 وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِالْعِلْمِ سَبِيلٌ فَلَا
 عَارَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي جَهْلِ بَعْضِهِ عَارٌ
 لَمْ يَقْبَحْ بِهِ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ فِي مَا لَيْسَ يَعْلَمُ

وَقَالَ آخَرُ : لَا تَصْرِفْ نَظْرَكَ إِلَى مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَالِ .
 بَلْ أَصْرِفْهُ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ عَوَاقِبَ
 الْعُجْبِ

وَلِلَّهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنْ أَمْرًا لَطِيفَ الطَّبَاعِ حَكِيمَ الْكَلِمِ
 يَمُوتُ وَمَا حَصَلَتْ نَفْسُهُ سِوَى عَلَيْهِ أَنَّهُ مَا عَلِمَ



الفصل السابع

في آداب العلماء وأخلاقيهم

مِنْ آدَابِ الْعُلَمَاءِ أَلَّا يَخْلُوا بِتَعْلِيمِ مَا يُخْسِنُونَ ، وَلَا يَتَشَبَّهُوا
مِنْ إِفَادَةِ مَا يَعْلَمُونَ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ بِهِ ظُلْمٌ وَالْمَنَعَ إِثْمٌ . قَالَ خَالِدٌ
أَنْ صَفَوَانَ : إِنِّي لَا فَرَحُ بِإِفَادَتِي التَّعْلِيمَ أَكْثَرَ مِنْ فَرَحِي
بِاسْتِفَادَتِي مِنَ الْمُعَلِّمِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَضَعُوا الْحِكْمَةَ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا
فَتَظْلِمُوهَا ، وَلَا تَتَّبِعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوكُمْ . وَكُونُوا كَالطَّيِّبِ الْحَادِقِ
يَضَعُ دَوَاهُ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُنْتَفَعُ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : لِيَحْذَرِ الْمُعَلِّمُ أَنْ يُضَادَّ الْحَقَّ مُوَافَقَةً
لِرَأْيِهِ ، وَمُتَابَعَةً لِهَوَاهُ . فَإِنَّ زَلَّةَ الْعَالِمِ كَالسَّفِينَةِ تَفْرُقُ وَيَفْرُقُ
مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَنْ نَصَبَ ^(١) لِلنَّاسِ إِمَامًا
فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ . وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِلِسَانِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعَالِمُ طَيِّبٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْدُنْيَا
 دَاوُمَا . فَإِذَا كَانَ الطَّيِّبُ يُطَلَّبُ الدَّاءُ فَمَتَى يُبْرَى غَيْرُهُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : عِظْ نَفْسَكَ فَإِنْ أَتَمَعْتَ فَمِطِ النَّاسَ
 وَإِلَّا فَاسْتَحْي . وَقِيلَ : أَفْضَلُ الْعِلْمِ وَقُوفُ الْعَالَمِ عِنْدَ عَلَيْهِ
 وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : شَرُّ النَّاسِ الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا
 وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَنَاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَالِمُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ
 عُقُوبَةٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِ . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : الْعَالِمُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ
 بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْمَاءُ عَنِ الصَّفَا^(١)
 وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْعَلِيمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
 تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى^(٢)
 كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
 وَزَكَ تَصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا

أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ
 إِبْدَاءُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غِيَاهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
 فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
 لَا تَنَهُ عَنْ خُلُقِهِ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

(١) جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم لا يثبت (٢) المرض

الفصل الثامن

في الأدب

قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ
وَرِيَاشُ^(١) السُّوقَةِ^(٢) ، وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ . فَعَمَلُهُ تَجِدُ نَفْسَكَ
حَيْثُ تُحِبُّ

وَقَالَ عَلِيٌّ : غَايَةُ الْأَدَبِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ .
وَقِيلَ : مَنْ تَأَدَّبَ وَلَيْسَ لَهُ حَسَبُ الْحَقَّةِ الْأَدَبُ بِأَهْلٍ الرُّتَبِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ صُورَةَ
عَقْلِكَ كَيْفَ شِئْتَ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفْصَحَاءِ : مَنْ سَاءَ أَدَبُهُ ضَاعَ حَسَبُهُ ، وَمَنْ قَلَّ
عَقْلُهُ ضَلَّ أَصْلُهُ . وَقِيلَ : حُسْنُ الْأَدَبِ يَسْتَرْ قُبُوحَ النَّسَبِ
وَقَالَ بُرْزُجَمَرُ : لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَذْرَكَ مَنْ فَاتَهُ
الْأَدَبُ ، وَأَيَّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَذْرَكَ الْأَدَبُ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ طَاهِرًا الْأَثْوَابُ كَثِيرًا الْأَدَابُ
حَسَنًا الْمَذْهَبُ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ وَصَلَحَ بِصَالِحِهِ جَمِيعُ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ

(١) الرياش اللباس الفاخر (٢) السوق الرعية من الناس

وَقَالَ بُرْجُومَرُ لِكِسْرَى وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ
إِلَيْكَ . قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي الْأَدَبِ وَأَجْزُعُهُمْ مِنَ الْعَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ
إِلَى الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُمْ

وَدَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى بْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ
وَأَقْعَدَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجُھُومَهُ^(١)
وُجُوهِهِمْ فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّجِيعِ^(٢) إِلَى الْغَرِيمِ^(٣)
الْمُقْلِسِ . هَكَذَا الْأَدَبُ يُشْرِفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ وَيَرْفَعُ الْمَلُوكَ
عَلَى الْمَوْتَى . وَيُقْعِدُ الْمَيِّدَ عَلَى الْأَيْرِ

الفصل التاسع

في طريقة التأديب

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : يَلْبَنِي لِلْوَالِدِ أَلَّا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ
وَلَدِهِ . وَذَلِكَ بِأَنْ يُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ وَيُقَبِّحَ فِي عَيْنِهِ الْقَبِيحَ
وَيُحِثُّهُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْعَادَاتِ . وَيَحْضُرُهُ عَلَى
تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَيُدْرِبُهُ^(٤) عَلَى ذَلِكَ

(١) مصدر جهمه اذا استقبله بوجه كربه (٢) البخيل (٣) المديون

(٤) ويعوده

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا تَقْصِرُوا ^(١) أَوْلَادَكُمْ عَلَى
 أَدَائِكُمْ فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ
 وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنَّ خَيْرَ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ
 الْحَنَانُ ^(٢) إِلَى التَّقْرِيطِ . وَخَيْرَ الْأَبْنَاءِ لِلْآبَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّقْصِيرُ
 إِلَى الْعُتُوقِ ^(٣)

وَقَالَ آخَرُ : مِنْ مَحَاسِنِ التَّأْدِيبِ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَدِّبُ
 رَفِيقًا ^(٤) فِي مَوَاضِعِ الرِّفْقِ شَدِيدًا فِي مَوَاطِنِ ^(٥) الشَّدَةِ .
 فَيَتِمُّهُ التَّأْدِيبُونَ وَيَخْتَرِمُوهُ وَيُحِبُّوهُ جَهْدَهُمْ وَيَدْعَوْنَ ^(٦) لَهُ
 جَمِيلًا خَالِدًا . وَلِيَتَحَرَّزَ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ ثِقِيلًا فَيَمْلُوهُ وَيَنْبُذُوا
 كَلَامَهُ وَيَذَرُوهُ . وَلِيَتَحَرَّسَ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ أَمَانُهُمْ بِمَظْهَرِ الْعُجْبِ
 وَالْخِيَلَاءِ فَيَسْتَخِفُّوا بِهِ . وَلِيَتَحَذَرَ مِنْ أَنْ تَسْتَفِزَّهُ الْحِدَّةُ إِلَى
 سَلَفِهِمْ ^(٧) بِمَوَارِصِ ^(٨) لِسَانِهِ فَيَتَجَرَّأُوا عَلَيْهِ وَيَقْتُوهُ وَتَذَهَبَ
 سَهَابَتُهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ

وَأَوْصَى عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ فَقَالَ : لِيَكُنْ أَوَّلُ
 إِصْلَاحِكَ لَوَلَدِي إِصْلَاحَكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنْ عُيُونُهُمْ مَعْقُودَةٌ

(١) لا تكثرها (٢) الرحمة ورقة القلب (٣) العصيان (٤) لطيفاً

(٥) مواضع (٦) يحفظوا (٧) من سلقه اذا آذاه (٨) جمع قارصة وهي الكلام الذي ينقض ويرث

بِعَيْنِكَ . فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ ، وَأَتَقَبِّحُ مَا تَرَكْتَ . عَلَيْهِمْ
كِتَابُ اللَّهِ ، وَلَا تُلْهِمُ فِيهِ فَيْتْرُ كُوفُهُ . وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ .
وَرَوَاهُمْ ^(١) مِنْ الْحَدِيثِ أَشْرَفُهُ ، وَمِنْ الشَّعْرِ أَعْفَى . وَلَا تُخْرِجْهُمْ
مِنْ عِلْمٍ إِلَى آخِرَ حَتَّى يُحْكِمُوهُ ^(٢) ، فَإِنْ أَرَادَ حَامَ الْكَلَامِ فِي
السَّمْعِ مُشْغَلَةٌ لِفَقْهِمْ . وَعَلَيْهِمْ مَنَنْ ^(٣) الصُّلَحَاءِ ، وَجَبَّتْهُمْ مُحَادَثَةُ
السُّفَهَاءِ ، وَرَوَاهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ ، وَهَدَيْدَهُمْ بِي وَأَدْبَهُمْ دُونِي .
وَكَُنْ لَهُمْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يُعْجَلُ بِالْذَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ .
وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّكِلَ عَلَى عُذْرٍ مِنِّي لَكَ وَقَدْ أَتَيْتَ عَلَى كِفَايَةِ مِنْكَ
وَأَوْصَى الرَّشِيدُ مُوَدِّبٌ وَلَدَهُ الْأَمِينَ فَقَالَ : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مَهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ : فَصَبِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً ^(٤)
وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ ، وَعَرَفَهُ الْأَنْثَارَ ، وَرَوَاهُ الْأَشْعَارَ ، وَعَلِمَهُ السُّنَنَ ،
وَبَصَرَهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ ، وَأَمَنَهُ الصُّحُفَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرْ
بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَمٌّ فِيهَا فَانْدَةِ تُفِيدُهُ إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ
تُخْرِقَهُ ^(٥) فَنَمِيتَ ذِهْنَهُ . وَلَا تَمْنِ ^(٦) فِي مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحْلِي الْقِرَاعَ
وَيَأْلَفَهُ . وَقَوْمَهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالرَّفَقِ وَالْمَلَايَنَةِ ، فَإِنْ أَبَاهَا

(١) من رواه اذا حمله على روايته اي نقله (٢) يتقنوه (٣) سير وطرائق

(٤) يقال بسطت يده عليه اذا سلط عليه (٥) قدشه (٦) تبالغ وتبعد

فَمَلِكٌ بِالشَّدَةِ وَالْعِلَظَةِ^(١)

حُكْمِي أَنْ أَلْتَصُورَ بَعَثَ إِلَى مَنْ فِي الْجَنْسِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ
يَقُولُ لَهُمْ : مَا أَشَدُّ مَا مَرَّ بِكُمْ فِي هَذَا الْجَنْسِ . فَقَالُوا : مَا
قَدَدْنَا مِنْ تَأْدِيبٍ بَيْنَنَا

الفصل العاشر

فِي التَّأْدِيبِ بِالزَّمَانِ

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : كَفَى بِالْتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ، وَيَتَقَلَّبُ الْأَيَّامُ
عِظَةً . وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : لَا تَدْعُ الْأَيَّامُ جَاهِلًا إِلَّا أَدَبَتْهُ
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَنَاءِ : مَا أَكْثَرَ الْعِبرَ^(٢) لِمَنْ نَظَرَ ، وَأَنْفَعَهَا
لِمَنْ أَعْتَبَرَ^(٣)

وَقَالَ لَيْدٌ :

وَفِي غَايِرِ الْأَيَّامِ مَا يَعِظُ الْفَتَى وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَمْ تَعِظْهُ التَّجَارِبُ
وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ : كَفَى بِالذَّهْرِ مُخْبِرًا بِمَا مَضَى عَمَّا بَقِيَ .
وَكَفَى عِبْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا جَرَّبُوا
وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ :

كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرْءِ أَيَّامُ دَهْرِهِ تَرْوُحُ^(٤) لَهُ بِالْوَاعِظَاتِ وَتَتَعَدَّى

(١) الشدة (٢) جمع العبرة وهي العظة يتعظ بها (٣) اتعظ (٤) تذهب

إليه في الرواح أي العشي ضد تعدي

قِيلَ لِأَحَدِ الْحُكَمَاءِ مَنْ أَدَّبَكَ . قَالَ : مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ .
وَأَيُّ الْجَلِّ قَبِيحًا فَأَجْتَنَّبُهُ

لَمَّا قَتَلَ عَايِرُ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَتَوَلَّى فِي دَارِهِ وَقَعَدَ عَلَى
فَرَسِهِ ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ بِنْتُ مَرْوَانَ فَقَالَتْ : يَا عَايِرُ : إِنَّ دَهْرًا أُتْرَلَ
مَرْوَانَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَأَقْعَدَكَ عَلَيْهِ ، لَقَدْ أَبْلَغَ فِي عِظَمِكَ

الْفَصْلُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي آدَابِ الْمَجَالَسَةِ

قَالَ نُبَيْعُ بْنُ عَبَّاسٍ : لِيَجْلِسَ عَلَيَّ ثَلَاثٌ : أَنْ أَرْمُقَهُ (١) بِطَرَفِي
إِذَا أَقْبَلَ ، وَأَوْسِعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ ، وَأَصْنِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : لِكُلِّ شَيْءٍ مَحَلٌّ وَمَحَلُّ الْعَقْلِ مُجَالَسَةُ
النَّاسِ بِآدَابٍ وَهَشَاشَةٍ وَلُطْفٍ وَسَلَامَةٍ ذَوْقٍ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَتَعَيَّنُ عَلَى الْجَلِيسِ أَنْ يُدَاعِيَ الْفَاطِلَةَ
وَيَكُونَ عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَنْ يَعْثُرَ لِسَانُهُ . خُصُوصًا إِذَا كَانَ جَلِيسُهُ
ذَاهِبِيَّةً . فَقَدْ قِيلَ : رُبُّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً

قِيلَ : إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ السَّفَّاحَ كَانَ يُحَدِّثُ يَوْمًا أَبَا بَكْرٍ

الْهَذَلِيَّ . وَإِذَا بِالرَّيْحِ قَدْ عَصَفَتْ فَأَرَمَتْ طَسْطًا مِنْ سَطْحٍ إِلَى
الْمَجْلِسِ ، فَأَرْتَاغٌ ^(١) مِنْ حَضَرٍ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ الْهَذَلِيُّ ، وَلَمْ تَرَلْ عَيْنُهُ
مُطَابِقَةً ^(٢) لِعَيْنِ السَّقَّاحِ . فَقَالَ : مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ يَا هَذَلِيَّ .
فَقَالَ : مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ قَلْبَيْنِ فِي صَدْرِهِ ، وَإِنَّمَا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ .
فَلَمَّا عَمَرَهُ الثُّورُ بِمَحَادَثَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِحَادِثٍ
مَجَالٌ ^(٣) . فَلَوْ أَنْقَلَبَتِ الْخَضِرَاءُ ^(٤) عَلَى الْفِرَاءِ ^(٥) مَا أَحْسَسْتُ
بِهَا ، وَلَا وَجَتْ ^(٦) لَهَا . فَقَالَ السَّقَّاحُ : لَيْنُ بَيْتِ لَكَ لَا دَفْعَنَ
مَكَانَكَ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِإِلَاحٍ جَزِيلٍ وَصَلَّةٍ كَبِيرَةٍ

الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي آدَابِ الْحَدِيثِ وَالْإِسْتِغَارِ

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُقِيلَ بِحَدِيثِهِ عَلَى
مَنْ لَا يُقِيلُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قِيلَ : إِنَّ نَشَاطَ الْمُتَكَلِّمِ يَقْدَرُ إِقْبَالَ
السَّامِعِ . وَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَ الْمُسْتَمَعَ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ . وَلَا
يَبْتَدِئُ ^(٧) كَلَامًا لَا يَلِيقُ بِالْمَجْلِسِ . فَقَدْ قِيلَ : لِكُلِّ مَقَامٍ
مَقَالٌ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا وَافَقَ الْحَالَ

(١) فزع (٢) موافقة (٣) طريق (٤) السماء (٥) الأرض (٦) من وجه

له إذا رثى له وغم بسببه (٧) يثنى ويحتج

وَقَالَ أَحَدُ الْأَدَبَاءِ : مَنْ لَمْ يَنْشُطْ ^(١) إِلَى اسْتِجَاعِ حَدِيثِكَ
فَارْفَعَ عَنْهُ مَوْنَةً الْإِسْتِجَاعِ . وَقِيلَ : لَا تُطِمْ طَمَامَكَ مَنْ
لَا يَسْتَهِيهِ . وَفِي كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : الْإِسْتِجَاعُ بِالْعَيْنِ ، فَإِذَا
رَأَيْتَ عَيْنَ مَنْ تُحَدِّثُهُ مُقْبِلَةً عَلَى غَيْرِكَ فَاصْرِفْ حَدِيثَكَ إِلَى
غَيْرِهِ . وَقَالَ آخَرُ . مِنَ السُّنَّةِ إِذَا حَدَّثْتَ الْقَوْمَ أَنْ لَا تُثْقِلَ عَلَى
وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَبِكَفِّهِ لِكُلٍِّ مِنْهُمْ نَصِيحًا
وَقَالَ آخَرُ : إِذَا أُعِيدَ الْحَدِيثُ ذَهَبَ ضَوْؤُهُ وَرَوْنُهُ .
وَقِيلَ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَطُلْ فَيُفْلَ
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَمِيدِ : مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ لَمْ يُحْسِنْ
أَنْ يَسْمَعَ ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْمَعَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْأَلَ ، وَمَنْ
لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْأَلَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَقُولَ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِسْتِجَاعِ .
كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْحَدِيثِ ، لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ
أَحْرَصُ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ ، وَاحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِي
مَا يَجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ إِلَى فِعْلِ
مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى قَوْلِ مَا لَمْ تَفْعَلْ
وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لِلسَّائِلِ عَلَى السَّامِعِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ :

جَمْعُ الْبَالِ ، وَحُسْنُ الْإِسْتِغَارِ ، وَالْكِتَانُ لِمَا يَقْتَضِي الْكِتَانُ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَلَّا تُغَالِبَ أَحَدًا
عَلَى كَلَامِهِ ، وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تُجِبْ عَنْهُ ، وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ
فَلَا تُنَازِعْهُ إِيَّاهُ وَلَا تَفْحَمْ عَلَيْهِ فِيهِ ، وَلَا تَرِهِ أَنْكَ تَعْلَمُهُ . وَإِذَا
كَلِمَتَ صَاحِبِكَ فَأَخَذْتَهُ حُجَّتَكَ فَحَسِّنْ مَخْرَجَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَا
تُظْهِرِ الظُّفْرَ بِهِ

وَأَوْجَبَتِ الْأَدْبَاءُ عَلَى الْمُسْتَمِعِ أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ
الْمُتَكَلِّمِ مَا كَانَ رَأْيُ سَمْعِهِ أَوَّلًا أَلَّا يَقْطَعَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُهُ بَلْ
يَسْكُتَ إِلَى أَنْ يَتَوَعَّبَ ^(١) مِنْهُ الْقَوْلَ . وَعَدُّوا ذَلِكَ مِنْ بَابِ
الْأَدَبِ وَلَعَلَّهُ إِذَا صَبَرَ وَسَكَتَ اسْتَفَادَ مِنْ ذَلِكَ زِيَادَةً فَإِنَّدَقَ لَمْ
تَكُنْ فِي حِفْظِهِ

وَذَكَرَ أَعْرَابِيُّ رَجُلًا يَسُوءُ الْأَدَبَ فَقَالَ : إِنْ حَدَّثْتَهُ
سَابَقْتُكَ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِيثِ ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ أَخَذْتُ فِي التَّرَهَاتِ ^(٢)



الفصل الثالث عشر

في آداب العيادة

قال أحدُ الأُدباء : إِذَا مَرِضَ صَدِيقُكَ فَعُدَّهُ مِرَارًا ، وَحَدِّثْهُ بِحَدِيثٍ يُشَجِّعُهُ وَيُثَوِّقِيهِ عَلَى مُقَاسَاةِ أَوجَاعِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ مَا يُزْجِعُهُ وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ سَمَاعُهُ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَرِيدَهُ هَمًّا وَقَلَقًا ، فَتَكُونَ عِيَادَتُكَ لَهُ وَبَالًا ^(١) عَلَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تُطِلْ عِيَادَتَكَ ^(٢) لِلْمَرِيضِ إِذَا شَقَّتْ ^(٣) مُجَالَسَتُكَ لَهُ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ مَعَهُ فِي حِينِ يُزْجِعُهُ الْكَلَامُ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : لَا تُطِلْ الْجُلُوسَ عِنْدَ الْمَرِيضِ قَالِيلُ يُعَادُ وَالصَّحِيحُ يُزَارُ

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : الثُّقْلَاءُ أَشَدُّ عَلَى الْمَرْضَى مِنْ أَمْرَائِهِمْ يَجِئُونَ فِي غَيْرِ وَقْتٍ ، وَيُطِيلُونَ الْجُلُوسَ

إِغْتَلَّ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ الْكَاتِبُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ يَعُودُهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى السَّلَامِ عَلَيْهِ وَالِدُعَاءِ لَهُ ، وَيُخَفِّفُ فِي الْجُلُوسِ ، ثُمَّ يَلْقَى حَاجِبَهُ فَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ

(١) الوبال الشدة والثقل والوخامة (٢) العيادة الزيادة في المرض (٣) صعبت

وَمَا كَلِهَ وَمَشْرَبِهِ وَمَنَامِهِ ، وَكَانَ غَيْرُهُ يُطِيلُ الْجُلُوسَ فَلَمَّا أَفَاقَ
الْفَضْلُ مِنْ عِلَّتِهِ قَالَ : مَا عَادَنِي فِي عِلَّتِي هَذِهِ إِلَّا إِنْ سَمِعِلْ
ابْنُ صَبِيحٍ .

وَلَمَّا مَرَضَ الْأَنْعَشُ أَمَرَهُ النَّاسُ بِالسُّوَالِ عَنْ حَالِهِ ، فَكَتَبَ
قِصَّتَهُ فِي كِتَابٍ وَجَعَلَهُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَإِذَا سَأَلَهُ أَحَدٌ قَالَ : عِنْدَكَ
الْقِصَّةُ فِي الْكِتَابِ فَأَقْرَأْهَا

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ ،
فَسَأَلَهُ عَنْ عِلَّتِهِ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ مَاتَ فُلَانٌ وَمَاتَ
فُلَانٌ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِذَا عُدْتَ الْمَرْضَى فَلَا تَنْعِرْ ^(١) لَهُمُ الْمَوْتَى ،
وَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِنَا فَلَا تَعُدْ إِلَيْنَا

الفصل الرابع عشر

فِي آدَابِ الْمُضِيفِ

مِنْ آدَابِ الْمُضِيفِ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنْ
يُحَدِّثَهُمْ بِمَا يَمِيلُ إِلَيْهِ نَفُوسُهُمْ ، وَلَا يَنَامَ قَبْلَهُمْ ، وَلَا يَشْكُو
الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ ، وَيَبِشُّ عِنْدَ قُدُومِهِمْ ، وَيَتَأَلَّمُ عِنْدَ وِدَاعِهِمْ ،
وَلَا يَغْضَبُ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ ، وَلَا يُنْقِصُ عَيْنَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ ،

(١) من نعا له اذا اخبره بموته

وَلَا يَنْفِسُ وَجْهَهُ، وَلَا يُظْهِرُ نَكَدًا^(١)، وَلَا يَنْهَرُ^(٢) أَحَدًا، وَلَا
يَشْتُمُهُ بِحَضْرَتِهِمْ، بَلْ يُدْخِلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا أَمَكَّنَ.
وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَهُمْ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْحَادِثَةِ وَغَرِيبِ
الْحِكَايَاتِ. وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ
الطَّرَفِ^(٣) إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ. وَإِذَا قُدِمَ لَهُمُ الطَّعَامُ فَلَا
يَنْتَظِرُ مَنْ لَا يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ. فَهَذَا قِيلَ: ثَلَاثَةٌ تُضَيِّ^(٤)
سِرَاجٌ لَا يُضِيءُ، وَرَسُولٌ بَطِيءٌ، وَمَائِدَةٌ يَنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِيءُ
وَقَالَتِ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ^(٥)،
وَإِطَالَةُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاطَلَةِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَضَاحُكَ ضَيْفِي قَبْلَ إِتْرَالِ دَحْلِهِ
وَيَخْصُبُ عِنْدِي وَالزَّمَانُ جَدِيبُ
وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ تُكَثِّرَ الْقَرَى^(٦)
وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ
وَقَالَ آخَرُ يَفْتَخِرُ بِحُسْنِ ضِيَافَتِهِ:

يَسْتَرْسِلُ الضَّيْفُ أَنْسًا فِي مَنَازِلِنَا فَلَيْسَ يَعْلَمُ خَلْقُ أَئِنَّا الضَّيْفُ

(١) عسراً وضيقاً (٢) يذجر ويمنع (٣) جمع طرفة وهي الملمعة والغريب

المستحسن المعجب (٤) تثقل أي تحمل حملاً ثقيلاً (٥) أي عد أول شيء

(٦) ما قدم للضيف

الباب الثاني

في الفضائل والنقص

الفصل الأول

في التواضع والكبر

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ قَلَّ صَوَابُهُ وَكَثُرَ
إِعْجَابُهُ ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ ذُو عُسْرِ يَخْطُرُ ^(١) فِي رِذَاءِ كِبَرِهِ
وَقَالَ سُفْيَانُ : السُّفْلَةُ ^(٢) إِذَا تَعَلَّمُوا تَكَبَّرُوا ، وَإِذَا تَمَوَّلُوا
اسْتَطَالُوا ^(٣) . وَالْكَرَامُ إِذَا تَعَلَّمُوا تَوَاضَعُوا ، وَإِذَا أَفْتَرُوا
اسْتَطَالُوا ^(٤)

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَا يُدْرِكُ حَاجَةً :
مَنْ اسْتَكْبَرَ عِلْمَهُ ، وَنَسِيَ ذَنْبَهُ ، وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَشَدُّ النَّاسِ لِلْعِلْمِ ادِّعَاءُ أَقْلَهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِ عِلْمًا
وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : مَنْ كَانَتْ وَلَايَتُهُ فَوْقَ قَدْرِهِ

(١) يهتز ويتبختر (٢) الاندال (٣) تكبروا (٤) ترفعوا وتعالوا

تَكْبَرُ لَهَا وَمَنْ كَانَتْ وَلَا يَتُهُ دُونَ قَدْرِهِ تَوَاضَعَ لَهَا
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِتَضِعْ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ أَلْمَلَى وَأَكْظِمِ^(١) الْغَيْظَ وَلَا تُبْدِ الضَّجَرَ
وَأَجْمَلِ الْمَرْوْفَ ذَخْرًا إِنَّهُ لَلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُذْخَرُ
وَأَحْبَلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ تَاهَ فِي وَلَا يَتِهِ ذَلٌّ فِي عَزْلِهِ ،
وَذُلٌّ أَلْزَلٌ يُضْحِكُ مِنْ تِيهِ أَلْوَلَايَةِ . وَقِيلَ : مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى
النَّاسِ ذَلٌّ . وَقَالَ أَحَدُ أَلْعُلَمَاءَ : أَسْبَابُ الْكِبَرِ عُلُوُّ أَلْيَدِ ، وَتُقُودُ
أَلْأَمْرِ ، وَقَلَّةُ مُخَالَطَةِ^(٢) أَلْأَكْفَاءِ^(٣) . وَأَسْبَابُ أَلْإِعْجَابِ كَثْرَةُ
مَدَحِ الْمُتَقَرِّبِينَ ، وَإِطْرَاءِ^(٤) أَلْمُتَلَقِّينَ

وَقَالَ أَحَدُ أَلْحُكَمَاءَ : مَنْ بَرَى مِنْ ثَلَاثٍ نَالَ ثَلَاثًا : مَنْ
بَرَى^(٥) مِنْ أَلْسَرَفِ^(٦) ، نَالَ أَلْعِزَّ ، وَمَنْ بَرَى مِنْ أَلْبُخْلِ نَالَ
أَلشَّرَفَ ، وَمَنْ بَرَى مِنْ أَلْكِبَرِ نَالَ أَلْكَرَامَةَ . وَقَالَ أَبْنُ أَلْمُقَفَّعِ :
أَلْإِفْرَاطُ فِي أَلتَّوَاضَعِ يُوجِبُ أَلْمَذَلَّةَ ، وَأَلْإِفْرَاطُ فِي أَلْمُؤَانَسَةِ
يُوجِبُ أَلْمَهَانَةَ . وَقَالَ آخَرُ : مِنْ أَلتَّوَاضَعِ مَا يَضَعُ^(٧)

(١) ردَّ واحبس (٢) معاشرة (٣) النظراء والامثال (٤) الاطراء المدح

بابلغ ما عندك (٥) سلم وتخلص (٦) تجاوز الحد والاعتدال (٧) يذل

الفصل الثاني

في الصدق والكذب

قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : الْكَذِبُ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ ، وَأَصْلُ كُلِّ دَمٍّ . لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ ، وَخُبْثِ نَتَائِجِهِ . لِأَنَّهُ يُنْتِجُ النَّيْمَةَ ، وَالنَّيْمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ ، وَالْبَغْضَاءُ تَوَلُّوهُ إِلَى الْعَدَاوَةِ ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : مَنْ اسْتَحْطَى رِضَاعَ الْكَذِبِ عَسَرَ فِطَامُهُ وَقَالَ أَحَدُ الْأَدَبَاءِ : الْكَذُوبُ مُتَمِّمٌ وَإِنْ صَدَقَتْ لَهُجَّتُهُ ^(١) وَوَضَعَتْ حُجَّتُهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَأَنْ يَضَعِيَ الصِّدْقُ وَقَلَمًا يَفْعَلُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعِيَ الْكَذِبُ وَقَلَمًا يَفْعَلُ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ : إِذَا اتَّسَمَ الْمَرْءُ بِالْكَذِبِ لُسِبَتْ إِلَيْهِ شَوَارِدُ الْكَذِبِ الْمَجْهُولَةِ ، وَأُضِيفَتْ إِلَى أَكَاذِيْبِهِ زِيَادَاتٌ مُقْتَمَلَةٌ ^(٢) . حَتَّى يَصِيرَ الْكَاذِبُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ مَعَرَّةٍ ^(٣) الْكَذِبِ عَنْهُ ، وَمَضَرَّةٍ الْكَذِبِ عَلَيْهِ

وَقَالَ آخَرُ : تَحَرَّوْا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ الْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ

(١) اللهجة اللسان (٢) مزورة ومختلقة (٣) المعرة العيب والاذى

فِيهِ النِّجَاةَ . وَتَجَنَّبُوا الْكُذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ النِّجَاةَ ، فَإِنْ فِيهِ
الْهَلَكَةُ

وَقَالَ أَحَدُ الْفَلَّاسِفَةِ : إِيَّاكَ وَحِكَايَةُ مَا يُسْتَبَعَدُ فَيَجِدَ عَدُوَّكَ
سَبِيلًا إِلَى تَكْذِيبِكَ ، فَإِنْ مِنْ صِفَاتِ الْعَاقِلِ أَنْ يُحَدِّثَ بِمَا لَا
يُسْتَطَاعُ تَكْذِيبُهُ

وَقَالَ حَكِيمٌ : مَنْ عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ الْكُذِبَ لَمْ يُصَدِّقِ الصَّادِقَ
فِي مَا يَقُولُهُ . وَقَالَ آخَرُ : تَرَاهُ سَمِعَكَ عَنْ سَاعِ الْكُذِبِ كَمَا
تَتَرَاهُ لِسَانَكَ عَنِ التَّفْوِهِ بِهِ

الفصل الثالث

فِي الرِّثَاءِ

حَقِيقَةُ الرِّثَاءِ اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَاخْتِلَافُ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى سَخْفِ الْعَقْلِ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عُرْوَةَ : لِأَنْ يَكُونَ لِي نِصْفُ وَجْهِ وَنِصْفُ
لِسَانٍ ، عَلَى ^(١) مَا فِيهِمَا مِنْ قُبْحِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمَخْبَرِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَنْ أَكُونَ ذَا وَجْهِينِ وَذَا لِسَانَيْنِ وَذَا قَوْلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ

وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : مَنْ أَلْتَمَسَ أَرْبَعًا يَأْرَبِعْ . أَلْتَمَسَ مَا لَا
يَكُونُ . مَنْ أَلْتَمَسَ الْجَزَاءَ بِالرِّثَاءِ ، وَمَوَدَّةَ النَّاسِ بِالْغِلَاطَةِ ،
وَوَفَاءَ الْإِخْوَانِ بِغَيْرِ وَفَاءٍ ، وَالْعِلْمَ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَا صِدْقَ لِلتَّوَلَّيْنِ ، وَلَا وَفَاءَ
لِلْكَذُوبِ ، وَلَا رَاحَةَ لِحُسُودٍ ، وَلَا مَرُوءَةً لِدَنِيٍّ ، وَلَا زَعَامَةً^(١)
لِسَيِّئِ الْخُلُقِ .

وَقَالَ آخَرُ : الْمُتَزَيْنُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ كَلَايِسٌ ثَوْنِي زُورٍ . فَهُوَ
يُرِثَانِيهِ مَخْرُومٌ الْأَجْرِ مَذْمُومٌ الذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ لَا يَتَّصِدُ وَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَى فَيُؤَجَّرَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَخْفَى رِثَاؤُهُ عَلَى النَّاسِ فَيُحْمَدَ بِهِ
وَقَالَ التِّهَامِيُّ :

تَوْبُ الرِّثَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا اكْتَسَبْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارٍ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّئُ الْعَبْدِيُّ :

إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدُحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبتُ شَتَمَ



الفصل الرابع

في ذم المداهنة والتلبيق

قَالَ بَعْضُ الْبُلَّاءِ : التَّلْبِيقُ خُدْعَةٌ لَا يَرْضَاهَا عَاقِلٌ ، وَلَا يَخْدَعُ بِهَا مُعَيَّرٌ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْدَاءُ الرَّجُلِ قَدْ يَكُونُونَ أَنْفَعَ مِنْ إِخْوَانِهِ . لِأَنَّهُمْ يَهْدُونَهُ إِلَى عُيُوبِهِ فَيَجْتَنِبُهَا ، وَيَخَافُ شِمَاتِهِمْ فَيَضْبُطُ نِعْمَتَهُ ، وَيَتَحَرَّرُ مِنْ زَوَالِهَا بِعَايَةِ طَوْفِهِ ^(١)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِي مَا لَمْ تَأْتِهِ فَأَحْذَرْ أَنْ يَكْفُرَ بِنِعْمَتِكَ فِي مَا أَتَيْتَهُ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَأَتَقِهِ

وَقَالَ آخَرُ : إِنَّ الْمُتَمَلِّقِينَ يَجْعَلُونَ التَّلْبِيقَ خَدِيعَةً ، فَإِذَا وَجَدُوهُ مَقْبُولًا فِي الْعُقُولِ الضَّعِيفَةِ أَغْرَوْا أَرْبَابَهَا وَجَعَلُوا ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلَى الْإِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ مِنَ الْجَمِيلِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْكَ ذَمَكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ مِنَ الْقَبِيحِ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْكَ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : عَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ وَلَيْسَ فِيهِ ،

كَيْفَ يَفْرَحُ . وَعَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الشَّرُّ وَهُوَ فِيهِ كَيْفَ يَنْضَبُ
وَقَالَ آخَرُ : إِذَا أَعْجَبَكَ مَا تَوَاصَفَهُ النَّاسُ مِنْ مَحَاسِنِكَ
فَانْظُرْ فِي مَا بَطَنَ مِنْ مَسَاوِينِكَ . وَلَتَكُنْ مَعْرِفَتُكَ بِنَفْسِكَ أَوْثَقَ
عِنْدَكَ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ لَكَ

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : قَابِلُ الْمَدْحِ كَمَا دَحِ نَفْسِهِ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ
رَضِيَ أَنْ يَدْحَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ آمَنَ السَّاحِرَ مِنْهُ

وَقَالَ الْإِسْكَندَرُ : انْتَفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا انْتَفَعْتُ
بِأَصْدِقَائِي . لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونَنِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي
وَيُذَيِّبُونَنِي بِذَلِكَ عَلَى الْخَطَا فَاستَدْرِكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُدْرِيُونَنِي
بِالْخَطَا وَيُشَجِّعُونَنِي عَلَيْهِ

وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيِّ إِذَا أَنْشَدَ :

عِدَائِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبُ الرِّيحَانُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ يَبْحَثُوا عَنِّي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَاسْتَبْتِ الْمَعَالِيَا
جَاءَ رَجُلٌ الْمُهْدِيَّ فَقَالَ لَهُ : أَنَا عَبْدُكَ . فَقَالَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا
يُنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ . فَإِنَّهُ مَلَقٌ كَاذِبٌ لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا
مَقْتُونٌ^(١) أَوْ مَأْفُونٌ^(٢)

الفصل الخامس

في السَّعَايَةِ وَالنِّيمَةِ وَالنِّيمَةِ

قَالَ بَعْضُ الْفَضْلَاءِ : النِّيمَةُ دَنَاءَةٌ وَالسَّعَايَةُ رَدَاءَةٌ ، وَهُمَا
رَأْسُ الْقَدْرِ وَأَسُّ الشَّرِّ . فَتَجَنَّبْ سُبُلَهُمَا وَتَحَرَّزْ مِنْ أَهْلِهِمَا
وَقَالَ آخَرُ : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا
لَا يَعْلَمُونَ ، وَمَنْ تَتَّبَعَ مَسَاوِيَّ الْعِبَادِ فَقَدْ نَحَلَهُمْ ^(١) عِرْضَهُ
وَقَالَ آخَرُ : إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ فَاجْهَدْ جَهْدَكَ أَنْ
لَا يَعْرِفَكَ ، فَإِنْ أَشَقَى النَّاسَ بِهِ مَعَارِفُهُ . وَمِنْ كَلَامِ عَلِيِّ :
الْأَشْرَارُ يَتَتَّبِعُونَ مَسَاوِيَّ النَّاسِ وَيَتَرَكُونَ مَحَاسِنَهُمْ ، كَمَا يَتَّبِعُ
الذُّبَابُ الْمَوَاضِعَ الْفَاسِدَةَ وَيَتْرُكُ الصَّحِيحَةَ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ تُسْلَقُ ^(٢) مَسَامِعُهُ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ
وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لَوْلَدِهِ : لَيْكُنْ أَبْغَضُ رَعِيَّتِكَ إِلَيْكَ
أَشَدَّهُمْ كَشْفًا لِمَغَائِبِ النَّاسِ . فَإِنَّ لِلنَّاسِ مَغَائِبَ أَنْتَ أَحَقُّ
بِمَسْتَرِّهَا . وَأَنْتَ إِنَّمَا تَحْكُمُ بِمَا ظَهَرَ لَكَ . وَاللَّهُ يَحْكُمُ فِي مَا غَابَ

(١) أي اعطاهم إياه من غير عوض (٢) يأذن يستع وتسلق تؤذى

عَنْكَ ، وَأَكْرَهَ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتَرِ الْعَوْرَةَ يَسْتُرِ اللَّهُ
عَلَيْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ . وَلَا تُصْنَعْ إِلَى صَدِيقٍ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ
غَاشٌ وَإِنْ قَالَ قَوْلَ نَصِيحٍ .

وَقَالَ أَرِسْطُو طَالِيْسُ : النَّيْمَةُ تُهْدِي إِلَى الْقُلُوبِ الْبَغْضَاءُ .
وَمَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ نَقْلَ عَنْكَ . وَقَالَ الْمُهْدِيُّ : مَا السَّاعِيَ بِأَعْظَمَ
عَوْرَةَ وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَابِلِ سَعَايَةٍ . وَلَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ السَّاعِيَ
إِلَيْكَ حَاسِدَ نِيْمَةٍ فَلَا تَشْفِ غِيْظُهُ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا تُعَاقِبُ لَهُ عَدُوُّهُ
لِيَلَّا يَشْتَمَ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : السَّعَايَةُ إِلَى كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ هَلَكَةٌ ،
فَكَمْ دَمٍ أَرَأَيْتُمْ سَفَى سَاعٍ ، وَكَمْ حَرِيمٍ اسْتَبِيحَ بِنِيْمَةٍ نَمَامٍ ،
وَكَمْ مِنْ صَفِيَيْنِ تَقَاطَعَا ، وَكَمْ مِنْ إِلْقَيْنِ تَهَاجَرَا ، وَكَمْ مِنْ
زَوْجَيْنِ تَقَارَقَا .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَهْتِكَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا
فِيهِتِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكَّرُوا
وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وَأَنشَدَ آخَرُ :

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
وَقَالَ الْإِسْكَندَرُ لِرَجُلٍ سَمِعَى إِلَيْهِ رَجُلًا : أَتَحِبُّ أَنْ نَقْبَلَ
مِنْكَ مَا تَقُولُ فِيهِ عَلَى أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ . قَالَ : لَا .
قَالَ : فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكْفُفَ عَنْكَ الشَّرُّ

وَعَاتَبَ مُعَاوِيَةُ الْأَحْنَفَ فِي شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ فَأَنْكَرَهُ . فَقَالَ
لَهُ مُعَاوِيَةُ : بَلِّغْنِي عَنْكَ الْيَقَّةَ . فَقَالَ : كَلَّا إِنَّ الْيَقَّةَ لَا يُبْلَغُ مَكْرُوهًا
وَسَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخُلُوعَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِذَا سِئْتُمْ
فَقُومُوا . فَلَمَّا تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِلْكَلَامِ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ . إِيَّاكَ أَنْ
تُذَحِّنِي فَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ ، أَوْ تَكْذِبَنِي فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِلْكَذُوبِ
أَوْ تَسْمَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ فَإِنَّ السَّعَايَةَ مِنْ أَفْطَحِ الْجَرَانِمِ .
وَقَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَقَعُ فِي^(١) قَالَ :
أَنْتَ إِذَا عَلَيَّ أَكْرَمُ مِنْ نَفْسِي



الْفَصْلُ السَّادِسُ

فِي الْقَنَاعَةِ

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : الْغِنَى مِنْ أَسْتَغْنَى بِاللَّهِ وَالْفَقِيرُ مِنْ أَفْتَقَرَ
إِلَى النَّاسِ . وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ : سُورُ الدُّنْيَا أَنْ تَفْشَعَ بِمَا رُزِقْتَ ،
وَعَمَّا أَنْ تَنْتَمَّ لِمَا لَمْ تُرْزَقْ

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ .
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ الْغِنَى
فَاطْلُبْهُ فِي الْقَنَاعَةِ فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَدُ ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ
وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ : قَلِيلٌ يَكْفِي ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِي (١)
وَقِيلَ : لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى يَوْمِكَ هَمَّ غَدِكَ فَحَسْبُ كُلِّ يَوْمٍ هَمُّهُ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
وَقَالَ أَبُو سُورَانَ : إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا تَعْتَمَّ فَلَا تَقْتَنِ مَا بِهِ
تَهْتَمُّ . وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ :

(١) اطناء جعله طاعياً اي مسرفاً في المعاصي والظلم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَهْدِمُ مَا بَنَى وَيَأْخُذُ مَا أَعْطَى وَيَسْلُبُ مَا أَمْسَى
فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَمْرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا
وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ : يَا بَنَ آدَمَ لَا تَخْشَ مِنْ ضَيْقِ الرِّزْقِ
مَا دَامَتْ خَزَائِنُ اللَّهِ مَلَانَةً . وَخَزَائِنُهُ لَا تَنْفَدُ أَبَدًا . وَلَا تَأْنِسُ
يَنْتَبِرُ اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ بَغَيْرُهُ فَاتَّكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ . وَأَرْضٌ بِمَا قَسَمَهُ
لَكَ فَتُرِيحَ قَلْبَكَ وَبَدَنَكَ . وَلَا تُطَالِبُهُ بِرِزْقٍ غَيْرِكَا لَا يُطَالِبُكَ
بِعَمَلٍ غَيْرِهِ . فَإِنَّهُ لَا يَنْسَى مَنْ عَصَاهُ فَكَيْفَ يَنْسَى مَنْ أَطَاعَهُ . وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَكُلُّ شَيْءٌ مُحِيطٌ

الْفَصْلُ السَّابِعُ

فِي الْغُرُصِ وَالطَّمَعِ

قَالَ أَحَدُ الْمُقَلَّاءِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ حُرًّا أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَلَا
يُسْكِنُ قَلْبَهُ الطَّمَعُ
وَقَالَ أَحَدُ الْفَلَاسِفَةِ : الْعَبِيدُ ثَلَاثَةٌ : عَبْدُ رِقٍّ ، وَعَبْدُ
شَهْوَةٍ ، وَعَبْدُ طَمَعٍ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ كَلَّفَتْهُ النَّفْسُ فَوْقَ كِفَايَتِهَا فَمَا يَنْقُضِي حَتَّى الْمَمَاتِ عَنَاوُهُ

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ الْمُنَجِّمُ :

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفَرًّا^(١) لِيُورِثَهُ وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُنْسِكُ وَهُوَ طَاوٍ^(٢) فَرِيَسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

وَقَالَ عَلِيُّ : أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ ، تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .

وَقِيلَ : مَنْ لَزِمَ الطَّمَعَ عَدِمَ الْوَرَعَ

وَضَمَّنَ الْأَبَشِيهِيُّ بَيْنَا لِأَبِي الْمَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَيَا مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَفْنَى الْعُمُرِ فِي قِيلٍ وَقَالَ
وَأَتَمَبَ نَفْسُهُ فِي مَا سَيَفَنِي وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا طَاوَعْتَ حِرْصَكَ كُنْتَ عَبْدًا لِكُلِّ دَنِيَّةٍ تُدْعَى إِلَيْهَا
قِيلَ لِلْإِسْكَندَرِ : مَا سُرُورُ الدُّنْيَا . قَالَ : الرِّضَى بِمَا رُزِقْتَ
مِنْهَا . قِيلَ : فَمَا غَمُّهَا . قَالَ : الْحِرْصُ عَلَيْهَا

وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا بَالُ الشَّيْخِ أَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنَ الشَّابِّ .

قَالَ : لِأَنَّهُ ذَاقَ مِنْ طَعْمِ الدُّنْيَا مَا لَمْ يَذُقْهُ الشَّابُّ

(١) الوفير من المال الكثير الواسع (٢) الطاووي الجائع الذي لم يأكل شيئاً

الْفَصْلُ الثَّامِنُ

فِي فَضْلِ الْغِنَى عَلَى الْفَقْرِ

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَحْفَظُ مَالَهُ لِيَصُونَ بِهِ عِرْضَهُ،
وَيَحْيِيَ بِهِ رُؤُوسَهُ، وَيَصِلَ بِهِ رَحْمَةً، وَيَسْتَعِينِي بِهِ عَنْ لِسَامِ النَّاسِ
وَقَالَ عَلِيُّ: الْفَقْرُ، الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ. وَقَالَ آخَرُ: مَنْ حَفِظَ
دُنْيَاهُ حَفِظَ الْآخِرَ مِمَّنْ: دِينَهُ وَعِرْضَهُ

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: لَأَنْ تَذَرَ^(١) وَرَثَتَكَ أَغْنِيَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ
تَذَرَهُمْ عَالَةً^(٢) يَتَكَفَّفُونَ^(٣) النَّاسَ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ:

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَقَالَ آخَرُ:

فَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى بِهَا

عَلَى الْحُرِّ ذِي الْأَقْلَالِ وَنَسَمُ هَوَانٍ^(٤)

إِذَا قَالَ لَمْ يُسَمَعْ لِحُسْنِ مَقَالِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانٍ
وَقَالَ لُثْمَانُ لِأَبْنِهِ: يَا بُنَيَّ أَكَلْتُ الْحَنْظَلَ وَذُقْتُ الصَّبْرَ

(١) تَذَرَ (٢) العالة جمع العائل وهو المقتدر (٣) تكفف الرجل الناس

إذا مد كفه إليهم بالمسئلة (٤) الوسم اثر الكهي والعلامة

فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَمْرًا مِنَ الْفَقْرِ . فَإِنْ أَفْقَرْتَ فَلَا تُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ
 كَيْ لَا يَنْتَقِصُوكَ ^(١) . وَلَكِنْ أَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ . فَمَنْ ذَا
 الَّذِي سَأَلَ اللَّهَ فَلَمْ يُعْطِهِ ، أَوْ دَعَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، أَوْ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ فَلَمْ
 يَكْشِفْ مَا بِهِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

الْفَقْرُ يُزِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِينَ عَنْ حُجَّتِهِ وَيَجْعَلُهُ
 غَرِيبًا فِي بَلَدَتِهِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا رَسْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَعَلَبْتُهُ وَمَا رَسَنِي الْفَقْرُ فَعَلَبَنِي .
 إِنْ سَتَرْتُهُ أَهْلَكَنِي ، وَإِنْ أَدْعَيْتُهُ فَضَحَنِي

وَقَالَ آخَرُ : طَلَبْتُ الرِّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ لَهَا أَرْوَاحَ مِنْ
 تَرَكْتُ مَا لَا يَنْفِيهَا ، وَتَوَحَّشْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ فَلَمْ أَرِ وَحْشَةً أَمْرًا مِنْ
 قَرِينِ السُّوءِ ، وَشَهِدْتُ الزُّخُوفَ ^(٢) وَغَالَبْتُ الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرِ
 قَرْنًا أَغْلَبَ لِلرَّجُلِ مِنَ الْمَرَأَةِ السُّوءِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى كُلِّ مَا يُذِلُّ
 الْقَوِيَّ وَيَكْسِرُهُ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَذْلَ لَهُ وَلَا أَكْسَرَ مِنْ الْفَاقَةِ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

الْمَالُ يَرْفَعُ سَفَقًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْفَقْرُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ

(١) تَنْقُصُهُ ذَمُّهُ وَنَسَبُ إِلَيْهِ النِّقْصَ (٢) جَمْعُ الزُّخْفِ وَهُوَ مِثْلُ الْجَيْشِ إِلَى الْعَدُوِّ

وَقَالَ آخَرُ :

شَفَتَاهُ أَنْوَاعُ الْكَلَامِ فَهَآلَا
وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلَا
لَرَأَيْتُهُ أَسْوَا الْبَرِيَّةِ حَالَا
قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالَا
قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
تَكْسُو الرِّجَالَ سَهَابَةً وَجَلَالَا
وَهِيَ السِّنَانُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ
وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمْعُوا لَهُ
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الْبَلِي فِي كَيْسِهِ
إِنَّ النَّبِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا
أَمَّا الْفَقِيرُ فَإِنْ تَكَلَّمَ صَادِقَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
فَهِيَ الْإِسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً

وَقَالَ آخَرُ الْأَخْفِ :

وَالنَّاسُ تُغْلِقُ دُونَهُ أَبْوَابَهَا
وَيَرَى الْعَدَاوَةَ لَا يَرَى أَسْبَابَهَا
هَشَّتْ إِلَيْهِ وَحَرَّجَتْ أَذْنَآبَهَا
نَبَحَتْ عَلَيْهِ وَكَثُرَتْ أَنْيَابَهَا^(١)

يُمِيسِي الْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُضِدُّهُ
وَتَرَاهُ تَمَقُّوْنَا وَلَيْسَ بِمُذْنِبٍ
حَتَّى الْكِلَابُ إِذَا رَأَتْ ذَا بَرْقٍ
وَإِذَا رَأَتْ يَوْمًا فَقِيرًا عَارِيًا

وَقَالَ آخَرُ :

وَعَيْشُ الْفَقْرِ بِالْفَقْرِ لَيْسَ يَطِيبُ
تَحْقِيقُهُ إِلَّا قَوَامٌ وَهُوَ لَيْبُ

جُرُوحُ اللَّيَالِي مَا لَهْنٌ طَيِّبُ
وَحَسْبُكَ أَنْ الْمَرْءُ فِي حَالٍ فَقْرِهِ

(١) كَثُرَ يَتَعَدَّى بَعْنُ يَقَالُ : كَثُرَ السَّبْعُ عَنْ نَابِهِ

الفصل التاسع

في العشر على حفظ المال والتفهي عن التبذير

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ التَّبَذِيرُ إِتْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَبَذْلُهُ عَلَى
وَجْدٍ لَا تَقْضِيهِ الْحِكْمَةُ
وَقَالَ الْمَلِيسُ :

لِحِفْظِ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ فَنَائِهِ وَسَيْرٌ فِي الْبِلَادِ يَتَغَيَّرُ زَادُ
وَأَصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي لَا أَبْغِضُ أَهْلَ بَيْتٍ يُنْفِقُونَ رِزْقَ أَيَّامٍ
فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ : مَا وَقَعَ تَبَذِيرٌ فِي كَثِيرٍ إِلَّا
هَدَمَهُ ، وَلَا دَخَلَ تَذْيِيرٌ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثُرَ وَثَمَرَهُ ^(١)

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَوْلَدِهِ يَزِيدَ : إِذَا أُعْطِيَ مَالَكَ فِي غَيْرِ الْحَقِّ
يُوشِكُ أَنْ يَجِيءَ الْحَقُّ وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تُعْطِي مِنْهُ . وَقَالَ سُفْرَاطُ :
لَتَكُنْ عِنَايَتُكَ بِحِفْظِ مَا اكْتَسَبْتَهُ كِعْنَايَتِكَ بِاِكْتِسَابِهِ
وَقَالَ آخَرُ : التَّبَذِيرُ يُنْمِي الْبَيْسَ ، وَالتَّبَذِيرُ يُدَمِّرُ الْكَثِيرَ .
وَقِيلَ : دُبْمَا عَوْقَبَ الْمُبَذِّرُ بِالْإِفْلَاسِ وَصَبَّرَ بِالْفَقْرِ مَثَلَةٌ بَيْنَ

(١) تَمَرُّ الْمَالِ نَامًا وَكَثْرًا

النَّاسِ . وَقِيلَ : السَّرْفُ فِي الْإِنْفَاقِ يُفْسِدُ مِنَ النَّفْسِ بِمِقْدَارِ
مَا يُصْلِحُ مِنَ الْعَيْشِ . وَقِيلَ : يُوْشِكُ مَنْ أَنْفَقَ سَرَفًا أَنْ يَمُوتَ
أَسْفًا . وَقَالَ أَفْلَاطُونُ : رَأْسُ الْعَمَلِ الْإِقْتِصَادُ فِي الْإِنْفَاقِ مِنْ
غَيْرِ بُخْلِ . وَقِيلَ : يَلْتَمِيزُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكْسِبَ بَعْضَ مَالِهِ
الْمَحْمَدَةَ وَيَصُونُ بَعْضَهُ وَجْهَهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَنْفَقَ بِمِقْدَارِ مَا اسْتَقْدَتْ وَلَا تُسْرِفْ وَعِشْ فِيهِ عَيْشَ مُقْتَصِدٍ
مَنْ كَانَ فِي مَا اسْتَقَادَ مُقْتَصِدًا لَمْ يَفْتَقِرْ بَعْدَهَا إِلَى أَحَدٍ
وَقَالَ حَكِيمٌ : إِنْ فِي صَلَاحِ الْأَمْوَالِ سَلَامَةٌ الدِّينِ ، وَجَمَالُ
الْوَجْهِ ، وَبَقَاءُ الْعِزِّ ، وَصَوْنُ الْعِرْضِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِصْلَاحُكَ
مَا فِي يَدِكَ أَسْلَمُ مِنْ طَلَبِكَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ

قِيلَ لِأَفْلَاطُونُ : لِمَ تَدْخِرُ الْمَالَ وَأَنْتَ شَيْخٌ . فَقَالَ : لِأَنْ
يَمُوتَ الْإِنْسَانُ وَيُخَلِّفَ مَالًا لِعَدُوِّهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَخْتِاجَ إِلَى
أَصْدِقَائِهِ فِي حَيَاتِهِ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : لِمَ حَفِظْتَ الْفَلَاسِفَةَ مَا فِي
أَيْدِيهِمْ . فَقَالَ : لِئَلَّا يُقِيمُوا أَنْفُسَهُمْ الْمَقَامَ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّونَهُ .
فَقَدْ عَلِمُوا أَنْ لَا اتِّكَالَ عَلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ

وَقِيلَ لِابْنِ زَيْيَادٍ : لِمَ تُحِبُّ الدَّرَاهِمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ مِنَ
الدُّنْيَا . فَقَالَ : هِيَ وَإِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنْهَا فَقَدْ أُغْنَيْتَنِي عَنْهَا

وَأَتَى قَوْمُ قَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ يَسْأَلُونَهُ حِمَالَةً ^(١) فَصَادَفُوهُ فِي حَاطِطٍ يَتَّبِعُ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْأَثْمَارِ فَيَغْزِلُ جِيدَهُ وَرَدِيَّةً . فَقَامُوا حَتَّى فَرَغَ ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَبَدَّلَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : صَنِيعُكَ هَذَا مُنَافٍ ^(٢) لِتَرْقِيحِ ^(٣) عَيْشِكَ . فَقَالَ : بِمَا رَأَيْتُمْ مِنْ فِعْلِي أَمْكَنِي أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتَكُمْ

وَلِيَمَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْأَمْسَالِ فِي الْإِعْطَاءِ فَقَالَ : إِنَّا لَا نُعْطِي تَبْدِيرًا وَلَا نُمْسِكُ تَقْتِيرًا ، وَإِنَّمَا نَحْنُ خَزَائِنُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَأُمْنَاوُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَإِذَا شَاءَ أُعْطِينَا وَإِذَا كَرِهَ أَيْبِنَا . وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصْدُقُ وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ مَا جَبَهْنَا ^(٤) قَائِلًا وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا

الْفَصْلُ الْعَاشِرُ

فِي الْغَيْرِ وَالسُّوَالِ

قَالَ شَرِيحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ الرِّقِّ ^(٥) ، فَإِنْ قَضَاهَا الْمُسَوَّلُ مِنْهُ اسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ رَدَّ عَنْهَا رَجَعَ كِلَاهُمَا ذَلِيلًا ، هَذَا بِذِلِّ الْبُخْلِ وَذَلِكَ بِذِلِّ الرَّدِّ

(١) الحِمَالَةُ الكِفَالَةُ والِدِيَّةُ والفَرَامَةُ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ عَنْ قَوْمٍ (٢) مَبَايِنٌ وَخَالَفَ

(٣) رَقَعَ الْمَالُ أَوْ الْعَيْشُ أَصْلَحَهُ وَقَامَ عَلَيْهِ . وَالْعَيْشُ مَا يَعْشَى بِهِ (٤) جَبَهَهُ

ضَرَبَ جَبْهَتَهُ أَوْ رَدَّ عَنْ حَاجَتِهِ (٥) مَنْ رَقَّ الْعَبْدُ إِذَا صَارَ رَقِيقًا

وَكَانَ لُثْمَانُ يَقُولُ لِوَلَدِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّاكَ وَالسُّؤَالُ ، فَإِنَّهُ
يُذْهِبُ مَا أَلْحِيَاءُ مِنَ الْوَجْهِ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا اسْتِخْفَافُ النَّاسِ بِكَ
وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحِبَّهُ ^(١) فَيَحْتَطِبَ
بِهَا عَلَى ظَهْرِهِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَيَسْأَلَهُ ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ . وَقَالَتِ الْحَكَمَةُ : احْتَجَّ إِلَى مَنْ شِئْتَ
تَكُنْ أَسِيرَهُ . وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ . وَأَنْعِمَ عَلَى مَنْ
شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ . وَقَالَ بَنُ عَبَّاسٍ : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ
اللَّهِ إِذَا سَأَلَهُ . وَأَبْعَدُ مَا يَكُونُ مِنَ الْخَلْقِ إِذَا سَأَلَ لَهُمْ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ :

أَعَاذِلَ لَيْسَ الْبُخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْفَقْرَ شَرَّ سَبِيلٍ
لَمَوْتُ أَلْفَتِي خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لَلْفَتَى وَلِلْبُخْلِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ بَخِيلٍ
لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لَوْجِهَكَ قِيَمَةٌ فَلَا تَلْقَ إِنْسَانًا يُوْجِهُ ذَلِيلٍ
وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَفِيٍّ : أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ
قَبْلَ لَا عَرَائِيْ : مَا السَّقَمُ الَّذِي لَا يُبْرَأُ مِنْهُ ، وَالْجُرْحُ الَّذِي
لَا يَنْدِمِلُ . قَالَ : حَاجَةُ الْكَرِيمِ إِلَى اللَّهِ .

الْفَضْلُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي الْحَسَدِ

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِهِ .
 وَقَالَ آخَرُ : مِنْ صَغُرَ أَلِهُمَّةُ الْحَسَدِ لِلصَّدِيقِ عَلَى النِّعْمَةِ
 وَقَالَ الْجَاحِظُ : مِنَ الْمَدْلِ أَنْ تَحْطُ عَنْ الْحَاسِدِ نِصْفَ
 عِقَابِهِ ، لِأَنَّ أَلَمَ جِسْمِهِ قَدْ كَفَاكَ مَوْتَهُ شَطْرَ غَيْظِكَ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : لَا يَفْقِدُ الْحَسَدُ إِلَّا مَنْ فَقَدَ الْخَيْرَ
 أَجْمَعَ . فَمَتَّبِعُ الْحَسَدِ مَقَرُّ النِّعْمَةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :
 وَحِذَاءَ كُلِّ فَضِيلَةٍ حُسَادُهَا

وَقَالَ أَبُو حَسَنٍ التَّهَامِيُّ :

إِنِّي لِأَرْحَمُ حَاسِدِي لِحَرِّ مَا ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ (١)
 نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَمَيُّونُهُمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ
 وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَا كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَجَدَ
 لَهَا حَاسِدًا . فَلَوْ كَانَ الرَّجُلُ أَقْوَمَ مِنَ الْقِدْحِ (٢) مَا عَدِمَ غَايِرًا (٣)

(١) جمع وغر بمعنى الحقد والعداوة (٢) القدح السهم قبل ان يراش وينصل

(٣) طاعناً وذاماً

وَقَالَ الْمُتَّبِعِي :

سِوَى وَجَمِ الْحُصَادِ دَاوِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبِ قَلْبَسٍ يَحُولُ
وَقَالَ الْبُحْثَرِيُّ :

وَلَنْ تَسْتَيْنَ الذَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَيَا رَبِّ إِنْ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وَإِنْ أَنَا لَمْ أَنْصِفْهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْنِي سَبِيحَهُمْ^(١) مَنَعُونِي
وَإِنْ تَأَلَّهْمُ رِفْدِي^(٢) فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتْمُونِي
وَإِنْ وَجَدُوا عِنْدِي رَخَاءً تَقَرَّبُوا وَإِنْ تَزَلَّتْ بِي شِدَّةٌ خَذَلُونِي
وَإِنْ طَرَقْتَنِي نَكْبَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبْتَنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى
قَوْمِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

إِنَّ الْعَرَانِينَ^(٣) تَلَقَّاهَا مُحْسَدَةً وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا

الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي الْكَرَمِ وَاصْطِنَاعِ الْغُرُوفِ

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : إِنْ فِي الْكَرَمِ عِزٌّ الدُّنْيَا وَشَرَفٌ الْآخِرَةِ ،
وَحُسْنُ الصِّبْتِ ، وَخُلُودٌ جَمِيلٌ أَلَدِكُرِّ

(١) عطاءهم واهم (٢) عطائي (٣) جمع العرنيين وهو السيد الشريف

وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ : جُودُ الرَّجُلِ يُحِبُّهُ إِلَى أَعْدَائِهِ . وَبُخْلُهُ يُبْغِضُهُ إِلَى أَوْدَائِهِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ النَّاسُ فِي فَضْلِهِ
وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ : لِلْمَعْرُوفِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ : تَعَجُّلُهُ
وَتَيْسِيرُهُ وَتَسْتِيرُهُ . فَمَنْ أَخْلَى بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَقَدْ بَخَسَ الْمَعْرُوفَ
حَقَّهُ وَسَقَطَ عَنْهُ الشُّكْرُ

وَقَالَ آخَرُ : أَحْيِ مَعْرُوفَكَ بِأَمَانَةٍ ذِكْرِهِ وَعَظْمَةُ بِالتَّصْنِيفِ
لَهُ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ الْعَطِيَةِ جَهْدُ الْمُقِلِّ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكُ ذَا نَدَى فَانْتَ إِذَا وَالْمُقْتِرُونَ سَوَاءٌ
عَلَى أَنْ فِي الْأَمْوَالِ يَوْمًا تِبَاعَةٌ^(١) عَلَى أَهْلِهَا وَالْمُقْتِرُونَ بَرَاءٌ
وَكَتَبَ كِسْرَى إِلَى هِرَيزَ : اسْتَغْلِلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي ، وَاسْتَكَثِرْ
قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ . فَإِنْ قُرَّةَ عَيْنِ الْكَرِيمِ^(٢) فِي مَا يُعْطِي ، وَقُرَّةَ
عَيْنِ اللَّيْمِ فِي مَا يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ الشَّيْخَ لَكَ مُعِينًا ، وَلَا
الْكَذَّابَ أَمِينًا . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ مَعَ شَحَرٍ ، وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ
وَقَالَ عَلِيٌّ : لَا تَسْتَخِي مِنْ عَطَاءِ الْقَلِيلِ . فَالْجِرْمَانُ أَقْلُ مِنْهُ
وَقَالَ أَحَدُ الْأَجَوَادِ : خَيْرُ النَّوَالِ مَا وَصَلَ قَبْلَ السُّوَالِ
وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : مَنْ لَمْ يَصُنْ وَجْهَهُ مِنْ مَسْأَلَتِكَ فَصُنْ

(١) التباعة التبعة وهي ما يحدث للرجل من الشر عقيب فعله (٢) اي فرحه

وَجَهَكَ عَنْ رَدِّهِ . وَقِيلَ : مِنْ الْعَزْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا لَكَ لَا يَسَعُ
الْأَنَاسَ كُلَّهُمْ ، فَتَوَخَّ بِهَ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَيْكَ ، وَإِنْ كَرَّامَتَكَ لَا تَسَعُ
الْمُعَلِّينَ ، فَأَخْصَصْ بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَنْ تَمَسَّهُ الْحَاجَةُ
إِلَيْكَ . وَالْإِعْطَاءُ بَعْدَ الْمُنْعِ أَجْمَلُ مِنَ الْمُنْعِ بَعْدَ الْإِنْعَامِ .

وَقَالَ الصَّجَّاجُ : لَا يَمْلِكُ أَمْدُكُمْ الْمُرُوفَ فَإِنْ صَاحِبَهُ يُعَوِّضُ
خَيْرًا مِنْهُ إِمَّا شُكْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا ثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ .

وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

وَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُخْسِنٍ .

وَأَيُّمُنُ كَفَرٍ فِيهِمْ كَفَرٌ مُنْعِمٍ .

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةٍ وَأَعْظَمَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صَرَّتْ إِلَى الْغِنَى وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْقُلُوبِ جَلِيلُ

وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْقَتَى عَشِيَّةَ يَثْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ



الفصل الثالث عشر

في شكر النعمة والمكافأة على المعروف

قال المغيرة بن شعبة: أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك. فإنه لا بقاء للنعيم إذا كفرت، ولا ذوال لها إذا شكرت. وقالت الحكماء: من أنكر الصيغة استوجب القطيعة. ومن من^(١) يسرو فيه سقط شكره. ومن أعجب بعمله حبط^(٢) أجره

وقال الحسن: كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها. فانت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها. وقيل: الشكر ثلاث منازل: ضمير القلب، ونشر اللسان، ومكافأة اليد. كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
وقال آخر يشكر من وإلى إحسانه إليه:

كلما قلت أعتق الشكر رقي صيرتني لك المكارم عبدا
فأحي عمر الزمان حتى أودى شكر إحسانك الذي لا يودى

(١) من عليه عد له ما فعله من الصنائع مثل ان يقول اعطيتك وفعلت لك

(٢) بطل

وَقَالَ آخِرُ :

أُولَيْتِي نِعْمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأَسْرَهَا
فَلَا شُكْرَ نِكَ مَا حَيَّتْ وَإِنْ أُمْتُ فَلْتَشْكُرَنَّكَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِهَا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : الشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّعَمِ لِأَنَّهُ يَبْقَى
وَالنِّعَمُ تَفْنَى . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا
فَكَافِئُوهُ . فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَادْعُوا لَهُ
وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ وَأَجَادَ :

مَا شُكْرُ لَا أَنِّي أَجَازِيكَ مُنِيعًا
بِشُكْرِي وَلَكِنْ كَيْ يَدُومَ لَكَ الشُّكْرُ
وَأَذْكُرُ أَيَّامًا لَدَيَّ أَصْطَنَعْتَهَا

وَأَخِرُ مَا يَبْقَى عَلَى الشَّاكِرِ الذِّكْرُ
وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : إِذَا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمُكَافَأَةِ فَلْيَطْلُبْ
لِسَانَكَ بِالشُّكْرِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَمْسِكُوا الْمَعْرُوفَ عَنْ ثَلَاثَةِ : الْلِّيمِ
فَإِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ السَّيِّئَةِ ^(١) . وَالْفَاحِشِ فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ الَّذِي
صَنَعَ إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ لِمَخَافَةِ فَحْشِهِ . وَالْأَلْحَقِ فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ
مَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ

(١) الارض السبخة التي لم تحرث ولم تعمر

وُسِّلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَا أَضِيعُ الْأَشْيَاءَ. قَالَ: الْمَطَرُ الْجُودُ^(١)
 فِي أَرْضٍ سَبِيحَةٍ لَا يَجِفُّ ثَرَاهَا وَلَا يَنْبُتُ مَرْعَاهَا، وَسِرَاجٌ يُوقَدُ
 فِي الشَّمْسِ، وَصَنِيعَةٌ تُسَدِّي إِلَى مَنْ لَا يَشْكُرُهَا

الْفَصْلُ الرَّابِعُ عَشَرَ

فِي السَّعْيِ وَالْعَمَلِ وَعَوَاقِبِ الْفَرَاغِ

قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ: لَا تُنْصِرْ يَوْمَكَ فِي غَيْرِ مَنَفَعَةٍ، وَلَا
 تُضِيعْ مَالَكَ فِي غَيْرِ صَنِيعَةٍ. فَالْمَنْزُوعُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ يَنْفَدَ فِي غَيْرِ
 الْمَنَافِعِ، وَالْمَالُ أَقْلُ مِنْ أَنْ يُصْرَفَ فِي غَيْرِ الصَّنَائِعِ، وَالْعَاقِلُ
 أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُقْبِي أَيَّامَهُ فِي مَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ وَخَيْرُهُ، وَيُنْفِقَ
 أَمْوَالَهُ فِي مَا لَا يَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ

وَقَالَ بُزْجَهْرُ: إِنْ يَكُنِ الشُّغْلُ مُجَهِّدَةً^(٢) فَالْفَرَاغُ مَفْسَدَةٌ
 وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِي:

بَصُرْتُ بِأَلْحَالَةِ الْعُلَيَّا فَلَمْ أَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ: إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى جَعَلَ طَلَبَ الرِّزْقِ مَقْصُورًا
 عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِ. وَأَهْلُ التَّحْصِيلِ وَالنَّظَرِ يَطْلُبُونَهُ بِأَحْسَنِ وَجْهِهِ

مِنَ التَّصَرُّفِ وَالتَّحَرُّزِ . وَأَهْلُ الْعَجَزِ وَالْكَسَلِ يَطْلُبُونَهُ بِأَقْبَحِ
وُجُوهِهِ مِنَ السُّوَالِ وَالْإِتِّكَالِ وَالْخِلَابَةِ ^(١) وَالْإِحْتِيَالِ
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّغَاءِ : إِذَا عَمِلَ الْمَرْءُ وَلَمْ يُدْرِكْ حَاجَةً فَحَسْبُهُ
نَفْعًا أَنَّهُ يَسْلَمُ مِنْ عَوَاقِبِ التَّوَانِي الَّتِي هِيَ أَسْوَأُ مِنْ مَمَبَاتِ ^(٢)
الْخِيْبَةِ . وَقَالَ آخَرُ : الْعَمَلُ تُرْسٌ يَتَّقِي سَهْمَ الْبَلَاءِ ، وَالْجِدُّ سَيْفٌ
يَقْطَعُ أَعْنَاقَ الشَّقَاءِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَرَّغْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا
نَدِمْتَ عَلَى التَّضَرُّيْطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

دَرِينِي أَنْزِلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعَلَى
وَصَنْبُ الْعُلَى فِي الصَّغَبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ
تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْعَالِي رَخِيصَةً
وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِخْرِ النُّخْلِ
وَقَالَ آخَرُ :

إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِغْ تَعْبًا
أَوْ فَارْضَ بِالذَّلِّ وَاخْتَرْ رَاحَةَ الْبَدَنِ

الفصل الخامس عشر

في دَمِ الْعَجْرِ وَالتَّوَانِي

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: التَّوَانِي هُوَ الْكَسَلُ وَتَضْيِيعُ الْحَزْمِ^(١)،
وَعَدَمُ الْقِيَامِ عَلَى مَصَالِحِ النَّفْسِ، وَتَرْكُ السَّبَبِ^(٢) وَالْإِحْتِرَافِ
وَالْإِحَالَةِ عَلَى الْمَقَادِيرِ. وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْأَفْعَالِ
وَقَالَ الْأَخْفُ: إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ. فَإِنَّكَ إِنْ كَيْلْتَ
لَمْ تُؤَدِّ حَقًّا، وَإِنْ ضَجِرْتَ لَمْ تَصِيرَ عَلَى حَقٍّ
وَقَالَ عَلِيٌّ: لَهَبُ الشُّوقِ أَخْفُ مَحْمَلًا مِنْ مُقَاسَاةِ الْمَلَالَةِ
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ الضُّجُورَ خَابٌ. وَطَوِيلَ الْأَمَلِ
مَفْرُورٌ. وَفَاسِدَ الرَّأْيِ مُصَابٌ. وَقَالَ عَلِيٌّ: مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي
ضَيَّعَ الْحُقُوقَ. وَمَنْ الْعَجَرَ طَلَبُ مَا فَاتَ يَمَّا لَا يُمَكِّنُ اسْتِدْرَاكُهُ،
وَتَرَكَ مَا أَمَكَّنَ يَمَّا تُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ الشَّاعِرُ:

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ لَا تَفْتَحْ بِمَعْجَزَةٍ فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْرِ بِمَعْدُورٍ

(١) الحزم ضبط الامر واحكامه (٢) من تسبب إذا طلب اسباب

وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ: مَنْ دَامَ كَسَلُهُ خَابَ أَمَلُهُ. وَمَنْ التَّوَفَّقَ
بُغْضُ التَّوَانِي. وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: أَحْذَرِ مُجَالَسَةَ الْعَاجِزِ.
فَإِنَّ مَنْ سَكَنَ إِلَى عَاجِزٍ أَعْدَاهُ مِنْ عَجْزِهِ، وَأَمَدَهُ مِنْ جَزَعِهِ،
وَعَوَّدَهُ قَلَّةَ الصَّبْرِ، وَلَسَّاهُ مَا فِي الْعَوَاقِبِ. وَلَيْسَ لِلْعَجْزِ ضِدٌّ
إِلَّا الْحَزْمُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَكُونَنَّ فِي الْأُمُورِ هَيُوبًا^(١) فَإِلَى خَيْبَةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: الْعَاجِزُ هُوَ الْقَلِيلُ الْحِيلَةُ، الْمَلَاذِمُ لِلْأَمَانِي
الْمُسْتَحِيلَةُ. وَقِيلَ: مَنْ لَزِمَ الرِّقَادَ عَدِمَ الرِّوَادَ

وَقَالَ عَلِيٌّ: التَّوَانِي مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ. وَيَا لِعَجْزٍ وَالْكَسَلِ
قَوْلَتِ الْفَاقَةُ وَأَنْتَبَجَتِ الْهَلَكَةُ. وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ لَمْ يَجِدْ وَأَفْضَى
إِلَى الْفَسَادِ. وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَلَبٍ: مَا يَسُرُّنِي أَتَى كُفَيْتُ أَمَرَ
الدُّنْيَا كُلَّهُ لَيْلًا أَتَعَوَّدُ الضَّجَرَ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: مَا لَزِمَ أَحَدٌ الدَّعَةَ^(٢) إِلَّا ذَلَّ. وَحُبُّ
الْهُوَيْنَا^(٣) يُكْسِبُ الدَّلَّ، وَحُبُّ الْكِفَايَةِ مِفْتَاحُ الْعَجْزِ.



(١) الهيوب الذي يخاف الناس (٢) الراحة (٣) الرفق والسكينة

الفصل السادس عشر

في الحياء

إِنَّ الْحَيَاءَ فِي الْإِنْسَانِ قَدْ يَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : أَحَدُهَا حَيَاؤُهُ مِنْ اللَّهِ بِامْتِنَالِ أَوَائِرِهِ وَالْكَفِّ عَنْ ذَوَائِرِهِ ^(١) . وَالثَّانِي حَيَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ فَيَكُونُ يَدْفَعُ الْأَذَى وَتَرْكُ الْقَبِيحِ . وَالثَّلَاثُ حَيَاؤُهُ مِنْ نَفْسِهِ فَيَكُونُ بِالْعِفَّةِ وَصِيَانَةِ الْخُلُواتِ ^(٢)

قَالَ عَمْرُو بْنُ بَخْرٍ الْجَاهِظُ : الْحَيَاءُ لِبَاسٌ سَابِغٌ ، وَحِجَابٌ وَاقٍ وَسِتْرٌ مِنَ الْعَيْبِ ، وَأَخُو الْعَفَافِ ، وَحَلِيفُ الدِّينِ ، وَدَقِيبُ الْعِصْمَةِ ، وَعَيْنٌ كَالِئْتِهْ تَذُودُ ^(٣) عَنْ إِيْتَانِ الْفَحْشَاءِ ، وَتَنْهِي عَنْ أَرْتِكَابِ الْأَرْجَاسِ ^(٤) . وَسَبَبٌ إِلَى كُلِّ جَمِيلٍ .

وَقَالَ أَحَدُ الْأَدَبَاءِ : لِيَكُنْ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِحْيَاؤِكَ مِنْ غَيْرِكَ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمَلًا يَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ

وَقَالَ كَعْبٌ : اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ النَّاسِ فِي عِلَانِيَتِكُمْ . وَقَالَ أَحَدُ الْمُعَلَّاءِ : عَلَيْكَ بِالْحَيَاءِ

(١) نواهيهِ وهي الأمور التي ينهي عنها (٢) الوحدات (٣) تدفع (٤) المآثم

وَالْأَنفَ^(١) . فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْفَضَاحَةِ اجْتَبَيْتَ الْخَسَاسَةَ ،
وَمِنْ أَتَيْتَ مِنَ الْقَلْبَةِ لَمْ يَتَقَدِّمَكَ أَحَدٌ فِي مَرَاتِبِهِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ :
طَيَّرُوا الدَّمَ فِي وُجُوهِ الصِّيَّانِ : فَإِنْ بَدَأَ فِي وُجُوهِهِمُ الْحَيَاءُ ،
وَلَا فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِمْ . وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : الْحَيَاءُ فِي الصَّبِيِّ
خَيْرٌ مِنَ الْخَوْفِ ، لِأَنَّ الْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْعَقْلِ ، وَالْخَوْفَ يَدُلُّ
عَلَى الْجُبَنِ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُصَحَاءِ : سِمَةُ الْخَيْرِ الدَّعَةُ^(٢) وَالْحَيَاءُ ، وَسِمَةُ
الشَّرِّ الْفِتْحَةُ وَالْبَذَاءُ . وَكَفَى بِالْحَيَاءِ خَيْرًا أَنْ يَكُونَ عَلَى الْخَيْرِ
دَلِيلًا ، وَكَفَى بِالْفِتْحَةِ وَالْبَذَاءِ شَرًّا أَنْ يَكُونَا إِلَى الشَّرِّ سَبِيلًا
وَقَالَ سِوَارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ :

وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُ بِهَا جَمَلَتَهَا لِِلَّتِي أَخْفَيْتُ عَنْوَانًا^(٣)
إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ عُرْيَانًا



(١) الاستنكاف (٢) السكينة (٣) العنوان ما استدلت به على شيء آخر

وَأَتَى الْهَادِي بِرَجُلٍ فَعَلَ مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ يُقَرِّعُهُ
وَيَتَوَعَّدُهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ إِقْرَارِي يُلْزِمُنِي ذَنْبًا لَمْ
أَفْعَلْهُ ، وَيُلْحِقُ بِي جُرْمًا لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ . وَإِنْكَارِي رَدُّ عَلَيْكَ
وَمُعَارَضَةُ لَكَ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِالْعِقَابِ تَشْفِيًا فَلَا تَرْهَدَنَّ عِنْدَ التَّجَاوُزِ فِي الْأَجْرِ
فَقَالَ لَهُ : اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ مُعْتَذِرٍ بِحَقِّ أَوْ بَاطِلٍ ، مَا أَمْضَى
لِسَانَكَ وَأَثَبْتَ جَنَانَكَ . وَعَفَى عَنْهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ

وَكَانَ الْأَخْنَفُ ابْنُ قَيْسٍ مَشْهُورًا بَيْنَ النَّاسِ بِالْحِلْمِ وَبِذَلِكَ
سَادَ عَشِيرَتَهُ . فَقِيلَ لَهُ : يَمُنُّ تَعَلَّمْتَ الْحِلْمَ . فَقَالَ : مِنْ قَيْسٍ
ابْنِ عَاصِمٍ . كُنَّا نَخْتَلِفُ ^(١) إِلَيْهِ فِي الْحِلْمِ كَمَا يُخْتَلَفُ إِلَى الْفُقَهَاءِ
فِي الْفِقْهِ . وَلَقَدْ حَضَرْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا وَقَدْ أَتَوْهُ بِأَخٍ لَهُ قَدْ قَتَلَ
ابْنَهُ فَجَاءُوا بِهِ مَكْتُوفًا . فَقَالَ ذَعَرْتُمْ ^(٢) أَخِي أَطْلِقُوهُ وَأَحْمِلُوا
إِلَى أُمِّ وَلَدِي دِيَّتَهُ ^(٣) فَإِنَّمَا لَيْسَتْ مِنْ قَوْمِنَا . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَضْيِيرًا وَتَغْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابْتَنِي وَلَمْ تُرِدْ
كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

(١) نتردد (٢) خوَّفتم (٣) الدية حتى القتل وهو مال يعطى وليَّ

القتيل بدل النفس

الفصل الثامن عشر

في مساوي الأخلق ومخاسنها

قَالَ أَحَدُ الْأَدَبَاءِ : حُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمَوَدَّةَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمُبَاعَدَةَ ، وَالْإِنْسَاطُ ^(١) يُوجِبُ الْمَوَانَسَةَ ، وَالْإِنْقِبَاضُ ^(٢) يُوجِبُ الْوَحْشَةَ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : بِالتَّائِي تَسْهُلُ الْمَطَالِبُ ، وَيُحْسِنُ الْمَعَاشِرَةُ تَذُومُ الْحَبَّةِ ، وَيَخْفُضُ الْجَانِبِ ^(٣) تَأْنِسُ النَّفْسُ ، وَبِإِسْعَةِ خُلُقِ الْمَرْءِ يَطِيبُ عَيْشُهُ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : مَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ طَابَ فِرَاقُهُ ، وَمَنْ حَسُنَتْ خِصَالُهُ طَابَ وَصَالُهُ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ ضَاقَ خُلُقُهُ مَلَأَ أَهْلُهُ وَمَنْ كَلَامَ عَلَيْهِ : مَنْ كَثُرَ هُمُّهُ سَقَمَ بَدَنُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ . وَمَنْ لَاحَى ^(٤) الرِّجَالَ سَقَطَتْ رُؤُوسُهُ وَذَهَبَتْ كِرَامَتُهُ . وَأَفْضَلُ إِيْمَانِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : سَعَةُ الْأَخْلَاقِ تَفْتَحُ كُنُوزَ الْأَرْزَاقِ ،

(١) الادلال (٢) خلاف الانبساط (٣) خفض الجانب اللطف

والتواضع (٤) نازع وخاصم

وَتُكْثِرُ الْأَضْيَاءَ وَتُقَلِّلُ الْأَعْدَاءَ ، وَتَسَهِّلُ الْمَصَائِبَ ، وَتُنِيلُ
أَسْنَى الرِّغَائِبِ وَأَعَزَّ الْمَطَالِبِ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءَ : مَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ ، وَمَنْ
كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ^(١) ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ

قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءَ : مِنْ أَكْثَرِ الشُّوَابِ وَأَفْحَشِ الْمَغَائِبِ
أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ بِذِيءِ اللِّسَانِ شَرَسَ ^(٢) الطَّبَاعِ خَشِنَ الْجَانِبِ ^(٣)
سَيَّئَ الْأَدَابِ . تَأْخُذُهُ فَوْرَةُ الْغَضَبِ ^(٤) لِأَقَلِّ إِسَاءَةٍ ، وَتَبْدُرُ
مِنْهُ بَوَادِرُ ^(٥) الْحِدَّةِ لِأَذْنَى إِهَانَةٍ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءَ : دَمَائَةُ الْأَخْلَاقِ تُخَيِّدُ مِنَ الصُّدُورِ
جَذْوَةَ ^(٦) الْأَحْقَادِ ، وَتُرِيلُ الْإِحْنَ ^(٧) وَالْحَزَازَاتِ ^(٨) . وَشَرَّ أَسَةِ
الطَّبَاعِ تُضْرِمُ الْفِتْنَ وَتَوْقِدُ الشُّرُورَ ، وَتُورِثُ الْمَهَالِكَ وَتُعْقِبُ
النَّدَمَ ، وَتُنْقِدُ السَّكِينَةَ وَتُعْرِضُ لِلْسُّخْرِيَّةِ ، وَتَحْطُ مِنْ مَقَامِ
الْأَدَبَاءِ وَتُلْجِفُهُمْ بِزَمْرَةِ السُّفَهَاءِ الْغَوَاةِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَوْ أَنِّي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

(١) خطؤه (٢) الشرس البهي الخلق الشديد الخلاف (٣) الحشن

الجانب الصعب الذي لا يطاق (٤) فورة الغضب حدته (٥) بددت منه بواد

غضب والبوادر جمع بادرة وهي ما ييدر من الحدة في الغضب (٦) جرة (٧) الاحقاد

(٨) الحزازات من الحرازة وهي وجع في القلب من غيظ او اذى

الفصل التاسع عشر

في العداوة والبغضاء ومدراة أهل الشر

قَالَ عَلِيٌّ: عَدَاوَةُ الضُّعَفَاءِ لِلْأَقْوِيَاءِ، وَالسُّفَهَاءِ لِلْحُكَمَاءِ،
وَالْأَشْرَارِ لِلْأَخْيَارِ، طَبْعٌ لَا يُسْتَطَاعُ تَغْيِيرُهُ.
وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ: أَلْعَدُوُّ عَدُوًّا: عَدُوٌّ ظَلَمْتَهُ فَجَنَيْتَ بِظُلْمِكَ
إِيَّاهُ عَدَاوَتَهُ. وَآخَرُ ظَلَمَكَ فَجَنَى بِظُلْمِهِ إِيَّاكَ عَدَاوَتَكَ. فَإِنْ
نَابَتْكَ نَائِبَةٌ تَضْطَرُّكَ إِلَى أَحَدِيهَا، فَكُنْ بِمَنْ ظَلَمَكَ أَوْثَقَ مِنْكَ
بِمَنْ ظَلَمْتَهُ. وَقِيلَ: لَا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْإِسَةِ الْعَامَةِ
وَقَالَ أَحَدُ الْمُفَلَّاءِ: مِنْ أَلْعَزَمَ أَنْ لَا يَحْتَفِرَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ
وَإِنْ كَانَ ذَلِيلًا، وَلَا يَقْفَلَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا. فَكَمْ يُرْغَوِثُ
سَهْدَ فَيْلًا وَمَنْعَ الرَّقَادَ مَلِكًا جَلِيلًا
وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَحْجِرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخَاصَمَةٍ إِنَّ الدُّبَابَةَ أَدَمْتَ مُقْلَةً الْأَسَدِ
وَقَالَ حَكِيمٌ: كُونُوا مِنَ الرَّجُلِ الدَّغِلِ ^(١) أَخَوْفَ مِنَ
الْكَاشِحِ ^(٢) الْمَعْلَنِ. فَإِنَّ مُدَاوَاةَ أَهْلِ الْبُلَلِ الظَّاهِرَةِ أَهْوَنُ

(١) الدغل الذي يخفي العداوة (٢) الكاشح الذي يتباعد عنك ويولييك كشحه

مِنْ مُدَوَاةٍ مَا خَفِيَ وَبَطَنَ

وَقَالَ أَحَدُ الْمُعْلَاءِ : لَا تَسْتَصْرِزْ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ ،
لَا نَكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرْ . وَالضَّعِيفُ
الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ
الْمُخْتَرِ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

دَع كُلَّ مَا يَدْعُو إِلَى فِتْنَةٍ وَسَالِمِ النَّاسِ تَمِشْ سَالِمًا
وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : لَا تُعَادِينَ أَحَدًا فَإِنَّكَ لَا تَخْلُو مِنْ
عَدَاوَةِ جَاهِلٍ أَوْ عَاقِلٍ ، فَالْحَذَرُ مِنْ حِكْمَةِ الْعَاقِلِ وَجَهْلِ الْجَاهِلِ .
وَقَالَ آخَرُ : شَرُّ النَّاسِ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ
وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : إِذَا أَحْدَثَ لَكَ الْعَدُوُّ صَدَاقَةً لِعِلَّةِ
الْجَآتِهِ إِلَيْكَ ، فَمَعَ ذَهَابِ الْعِلَّةِ رُجُوعُ الْعَدَاوَةِ ، كَأَمَّا أَنْ تَسْخِنَهُ
فَإِذَا أَمْسَكَتَ عَنْهُ عَادَ إِلَى أَصْلِهِ بَارِدًا
وَقَالَ دُرَيْدٌ :

وَلَا تَخْفَى الضَّعِيفَةُ حَيْثُ كَانَتْ وَلَا النَّظَرُ الْمَرِيضُ مِنَ الصَّحِيحِ .



الفصل العشرون

في المودة والأخوة

قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : الْمَوَدَّةُ وَالْأَخُوَّةُ سَبَبُ التَّأَلُّفِ ،
وَالتَّأَلُّفُ سَبَبُ الْقُوَّةِ ، وَالْقُوَّةُ حِصْنٌ مَنِيعٌ وَرُكْنٌ شَدِيدٌ .
وَبِهَا يُمْنَعُ الضَّيْمُ ، وَتُنَالُ الرِّغَابُ ، وَتَنْجَحُ الْمَقَاصِدُ
وَقَالَ زِيَادٌ : خَيْرٌ مَا أَكْتَسَبَ الْمَرْءُ الْإِخْوَانُ . فَإِنَّهُمْ مَعُونَةٌ
عَلَى حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَتَوَائِبِ الْحِدَتَانِ ، وَعَوْنٌ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَيْسَ عِنْدِي أَلَدٌّ مِنْ صَدِيقٍ
أَطْرَحَ مَعَهُ مَوْوَنَةً التَّحْظَرُ ^(١) . وَقَالَ بْنُ الْمُقَمَّرِ : الْأَخُ نَسِيبُ
الْجِسْمِ وَالصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا بِإِخْوَانِهِ كَمَا تُقْبَضُ الْكَفُّ بِالْمِنْصَمِ ^(٢)
وَلَا خَيْرَ فِي الْكَفِّ مَقْطُوعَةً وَلَا خَيْرَ فِي السَّاعِدِ الْأَجْدَمِ ^(٣)
وَمَا يُنْسَبُ إِلَى عَلِيٍّ :
عَلَيْكَ يَا إِخْوَانِ أَصْفَاءُ فَإِنَّهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَجَدَّتْهُمْ ^(٤) وَظُهُورٌ

(١) التصون والاحتراز (٢) المعصم ووضع السوار من الساعد أو اليد

(٣) المقطوع اليد أو الذاهب الأنامل (٤) استعنت بهم

وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفٌ خَلَّ وَصَاحِبٌ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرٌ
 وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَرَ فِي طَلَبِ
 الْإِخْوَانِ ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ
 وَقَالَ بْنُ عَائِشَةَ الْفَرَّاشِيُّ : مُجَالَسَةُ الْإِخْوَانِ مَسْلَاةٌ لِلْأَحْزَانِ
 وَقَالَ أَحَدُ الْفَصَّاحَاءِ : الصَّدِيقُ الْحَمِيمُ عُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ ،
 وَعُمْدَةٌ فِي الْيَحْنِ ، وَبَلَسْمٌ فِي النَّوَابِ ، وَزَرْهَمٌ فِي
 الشَّدَائِدِ

وَقَالَ آخَرُ : لَا تُسَاغُ (١) مَرَادَةُ الْأَوْقَاتِ إِلَّا بِحَلَاوَةٍ
 الْإِخْوَانِ الْثَمَاتِ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِرْفَةَ :

هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ
 نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جَسْمَيْنِ قُسِمَتْ فَجَسْمَانَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ : الْفَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَبِيبٌ
 وَقَالَ بْنُ الْمُعْتَرِ : مَنْ اتَّخَذَ إِخْوَانًا كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا

(١) يقال ساغ الشراب اذا هنا وسلس وسهل مدخله في الخلق

الفصل الحادي والعشرون

في اختيار الأصدقاء ومصاحبة إخوان الصلاح.

أوصى أمير المؤمنين أولاده قال : يا بني عاشرُوا النَّاسَ أَحْسَنَ عَشْرَةٍ بِحَيْثُ إِنْ غَبْتُمْ حَضُوا إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ قُفِدْتُمْ بَكُوا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِي إِنْ الْقُلُوبُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَحَّظُ بِالْمُودَةِ وَتَتَنَاجَى^(١) بِهَا وَكَذَلِكَ هِيَ فِي الْبَغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَرْجُوهُ . وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَحْذَرُوهُ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ : أَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وَدَّةٌ ، وَيَبْذُلُ لَكَ رِفْدَهُ^(٢) وَيَسْتَفْرِغُ فِي مُهِتِكَ^(٣) جَهْدَهُ . وَأَخٌ يَقْتَصِرُ بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يُجَامِلُكَ بِلِسَانِهِ وَيَسْتَقِيلُ عَنْكَ بِسَانِهِ وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : وَلَا خَيْرَ فِي صَحْبَةِ مَنْ لَا تَرَى لَكَ مِنْ الْحَقِّ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : شَرُّ الْإِخْوَانِ الْوَاصِلُ فِي الرِّخَاءِ الْمَاجِرُ عِنْدَ الشَّدَةِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِحْذَرِ مِنَ الْكَرِيمِ إِذَا أَهْتَهُ ، وَاللَّيِّمِ

(١) تتحدث وتتسار (٢) عطاءه (٣) المهيم الامر الشديد

إِذَا أَسْرَمَتْهُ ، وَالْمَاقِلِ إِذَا أَعْرَجَتْهُ ، وَالْأَحْقَقِ إِذَا مَازَحَتْهُ ،
وَالْفَاجِرِ إِذَا عَاشَرَتْهُ . وَقَالَ آخَرُ : الصَّدِيقُ النَّصُوحُ مِنْ بَصْرِكَ
مَوَاضِعَ رُشْدِكَ وَعَوَاقِبَ غَيْكِ

وَقَالَ الْبَاجِظُ : لَا تُجَالِسِ الْحَقِي فَإِنَّهُ يَعْلُقُ بِكَ مِنْ
مُجَالَسَتِهِمْ يَوْمًا مِنَ الْفَسَادِ مَا لَا يَعْلُقُ بِكَ مِنْ مُجَالَسَةِ الْعُقَلَاءِ
دَهْرًا مِنَ الصَّلَاحِ . فَإِنَّ الْفَسَادَ أَشَدُّ أَلِثَامًا بِالطَّبَائِعِ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ وَجِئْتُكَ كَانَ الْحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وَإِذَا صَبَوْتُ^(١) إِلَى الدَّمَامِ شَرِبْتُ مِنْ

أَخْلَاقِهِ وَسَكِرْتُ مِنْ آدَابِهِ
وَتَرَاهُ يُضْغِي لِلْحَدِيثِ بِطَرْفِهِ وَيَقْلِبُهُ وَلَعْلَهُ أَذْرَى بِهِ
وَأَنْشَدَ الْأَخْثَفُ بْنُ قَيْسٍ :

أُخْوِكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمِلَّةٍ

يُجِيبَكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ
وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَّلَاءِ : أَصْطَفِ مِنَ الْإِخْوَانِ ذَا الدِّينِ وَالْحَسَبِ
وَالرَّأْيِ وَالْأَدَبِ . فَإِنَّهُ رَدَّهُ^(٢) لَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ ، وَرُكْنُ عِنْدَ
نَائِبَتِكَ ، وَأَنْسٌ عِنْدَ وَحْشَتِكَ

(١) من صبا اليه اذا حنَّ (٢) عون

الْفَصْلُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

فِي مُعَايَةِ الصَّدِيقِ وَاسْتِيقَاءِ مَوْدَّتِهِ

قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةٌ مَا أَنْقَطَتْ .
لَا نَهُمْ إِذَا جَذَبُوهَا أَرْسَلْتُهَا وَإِذَا أَرْسَلُوهَا جَذَبْتُهَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : لَا
تَقْطَعُ أَخَاكَ عَلَى أَرْتِيَابٍ وَلَا تَهْجُرُهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ أَمْرًا تَكْرَهُهُ أَوْ
خَلَّةً لَا تُحِبُّهَا فَلَا تَقْطَعْ حَبْلَهُ وَلَا تَصْرِمَ^(١) وَدَّهُ . وَلَكِنْ دَاوِ
كَلِمَةً^(٢) وَأَسْتُرْ عَوْرَتَهُ وَأَبْقِهِ وَأَبْرَأْ مِنْ عَمَلِهِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدٌّ وَيَنْتَقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَنُ عَبَّاسٍ :

يَا صَدِيقِي الَّذِي بَذَلْتُ لَهُ الْوُدَّ وَأَثَرْتُهُ عَلَى أَحْسَانِي
إِنْ عَيْنًا قَذَيْتَهَا^(٣) لَتُرَاعِيكَ عَلَى مَا يَبْهَا مِنْ الْأَقْدَاءِ^(٤)
مَا لَهَا حَاجَةٌ إِلَيْكَ وَلَكِنْ هِيَ مَعْقُودَةٌ بِجَبَلِ الْوَفَاءِ

(١) تَقْطَعُ (٢) جَرَحَهُ (٣) يُقَالُ قَذَى عَيْنُهُ إِذَا أَلْقَى فِيهَا الْقَذَى

(٤) جَمَعَ الْقَذَى وَهِيَ التُّرَابُ الْمَدْقُوقُ

وَقَالَ الْأَخْفُ: مِنْ حَقِّ الصَّدِيقِ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ صَدِيقِهِ
ثَلَاثًا: ظُلْمَ الْقَصَبِ، وَظُلْمَ الدَّالَّةِ، وَظُلْمَ الْهَمْزِ
وَقَالَتِ الْحُكَمَا: مِمَّا يَجِبُ عَلَى الصَّدِيقِ لِصَدِيقِهِ الْإِغْضَاءُ
عَنْ زَلَاتِهِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ. فَإِنْ رَجَعَ وَأَعْتَبَ^(١). وَإِلَّا عَاتَبَهُ
بِلَا إِكْثَارٍ. فَإِنْ كَثُرَ أَلِيبَابِ مَدْرَجَةٍ^(٢) لِلْقَطِيعَةِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَعَيْنُ الْبُغْضِ تُبْرِزُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ الْحُبِّ لَا تَجِدُ الْعُيُوبَا
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا رَأَيْتُ أَنْحِرَافًا مِنْ أَخِي ثِقَّةً
صَاقَتْ عَلَيَّ بِرَحْبٍ^(٣) الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِ كَيْ أَكْفِيهِ
فَالْعَيْنُ غَضْبَى وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

دَارِ الصَّدِيقَ إِذَا اسْتَشَاطَ تَغِيْطًا فَالْغَيْطُ يُخْرِجُ كَامِنَ الْأَحْصَادِ



الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ

قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ
الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ قُوَّتَهَا وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيْلِي بِأَظْلَمِ
وَقَالَ بَعْضُ الْأُفَلَاءِ : فِي مُعَاقِبَةِ الظَّالِمِ أَعْظَمُ تَغْزِيَةٍ لِلْمَظْلُومِ
وَأَبْلَغُ تَخْذِيرٍ لِلظَّالِمِ مِنْ إِثْرَالِ الْعُقُوبَةِ وَإِنْ تَنَفَّسَتْ ^(١) مُدُّهُ
وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ : إِذَا ظَلَمْتَ مَنْ دُونَكَ عَاقَبَكَ مَنْ
فَوْقَكَ . وَقَالَ آخَرُ : وَمَنْ كَثُرَ ظُلْمُهُ وَأَعْتَدَاؤُهُ قُرْبَ هَلَاكِهِ
وَفَنَائِهِ ، وَمَنْ طَالَ تَعْدِيهِ كَثُرَتْ أَعَادِيهِ

وَجَاءَ فِي الْأَمْثَالِ : مَنْ حَقَرَ حَفِيرًا لِأَخِيهِ كَانَ حَقْفُهُ فِيهِ .
وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْعُدُوَانِ أَعْيَدَ فِي رَأْسِهِ . وَقِيلَ : اظْلُمُ مَرْتَعَهُ
وَحِيمٌ . وَشَرُّ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ ظُلْمُ الْعِبَادِ
وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَامِلٍ لَهُ : إِذَا دَعَاكَ قُدْرَتُكَ
إِلَى ظُلْمِ النَّاسِ فَأَذْكُرْ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

تَأَمَّتْ عُيُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَفَاضِلِ : دَعْوَتَانِ أَرْجُو إِحْدَاهُمَا وَأَخَافُ
الْأُخْرَى : دَعْوَةُ مَظْلُومٍ أَعْتَهُ ، وَضَعِيفٍ ظَلَمْتُهُ

وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ : لَا يَتَّبِعِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَكُونَ جَارِئًا وَمَنْ
عِنْدِهِ يُلْتَمَسُ الْعَدْلُ . وَلَا لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ سَفِيهًا وَمِنْ عِنْدِهِ
يُلْتَمَسُ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ

وَقَالَ أُنُوسُ بْنُ رَوَانَ : الْمَلِكُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعْيَتِهِ
كَانَ كَمَنْ يَغْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ قَوَاعِدِ بُنْيَانِهِ
وَقَالَ غَيْرُهُ : الْمَلِكَةُ تُخَصَّبُ بِالسَّخَاءِ ، وَتَغْمُرُ بِالْعَدْلِ ،
وَتَثْبُتُ بِالْعَقْلِ ، وَتُخْرَسُ بِالشَّجَاعَةِ ، وَتُسَاسُ بِالرَّئَاسَةِ .
وَقَالَ بْنُ الرُّومِيِّ :

وَإِنَّ الظُّلْمَ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ الْبُيْهِ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدَّدَ
ذَا عَفَا فَلَعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

الْفَصْلُ الرَّابِعُ وَالْإِسْرُوتَانِ

فِي الْإِعْتِدَالِ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ لِلْإِسْكَندَرِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ عَلَيْكَ بِالْإِعْتِدَالِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ عَيْبٌ وَالنَّقْصَانُ عَجْزٌ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ الْعَدْلَ مَاخُوذٌ مِنَ الْإِعْتِدَالِ . فَمَا جَاوَزَ الْإِعْتِدَالَ فَهُوَ خُرُوجٌ عَنِ الْعَدْلِ . وَلَسْتَ تَجِدُ فُسَادًا إِلَّا وَسَبْبُهُ الْخُرُوجُ فِيهِ مِنْ حَالِ الْعَدْلِ إِلَى مَا لَيْسَ بِعَدْلٍ مِنْ حَالَتِهِ . الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ

وَقَالَ عَلِيٌّ : خَيْرُ الْأُمُورِ التَّمْطُّ الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْعَالِي وَبِهِ يَلْحَقُ النَّالِي . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا

وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ : أَحْسَنُ الْأَحْوَالِ حَالٌ يُقْبِطُكَ بِهَا مِنْ دُونِكَ وَلَا يُجَرِّكُ مَعَهَا مِنْ فَوْقَكَ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : مَا جَاوَزَ الْحَدَّ لَا يُسَمَّى فَضِيلَةً . كَالشَّجَاعِ إِذَا زَادَ عَلَى حَدِّ الشَّجَاعَةِ نُسِبَ إِلَى التَّهَوُّرِ ^(١) . وَالسَّخِيَّ إِذَا زَادَ عَلَى حَدِّ السَّخَاءِ نُسِبَ إِلَى التَّبَذِيرِ

(١) التهور الوقوع في الامر بقلة مبالاة والوقوع في هلكة

وَقَالَ حَكِيمٌ : إِيَّاكَ وَمُقَارَقَةَ الْأَعْدَالِ . فَإِنَّ السُّرْفَ مِثْلُ
الْمَقْصَرِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْحَدِّ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَلَيْكَ يَا وَسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا^(١) وَلَا صَعْبًا
وَقَالَ الْجَرِيمِيُّ :

وَخَيْرُ حَالٍ أَلْتَقَى فِي الْقَوْلِ أَقْصَدُهَا^(٢)

بَيْنَ السَّيْلَيْنِ لَا عَيٌّْ وَلَا هَذَرٌ

الْفَصْلُ الْخَامِسُ وَالْمَشْرُونَ

فِي التَّائِي وَالْعَجَلَةِ وَالرَّفْقِ وَالْعَفْرِ

قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءَ : مَعَ الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ وَمَعَ التَّائِي السَّلَامَةُ .
وَقَالَ آخَرُ : مَنْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعٍ خَصَالٍ فَهُوَ
خَلِيقٌ أَنْ لَا يَنْزِلَ بِهِ مَكْرُوهٌ : اللَّجَاجُ^(٣) وَالْعَجَلَةُ وَالتَّوَانِي
وَالْعُجْبُ . فَثَمَرَةُ اللَّجَاجِ الْحَيْرَةُ . وَثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ . وَثَمَرَةُ
التَّوَانِي الذِّلَّةُ . وَثَمَرَةُ الْعُجْبِ الْبُغْضَةُ

(١) البعير الذلول ضد الصعب (٢) اعدلها والعدل التوسط (٣) التواذي

في العناد الى الفعل المزجور عنه

وَقَالَ بَعْضُ الْعَمَلَاءِ : إِذَا لَمْ يُدْرِكِ الظَّرْفُ بِالرَّفْقِ وَالثَّانِي
فِيمَاذَا يُدْرِكُ

وَقَالَ أَفْلَاطُونُ الْحَكِيمُ : لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ وَاطْلُبْ
تَجْوِيدَهُ . فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمِّ فَرْعٍ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى
إِتْقَانِهِ وَجُودَتِهِ

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَطْلُبُ أَمْرًا بِالْعَلَبَةِ ^(١) وَهُوَ يَقْدِرُ
عَلَيْهِ بِالْحُجَّةِ ، وَلِمَنْ يَطْلُبُهُ بِخُرْقٍ ^(٢) وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِرَفْقٍ :
وَقِيلَ : مَنْ أَسْرَعَ فِي الْجَوَابِ حَادَّ عَنِ الصَّوَابِ

وَقَالَ بَهْرَامُ جُورُ : يَدْنِي لِمَلِكٍ أَنْ لَا يُضَيِّعَ التَّيْتُ ^(٣) عِنْدَمَا
يَقُولُ وَيَفْعَلُ . فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَنِ الصَّنَةِ أَحْسَنُ مِنَ الرُّجُوعِ عَنْ
الْكَلَامِ . وَالْعَطِيَّةُ بَعْدَ الْمَنْعِ خَيْرٌ مِنَ الْمَنْعِ بَعْدَ الْعَطِيَّةِ ، وَالْإِقْدَامُ
عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ الثَّانِي خَيْرٌ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعَمَلَاءِ : إِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ فَإِنَّهَا تُكْنَى أُمُّ الدَّامَةِ .
لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ ، وَيُجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ ، وَيَعْزِمُ
قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ ، وَيَقْطَعُ قَبْلَ أَنْ يُقَدِّرَ ، وَيَخْمدُ قَبْلَ أَنْ يُجَرِّبَ ،
وَيَذُمُّ قَبْلَ أَنْ يَخْبَرَ . وَلَنْ تَصْحَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ أَحَدًا إِلَّا صَحِبَ
الدَّامَةَ وَجَانِبَ السَّلَامَةِ

(١) الغلبة القهر (٢) الحرق ضد الرفق (٣) الثاني

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : أَنَا^(١) فِي عَوَاقِبِهَا دَرَكٌ^(٢) خَيْرٌ مِنْ عَجَلَةٍ
فِي عَوَاقِبِهَا فَوْتُ^(٣) . وَقِيلَ : الرِّفْقُ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ
وَكُتِبَ عَلَى سَيْفٍ : التَّائِي فِي مَا لَا يُخَافُ فِيهِ الْقَوْتُ
أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ إِلَى إِدْرَاكِ الْأَمَلِ

الْفَصْلُ السَّادِسُ وَالْمِثْرُونَ

فِي التَّنْزِيهِ عَنْ اسْتِمَاعِ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ بِهِ
قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْبَةَ : نَزَّهَ سَمْعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَى^(٤) كَمَا تَنَزَّهَ
لِسَانُكَ عَنْ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ السَّامِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ رَجُلًا مُتَرَفِعًا عَنْ الْبَذَاءَةِ :
عَيْيُ عَنْ الْفَحْشَاءِ^(٥) أَمَّا لِسَانُهُ فَمَفٌّ وَأَمَّا طَرْفُهُ فَكَلِيلُ
وَقَالَ الشَّرِيفُ الرُّضِّيُّ :

إِذَا أَلْعَدُّوْا عَصَائِي خَافَ حَدَّ يَدَيِّ

وَعَرَضُهُ آمِنٌ مِنْ هَاجِرَاتِ^(٦) قَمِي

جَعَلْتُ سَمْعِي عَلَى قَوْلِ الْخَنَى حَرَمًا فَأَيُّ فَاحِشَةٍ تَدْنُو إِلَى حَرَمِي

(١) الاناة الرفق (٢) الدرك اللحاق والبلوغ والادراك (٣) الفوت ذهاب

الامر وعدم ادراكه وهو ضد الدرك (٤) الخنى الفحش في الكلام (٥) القبح
والاعتداء في القول (٦) الهاجرات الفضائح وكلبات فيها فحش

وَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

أَحِبُّ أَلْفَتِي يَنْفِي أَلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَانَ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقَرَأَ^(١)
سَلِيمَ دَوَاعِي الصَّدْرِ^(٢) لَا بِاسْطَا أَدَى

وَلَا مَانِعًا خَيْرًا وَلَا قَانِلًا هُجْرًا^(٣)

إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبِ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتْهُ عُذْرًا
وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

وَكَلِمَةٍ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ^(٤) سَمِعْتُ فَقُلْتُ مُرِّي فَأَنْفَذَنِي^(٥)
وَعَابُوهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَعْنِي وَلَمْ يَرْقَ لَهَا يَوْمًا جِيْنِي
وَقِيلَ لِيُزْجَمَهَر : مَنْ أَعْمَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَجْعَلْ
سَمْعُهُ غَرَضًا لِسَمَاعِ الْفَحْشَاءِ وَكَانَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّغَافُلُ

الْفَصْلُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْكَلَامِ وَالصَّنْتِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْزَمِ الصَّنْتَ إِلَّا عَنْ حَقٍّ تَوْضِيحُهُ أَوْ بَاطِلٍ
تَدْحِضُهُ^(٦) أَوْ حِكْمَةٍ تَنْشُرُهَا ، أَوْ نِعْمَةٍ تَذَكِّرُهَا
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَهَاءِ : أَحْسِنِ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ

(١) من وقرت اذنه اذا ثقلت او ذهب سمعه كله (٢) دواعي الصدر همومه

(٣) المهجر القبيح من الكلام (٤) الجرم الذنب (٥) من نفذه اذا جاز عنه

(٦) تبطله

أَوْ يُتْلَفَ نَفْسَكَ . فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يَقْصُرُ
عَنِ الصَّوَابِ وَيُسْرَعُ إِلَى الْجَوَابِ

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : السُّكُوتُ عَمَّا يَعْنِيكَ خَيْرٌ مِنْ
الْكَلَامِ فِي مَا يَضُرُّكَ ، وَالسُّكُوتُ عَمَّا لَا يَضُرُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ
فِي مَا لَا يَعْنِيكَ

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادٌ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدِيدِ سَدَادٌ
وَقَالَ بَطْلِيمُوسُ : أَفْرَحَ بِمَا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ مِنْ الْخَطَا أَكْثَرَ مِنْ
فَرَحِكَ بِمَا نَطَقْتَ بِهِ مِنَ الصَّوَابِ

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ
فَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامٍ مِنْهُمْ فَوْقَكَ فَيَسْتَفْلُوكَ ، وَلَا بِكَلَامٍ مِنْ
هُمْ دُونَكَ فَيَزِدُّوكَ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُقَلَّاءِ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَأَكْثَرُهُمْ عَنَاءً مَنْ
لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ وَقَلْبٌ مُطَبَّقٌ ^(١) فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا
يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ . وَعَنِ الْحَدِيثِ : أَنْتَ سَائِلٌ مَا سَكَتَ ، فَإِذَا
تَكَلَّمْتَ فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ

وَقَالَ آخَرُ : رَبُّ أَلْسِنَةٍ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ أَعْنَاقَ أَصْحَابِهَا .
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ أَعْجَبَ بِقَوْلِهِ كَثُرَ زَلُّهُ وَقَلَّ سَامِعُوهُ .
وَلَيْسَ لِكَثْرَةِ الْهَذَرِ نَفْعٌ يُؤَارِي " ضَرَّهُ
وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : لَأَنْ أَرَى لِعَقْلِ الرَّجُلِ فَضْلًا عَلَى لِسَانِهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى لِسَانِهِ فَضْلًا عَلَى عَقْلِهِ
وَقَالَ آخَرُ : الْكَلَامُ فِي الْخَيْرِ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّنَةِ ،
وَالصَّنَةُ فِي الشَّرِّ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلَامِ .
وَأَجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِمِ مِنَ الْبَصِيرِ وَالْهِنْدِ
وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا : يَتَّبِعِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ مَنَا بِكَلِمَةٍ تُدَوِّنُ
عَنْهُ عَلَى غَايِرِ الذَّهْرِ " . قَالَ مَلِكُ الْبَصِيرِ : أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ
أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمَ
بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ " .
وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي ، وَإِذَا لَمْ
أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتْهَا . وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ : مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ
بِهِ قَطُّ وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا

الفصل الثامن والعشرون

في كتمان السر

قال عمرو بن العاص : الصدور خزان الأسرار والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها . فليحفظ كل امرئ مفتاح سره .
وقال بعض الفصحاء : من عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها . وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزانها كان أضعف لها

وقال أنوشروان : من حصن سره قلعه بتحصينه خصلتان :
الظفر بحاجته والسلامة من السطوات . وقيل : أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره ، وأقواهم من قوي على غضبه ، وأصبرهم من ستر فاقته ، وأغناهم من قنع بما يسر له .
وقال معاوية : الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة أن تثقل صداقته فيضيع سره

قال بعض الحكماء لا ينه : يا بني كن جواداً بالمال في موضع الحق ، ضيقاً بالأسرار على جميع الخلق . فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه الغير والبخل بمكتوم السر

وَقَالَ عَلِيٌّ : سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ
 وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءَ : ثَلَاثَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْكُفْرِ : إِفْشَاءُ السِّرِّ
 وَغَيْبَةُ الْأَحْرَارِ ، وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ
 وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : مَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى أَحَدٍ
 قَطُّ فَأَفْشَاهُ فَلَمْ تَهْ إِذْ كَانَ صَدْرِي بِهِ أَضِيقَ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ وَأَفْشَيْتَهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
 فَإِنْ عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسَرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الْمَلُومُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءَ : إِظْهَارُ الرَّجُلِ سِرِّ غَيْرِهِ أَقْبَحُ مِنْ
 إِظْهَارِ سِرِّ نَفْسِهِ . لِأَنَّهُ يَبُوءُ ^(١) بِإِحْدَى وَصَتَيْنِ ^(٢) : الْخِيَانَةَ إِنْ
 كَانَ مُوْتَمَنًا . وَالنَّمِيمَةَ إِنْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا

الْفَصْلُ الثَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْمَشُورَةِ

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءَ : يَتَّبِعِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُضِيفَ إِلَى رَأْيِهِ رَأْيَ
 الْعُقَلَاءِ ، وَيَجْمَعُ إِلَى عَقْلِهِ عُقُولَ الْحُكَمَاءِ . فَإِنَّ الرُّأْيَ الْفَذَّ رُبَّمَا زَلَّ ،
 وَإِنَّ الْعَقْلَ الْفَرْدَ رُبَّمَا ضَلَّ

(١) يقر (٢) الوصة العيب

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: لَأَنْ أَخْطِيَ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَّدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ فَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: الْخَطَاةُ مَعَ الْإِسْتِشَارَةِ أَحَدٌ مِنَ الصَّوَابِ مَعَ الْإِسْتِبْدَادِ

وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بُرَيْدٍ: الْمَشَاوِرُ بَيْنَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا صَوَابٍ فَيَفُوزَ بِشَرِّهِ أَوْ خَطَاٍ فَيُشَارَكَ فِي مَكْرُوهِهِ

وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيْهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةٌ : مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ ، وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ ، وَحُسْنُ التَّنَبُّطِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةٌ : الْإِسْتِبْدَادُ ، وَالتَّهَانُ ، وَالْعَجَلَةُ

أَوْصَى رَجُلٌ ابْنَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَدَارَ بَيْنَهُمْ تَدْيِيرٌ فَلَا تُعْجِلْ بِالْجَوَابِ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَهُمْ وَلَا تَتَكَبَّرَ عَنْ مُتَابَعَتِهِمْ إِذَا ظَهَرَ لَكَ الْحَقُّ . فَإِنَّ الْمَتَابَعَةَ عَلَى الصَّوَابِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِسْتِدَاءِ بِالْخَطَا . وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ إِصَابَتَكَ الرَّأْيِ بَعْدَ خَطَا الْقَوْمِ أَحَدٌ لَكَ مِنْ إِصَابَتِكَ قَبْلَ كَلَامِهِمْ . فَإِنَّهُ لَا يُعْرِفُ فَضْلَ رَأْيِكَ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِمَا عِنْدَهُمْ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَتِينُ الْقَوْلُ السَّيِّدُ مِنَ السَّفِيهِ ، وَالرَّأْيُ الرَّشِيدُ مِنَ الْكَرِيهِ . وَمَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَلِمَ مَوَاضِعَ الْخَطَا

الفصل الثلاثون

في الانتصاح والآتماظ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : النَّصِيحَةُ مُرَّةٌ لَا يَفْلَحُ إِلَّا أُولُو الْأَلْزَمِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءَ : مَنْ أَوْجَرَكَ ^(١) الْمُرُّ كَبُرَ أَشْفَقُ عَلَيْكَ
يَمَنْ أَوْجَرَكَ الْحُلُو لَسَقَمَ
وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءَ : مَنْ لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَةَ أَصْحَابِهِ عَادَ ضَرَرُهُ
عَلَيْهِ . كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَتْرُكُ مَا يَصِفُ لَهُ الطَّيِّبُ وَيَعْبُدُ ^(٢) لِمَا
يَشْتَهِي فِيهِكَ
وَلِلَّهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ :

لَا تَخْفَرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
فَالذُّرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى مَا حَظَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ النَّاقِصِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءَ : مَنْ أَحَبَّ نَهْكَ وَمَنْ أَبْغَضَ أَغْرَاكَ
وَقَالَ لُقْمَانُ : الْمَوْعِظَةُ كَشَقُّ عَلَى السَّفِيهِ كَمَا يَشَقُّ صُعُودُ
الْوَعْرِ ^(٣) عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ . وَقَالَ بَنُ شَبْرَمَةَ : إِذَا كَانَ الْبَدَنُ
سَقِيمًا لَمْ يَنْفَعَهُ الطَّعَامُ وَلَا الشَّرَابُ . وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مُغْرَمًا يَحِبُّ
الدُّنْيَا لَمْ تَنْجَعْ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ

(١) من اوجره الدواء اذا صبه في فمه (٢) يقصد (٣) الوعر ضد السهل

شَاوَرَ الْمُؤْمُونَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ فَكَانَ الرَّأْيُ مُخَالَفًا لِهَوَى
 الْمُؤْمُونَ . فَقَالَ يَحْيَى : مَا أَحَدٌ بَالِغٌ فِي نَصِيحَةِ الْمُلُوكِ إِلَّا
 اسْتَشْشَوْهُ . قَالَ : وَلَمْ يَأْيَحْيَى . قَالَ : لِيَصْرِفِهِ لَهُمْ عَمَّا يُحِبُّونَ إِلَيَّ
 مَا لَعَلَّهُمْ يَكْرَهُونَ فِي الْوَقْتِ . وَالْهَوَى إِلَهٌ مَعْبُودٌ

الْفَصْلُ الْحَادِي وَالْثَلَاثُونَ

فِي الصَّبْرِ وَالْثَّانِي فِي الشِّدَّةِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : أَفْضَلُ الْعُدَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الشِّدَّةِ .
 وَقَالَ بْنُ مُبَارَكٍ : الْمُصِيبَةُ وَاحِدَةٌ فَإِذَا جَزَعَ صَاحِبُهَا فُهِمَا اثْنَتَانِ .
 لِأَنَّ إِحْدَاهُمَا الْمُصِيبَةُ بِمَعْنَاهَا ، وَالْثَانِيَةُ ذَهَابُ أَجْرِهِ وَهُوَ أَعْظَمُ
 مِنَ الْمُصِيبَةِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي مَا قَدْ مُنِيتَ ^(١) بِهِ

فَالصَّبْرُ يُذْهِبُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حَرَجٍ ^(٢)

كَمْ لَيْلَةٌ مِنْ لَيَالِي الدَّهْرِ مُظْلِمَةٌ

قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صُبْحٌ مِنَ الْقَرَجِ

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَأِنِّي لَا أَغْضِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى

وَأَلْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَيْضًا أَبْلَجًا^(١)

وَأِنِّي لَا دَعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقُ

عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَنْفَرَجَا^(٢)

وَكَمْ مِنْ فِتْيَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ

أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا أَلْفَتِي

ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ^(٣) حَلَقَاتُهَا^(٤)

فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرِجُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا نَالَكَ الدَّهْرُ بِالْحَادِنَاتِ فَكُنْ رَاطِطَ الْجَاشِ صَعْبَ الشَّكِيمَةِ

وَلَا تُهِنِ النَّفْسَ عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ لِلنَّفْسِ قِيمَةٌ

فَوَاللَّهِ مَا لَقِيَ الشَّامِتُونَ بِأَحْسَنَ مِنْ صَبْرِ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ

(١) مشرقاً مضيقاً (٢) يتكشف (٣) تمكنت (٤) دواثرها

كَانَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: مَعْرُوفُ زَمَانِنَا مُنْكَرٌ ^(١) زَمَانٍ قَدْ مَضَى .
وَمُنْكَرُهُ مَعْرُوفُ زَمَانٍ لَمْ يَأْتِ

مَنْ تَصَوَّرَ عُقْبَى أَمَانِيهِ وَجَدَوَى ^(٢) يَثْبِتِهِ عَلَيْهِ أَنْ ذَلِكَ مِنْ
أَرْبَحِ بَضَائِعِ جَاهِهِ وَأَقْوَى شُفَعَاءِ تَقْدِيمِهِ ، مَعَ مَا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ
مِنَ الْغَيْرِ وَيُقَابِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْظَامِ

وَقَالَ بْنُ الْمَقْعَعِ : الْإِسْطِطَالَةُ ^(٣) لِسَانُ الْجَهَالَةِ . وَكَفَّ
النَّفْسَ عَنْهَا بِمَا يَصُدُّهَا مِنَ الزَّوَاجِرِ ^(٤) أَسْلَمَ . وَهُوَ بِذِي
الْمُرُوءَةِ أَجْمَلُ

مَنْ أَشْرَعَ نَفْسَهُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَامِرِهِ . وَاتَّقَاهُ فِي
زَوَاجِرِهِ ، وَأَلْزَمَهَا مَا أَلْزَمَ مِنْ طَاعَتِهِ . وَحَذَرَهَا مَا حَذَرَ مِنْ
مَنْصِيئَتِهِ ، وَأَعْلَمَهَا أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ضَمِيرٌ ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الْمُحْسِنَ
وَيُكَافِي الْمُسِيءَ ، أَنْفَادَتْ إِلَى الْكَفِّ عَنِ الْمَآثِمِ وَالصَّدِّ
عَنِ الْمَخَارِمِ

النَّاسُ لَا يُثَبِّتُهُمُ الْقَوْلُ دُونَ الْفِعْلِ . وَدَوْنَهُ كَالصَّدَى إِنْ
رَدَّ صَوْتًا لَمْ يُجِدْ نَفْعًا

لِكُلِّ حِينٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَمْرِ خُلُقٌ ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ
أَوْقَاتِ الْبَدَنِ عَمَلٌ . فَإِنْ تَخَلَّفَتْ فِي كِبَرِكَ بِأَخْلَاقِ الصِّغَرِ

(١) المنكر ضد المعروف (٢) نفع (٣) التطاول (٤) الروادع والموانع

وَتَعَايَلَيْتَ أَفْعَالُ الْفَكَاهَةِ وَالْبَطَرِ اسْتَصْنَعَكَ مَنْ هُوَ أَصْنَرُ وَحَقَّرَكَ
مَنْ هُوَ أَحَقَرُ

كُنْ أَيُّهَا الْعَاقِلُ مُقْبِلًا ^(١) عَلَى شَأْنِكَ ، رَاضِيًا عَنْ زَمَانِكَ ،
سَلَامًا لِأَهْلِ دَهْرِكَ ، جَارِيًا عَلَى عَادَةِ عَصْرِكَ ، مُنْقَادًا لِمَنْ قَدَّمَ
النَّاسُ عَلَيْكَ ، مُتَحَنِّنًا عَلَى مَنْ قَدَّمَكَ النَّاسُ عَلَيْهِ . وَلَا تُبَايِنُهُمْ
بِالزُّلَّةِ عَنْهُمْ فَيَمُتُّوكَ ، وَلَا تُجَاهِرُهُمْ بِالْمُخَالَفَةِ لَهُمْ فَيُعَادُوكَ .
فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لِمَمُوتٍ ، وَلَا رَاحَةَ لِمُعَادِي

إِجْمَلْ نَضَحَ نَفْسِكَ غَيْمَةَ عَقْلِكَ . وَلَا تُدَاهِنَهَا بِإِخْفَاءِ عَيْنِكَ
وَإِظْهَارِ عُذْرِكَ . فَإِنَّ ذَلِكَ يُغْرِيهَا وَيَحِلُّهَا عَلَى أَنْ تَرْكَبَ هَوَاهَا
وَتَتِمَّادَى فِي غَيْبِهَا حَتَّى تَتَوَرَّطَ وَتُوقِعَكَ فِي شَرِّ الْمَهَالِكِ

أَصْلِحْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ يَكُنِ النَّاسُ تَبَعًا لَكَ . فَقَدْ قِيلَ : مَنْ
أَصْلَحَ نَفْسَهُ أَرْغَمَ أَنْفَ أَعَادِيهِ . وَمَنْ أَعْمَلَ جِدَّهُ بَلَغَ كُنْهَ ^(٢)
أَمَانِيهِ . . . مَنْ عَرَفَ مَعَابَهُ ^(٣) فَلَا يَلُمُ مَنْ عَابَهُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَصْرُوفَةٌ عَيْنَاهُ عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِ

وَلَوْ بَانَ عَيْبٌ مِنْ أَخِيهِ لَا بُصْرًا

(١) اقبل على الامر لزمه واخذ فيه (٢) غاية (٣) نقصه

قَالَ أَكُتْمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ
هُوَ دُونَكَ

أَفْضَلُ مَا أَذْخَرْتَ التَّوْبَى ، وَأَجْمَلُ مَا لَيْسَتْ الْوَرَعُ ،
وَأَحْسَنُ مَا أَكْسَيْتَ الْحَسَنَاتُ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَعِلَاجُ الْأَبْدَانِ أَيْسَرُ خَطْبًا حِينَ تَعْتَلُّ مِنْ عِلَاجِ الْعُقُولِ
وَقَالَ آخَرُ :

لَيْسَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَحْيِي فَرِيَسَتَهُ عِنْدَ الْفِتَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ
لَكِنْ مَنْ كَفَّ طَرَفًا أَوْ ثَنَى قَدَمًا عَنِ الْحَرَامِ فَذَاكَ الْقَارِسُ الْبَاطِلُ
وَقَالَ آخَرُ :

لَيْسَ الْبَلِيَّةُ فِي أَيَّامِنَا عَجَبًا بَلِ السَّلَامَةُ فِيهَا أَعْجَبُ الْعَجَبِ
مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ

وَقَالَ لُثْمَانُ : لَا تَمْتَطِ الْأَمَلَ وَالرَّجَاءَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَالٍ ،
فَإِنَّهُمَا يَسُوقَانِ الرَّجُلَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ إِلَى الْمَكْرُوهِ يَسْهُوَلُهُ
رُبَّمَا كَانَ حَنْفُ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

لَمَّا حَضَرَتْ يُونَانَ الْوَفَاةُ أَوْصَى ابْنَتَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ
وَفَيْتُ الْأَجَلَ وَقَرَّبْتُ مِنَ الْحَتَمِ ^(١) وَإِنِّي رَاحِلٌ عَنْكَ وَمُقَارِفُكَ

وَمُفَارِقُ أَهْلِ بَيْتِكَ وَإِخْوَتِكَ . وَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُكُمْ حَسَنَةً
النِّظَامِ . وَكُنْتُ لَكُمْ كَهْفًا فِي الشَّدَائِدِ وَعَوْنًا عَلَى الْيَحْنِ وَمَجْنًا^(١)
فِي الرِّزَايَا . فَعَلَيْكَ بِالْجُودِ فَإِنَّهُ قُطْبُ^(٢) الْمُلْكِ وَمِفْتَاحُ السِّيَاسَةِ
وَبَابُ الرِّئَاسَةِ وَدَرَجُ السِّيَادَةِ . وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى اقْتِنَاءِ الرِّجَالِ
بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ تَكُنْ سَيِّدًا رَشِيدًا . وَإِيَّاكَ وَالْحَيْدَةَ عَنْ الطَّرِيقَةِ
الْمُلْتَى الَّتِي عَلَيْهَا مَبْنَى الْعَقْلِ . فَإِنْ مَنْ تَرَكَ رَأْيَ اللَّبِّ وَثَمَرَةَ
الْعَقْلِ تَوَرَّطَ فِي الْمَهَالِكِ وَوَقَعَ فِي الْمَتَاعِبِ

قَالَ عَلِيٌّ : إِذَا قَوِيَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ انْقَطَعَ إِلَى الرَّأْيِ .
وَإِذَا ضَعُفَتْ انْقَطَعَ إِلَى الْبَخْتِ

وَمِنْ وَصِيَّةِ بَعْضِ الْحُكَّامِ : اطْلُبْ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمَ وَالْمَالَ
تَحْزُرِ الرِّئَاسَةَ عَلَى النَّاسِ . لِأَنَّهُمْ بَيْنَ خَاصٍّ وَعَامٍّ . فَالْخَاصَّةُ
تُفْضِلُكَ بِالْعِلْمِ ، وَالْعَامَّةُ تُفْضِلُكَ بِالْمَالِ . وَالنِّسْرُ الرِّفْعَةُ
بِالتَّوَاضُعِ ، وَالشَّرَفُ بِالذِّينِ . وَأَصْلِحْ مِنْ غُيُوبِ نَفْسِكَ مَا
يَسْتَقْبِلُكَ فَسَادُهُ إِنْ لَمْ تُصْلِحْهُ . وَصْنِ عَقْلَكَ بِالْعِلْمِ ، وَرُوءَ نَفْسِكَ
بِالْعَفَافِ ، وَعِلْمَكَ بِمُجَانِبَةِ الْخِيَلَاءِ ، وَخَلْقَكَ بِالْإِجْمَالِ فِي
الطَّلَبِ . وَإِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ أَحَدٍ شَرٌّ فَلَا تَعْقِدِ الشَّرَّ
بِقَلْبِكَ وَلَا تَطْوِعْ عَلَيْهِ سِرِّكَ . وَقَلِّلِ التَّفَقُّدَ لِعُيُوبِ النَّاسِ يَقِلَّ

تَقْدُّ النَّاسَ لِعَيْكَ . وَاحْذَرِ أَنْ يَحْطُكَ التَّهَؤُنُ عَمَّا دَقَّكَ إِلَيْهِ
التَّحَقُّطُ . وَاحْذَرِ الْجَاهِلَ إِنْ كَانَ لَكَ نَاصِحًا كَمَا تَحْذَرُ عَدَاوَتَهُ
إِذَا كَانَ غَاشًا . وَلَا تَصْحَبْ مَنْ يَكُونُ اسْتِمْتَاعُهُ بِمَا لَكَ
وَجَاهُكَ أَكْثَرَ مِنْ إِمْتَاعِهِ لَكَ بِشُكْرِ لِسَانِهِ وَفَوَائِدِ عَمَلِهِ . وَمَنْ
كَانَتْ غَايَتُهُ الْإِحْتِيَالُ عَلَى مَا لَكَ وَإِطْرَاكَ فِي وَجْهِكَ فَإِنَّ هَذَا
لَا يَكُونُ إِلَّا رَدِيءَ النَّيْبِ سَرِيعًا إِلَى الدِّمْرِ . وَاجْعَلِ اخْتِيَارَكَ
لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَفْعَالِهِ خُصُوصًا لَا مِنْ أَقْوَالِهِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
أَفْعَالُهُمْ رَدِيئَةٌ وَأَقْوَالُهُمْ سَدِيدَةٌ . وَطَهِّرْ قَلْبَكَ مِنْ دَنَسِ الْبُخْلِ
بِمُجَانِبَتِهِ ، وَارْفَعْ نَفْسَكَ عَنْ مُصَاحَبَةِ أَهْلِهِ ، وَزَرِّهْ سَمْعَكَ عَنْ
قَبِيحِ ذِكْرِهِ . فَلَدَاءُ أَدْوَاءِ الْبُخْلِ ، وَلَا حَالَ أَنْكَرُ مِنْ
مُصَاحَبَةِ أَهْلِهِ . وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَنْعِمَ فِيهَا فَضْلُ عَنْكَ
فَاعْلَمْ أَنَّ فِيهَا نَصِيبًا لغيرِكَ فَتَسْرِعْ إِلَى إِخْرَاجِهِ تَأْمِنَ بِنَفْسِهِ
إِلَّا اسْتَدْرَاكَ



الباب الرابع

في اللطائف

قَتْلُهُ بِكَثْرَةِ فُضُولِهِ

أَكْبَ^(١) رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ يُحَدِّثُهُ فِي
يَوْمٍ صَيْفٍ وَيُسْمُهُ وَيُقِلُّ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِي مَنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنَّا فِي الْإِسْلَامِ
قَالَ : وَمَنْ هُمْ . قَالَ أَنَا . قَتَلْتَنِي الْيَوْمَ بِطُولِ حَدِيثِكَ
وَكَثْرَةِ فُضُولِكَ

الْبَرَاءَةُ فِي الشَّكْوَى

تَظَلَّمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مِنْ وَالِيهِمْ فَشَكَّوهُ إِلَى الْمُأْمُونِ . فَقَالَ :
مَا عَلِمْتُ مِنْ عُمَالِي أَعْدَلَ وَلَا أَقْوَمَ^(٢) بِأَمْرِ أُرْعِيَّةٍ وَلَا أَعْوَدَ^(٣)
بِالرَّفَقِ عَلَيْهِمْ^(٤) مِنْهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا أَحَدٌ أَوْلى بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ مِنْكَ . فَإِنْ كَانَ يَهْدِيهِ الصِّفَّةُ
فَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤَيِّدَهُ بَلَدًا بَلَدًا حَتَّى يَلْحَقَ كُلُّ بَلَدٍ مِنْ

(١) اكب على الرجل اقبل عليه وازمه (٢) من قام بامرء اذا تولاه (٣) من

عاد عليه بالمعروف اذا افضل (٤) من رفق به وعليه اذا لطف به

عَدْلِهِ مِثْلُ الَّذِي لَحِقْنَا . وَيَأْخُذَ بِقِسْطِهِ ^(١) مِنْهُ كَمَا أَخَذْنَا . وَإِذَا
فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُصِبْنَا مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ . فَضَحِكَ الْمُأْمُونُ
مِنْ قَوْلِهِ وَعَزَّ لَهُ عَنْهُمْ

فِي الثَّانِي سَلَامَةٌ وَفِي الْعَجَلَةِ نَدَامَةٌ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ وَقَدْ أَتَى بِقَوْمٍ فَأَمَرَ
بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ الَّذِي جَعَلَ
السَّجْنَ كَانَ حَكِيمًا . جَعَلَهُ قِيدًا لِلْعَجَلَةِ وَبَابًا إِلَى التَّثَبُّتِ وَسَبَبًا إِلَى
الْأَنَانَةِ . فَمَلِكِكَ بِالتَّوَدُّعِ ^(٢) وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ . فَأَنْتَ عَلَى عُمُودِنَا
أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّهَا . فَأَمَرَ بِحَبْسِهِمْ ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ

خِلَالُ الْقَاضِي

رُوِيَ عَنِ الرَّشِيدِ أَنَّهُ أَحْضَرَ رَجُلًا يُؤَلِّيه الْقَضَاءُ . فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَا أَحْسِنُ الْقَضَاءَ وَلَا أَنَا فَعِيهِ . فَقَالَ الرَّشِيدُ :
فِيكَ ثَلَاثُ خِلَالٍ : فِيكَ شَرَفٌ وَالشَّرَفُ يُنْعِمُ أَهْلَهُ مِنَ الدَّنَاءَاتِ .
وَلَكَ حِلْمٌ وَالْحِلْمُ يَنْتَعِمُ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُعَجِّلْ قَلَّ خَطَاؤُهُ .
وَأَنْتَ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فِي أَمْرِكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ كَثُرَ صَوَابُهُ . وَأَمَّا
الْفِقْهُ فَسَيَنْتَضِمُ إِلَيْكَ مَنْ تَفَقَّهَ بِهِ . قَوْلِي فَمَا وَجَدَ فِيهِ طَعْنَ

الرَّجُلُ يُشْرِفُ عَمَلَهُ

عَزَلَ الْإِسْكَندَرُ عَامِلًا عَنْ عَمَلِ نَفْسِهِ وَوَلَّاهُ عَمَلًا خَسِيسًا . فَقَدِمَ عَلَيْهِ بَعْدَ حِينٍ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ عَمَلَكَ . قَالَ لَهُ : أَتَيْتُ الْمَلِكُ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْعَمَلِ الْكَبِيرِ يَنْبُلُ الرَّجُلُ لَكِنْ الرَّجُلُ يَنْبُلُ عَمَلُهُ بِهِ وَإِنْ كَانَ خَسِيسًا لِحُسْنِ السَّيْرِهِ وَإِنْصَافِ الرَّعِيَةِ

زِينَةُ النَّفْسِ تَجْلِبُ زِينَةَ الْجِسْمِ

دَخَلَ يَوْمًا رَجُلٌ رَثًا الْهَيْئَةَ عَلَى الْإِسْكَندَرِ ، فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ وَسُئِلَ فَأَصَابَ الْجَوَابَ . فَقَالَ لَهُ الْإِسْكَندَرُ : لَوْ أُعْطِيتَ جِسْمَكَ حَقُّهُ مِنَ الزَّيْنَةِ كَمَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ حَقَّهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ لَأَشْبَهَ بَعْضُكَ بَعْضًا . فَقَالَ لَهُ : أَتَيْتُ الْمَلِكُ أَمَا الْكَلَامُ فَأَقْدِرُ عَلَيْهِ فَإِنِّي مَا لِكُنْهُ . وَأَمَّا الزَّيْنَةُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا لِأَنِّي لَا أَمْلِكُهَا . فَعَلِمَ الْإِسْكَندَرُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ فَخَلَغَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ

الْعَرَاءُ بِأَصْغَرِنِهِ

دَخَلَ ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مَلِكُ الْحَبِيرَةِ وَالْيَمَامَةِ . وَكَانَ ضَمْرَةُ ذَا عَقْلٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ دَمِيمَ الْخِلْقَةِ قَصِيرَ الْقَامَةِ ، وَكَانَ ذِكْرُهُ قَدْ شَاعَ فِي الْأَفَاقِ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ . فَلَمَّا رَأَاهُ

الْئِذْ احْتَمَرَهُ لِدَمَامَةٍ خَلَقْتَهُ وَقَصَرَ قَامَتِهِ . فَقَالَ : لَأَنْ تَسْمَعَ
بِالْمُعِيدِي^(١) خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ . فَقَالَ لَهُ ضَمْرَةٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَيْسَ
الْمَرْءُ يَحْسُنُهُ وَجَمَالُهُ وَبَهَائُهُ وَكَمَالُهُ وَهَيْئَتُهُ وَرِثَائِهِ . لَا وَاللَّهِ حَتَّى
يُشْرِفَهُ أَصْفَرَاهُ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ وَيَعْلَوْ بِهِ أَكْبَرَاهُ هِمَّتُهُ وَلُبُّهُ^(٢)

عَزِيزُ النَّفْسِ يَتَعَبَّدُ عَلَى نَفْسِهِ

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ وَعَمَرُو يَوْمَئِذٍ
غُلَامٌ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : إِلَى مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ يَا عَمْرُو . قَالَ :
إِنْ أَبِي أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوصِ يَ . قَالَ وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَوْصَاكَ . قَالَ :
أَوْصَانِي إِلَّا يَفْقِدَ إِخْوَانُهُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصَهُ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَصْحَابِهِ :
إِنْ ابْنُ سَعِيدٍ هَذَا سَيَكُونُ نِعَمَ الْخَلْفِ لِأَبِيهِ

فَضْلُ الْكُتُبِ

دَخَلَ الْمُأْمُونُ يَوْمًا عَلَى ابْنِهِ هُرُونَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَقَالَ :
مَا هَذَا . قَالَ : كِتَابٌ يَشْحَدُ الْفِطْنَةَ وَيُغْنِي عَنِ الْعِشْرَةِ . فَقَالَ
الْمُأْمُونُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي ذُرِّيَّةً^(٣) يَرَى بِعَيْنِ عَقْلِهِ
أَكْثَرَ مِمَّا يَرَى بِعَيْنِ جِسْمِهِ

(١) تصغير معدي . والعبارة مثل يضرب للرجل له صيت وذكر في الناس

فاذا رأيته ازدريت مرآته (٢) عقله (٣) الذرية ولد الرجل

وَجُوبُ الْقَمَلِ

قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ : إِنِّي أَتَشْرُ مُصْحَفِي ^(١) فَأَقْرَأُهُ بِالنَّهَارِ كُلَّهُ . فَقَالَ : أَقْرَأُهُ بِالْفَدَاةِ وَالْعَشِيِّ وَيَكُونُ يَوْمُكَ فِي حِرْفَتِكَ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ

ذَمُّ الشَّرَابِ

قِيلَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ : لِمَ تَرَكْتَ الشَّرَابَ وَهُوَ يَزِيدُ فِي سَمَاتِكَ . فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَصْبِحَ سَيِّدَ قَوِيٍّ وَأَمْسِي سَفِيهَهُمْ

حُسْنُ التَّخْلِصِ

لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ قَصْرَهُ حِيَالَ ^(٢) قَصْرِ الْمُأْمُونِ قِيلَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَاهَاكَ ^(٣) وَبَارَاكَ ^(٤) قَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ بَنَيْتَ هَذَا الْقَصْرَ مُحَازِيًا لِقَصْرِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّتْ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ فَجَعَلْتُهُ نُصَبَ عَيْنِكَ . فَاسْتَحْسَنَ الْمُأْمُونُ جَوَابَهُ وَأَجْزَلَ عَطِيَّتَهُ

سَيِّدُ الْقَرَبِ

وَقَدْ حَاجِبُ بْنُ زُرَّادَةَ عَلَى بَابِ كِسْرَى وَكَانَ قَدْ مَنَعَ تَيْمَـ

(١) المصحف الكراسية وقد غلب على القرآن (٢) قبالة (٣) فاخره

في الحسن (٤) عارضك اي فعل مثل فعلك

رَيْفَ الْإِرَاقِ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : قُلْ لِلْمَلِكِ أَنْ يَأْتِيَ بَابَ رَجُلٍ مِنَ
 الْعَرَبِ يُرِيدُ الْوُقُودَ عَلَيْكَ وَالْمَثُولَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَأَعْلَمَ الْحَاجِبُ
 كِسْرَى بِمَا قَالَ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ .
 قَالَ : سَيِّدُ الْعَرَبِ . قَالَ : أَلَسْتَ الْقَائِلَ لِلْحَاجِبِ إِنَّكَ رَجُلٌ
 مِنْهُمْ . قَالَ : نَعَمْ . قُلْتَ ذَلِكَ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْكَ وَمُثُولِي بَيْنَ
 يَدَيْكَ فَأَمَّا وَقَدْ حَظِيتُ بِرُؤْيَيْكَ فَقَدْ صِرْتُ سَيِّدَ الْعَرَبِ . فَقَالَ
 كِسْرَى زِدْهُ وَأَمْرًا أَنْ يُخْشَى فَمُهُ دُرًّا

الْمَرْوَةُ الصَّحِيحَةُ

كَانَ فَتًى مِنْ طَيْيٍّ يَجْلِسُ إِلَى الْأَخْنَفِ وَكَانَ يُنَجِّبُهُ فَقَالَ
 لَهُ يَوْمًا : يَا فَتَى هَلْ تَرَيْنَ جَمَالَكَ بِشَيْءٍ . قَالَ : نَعَمْ . إِذَا حَدَّثْتُ
 صَدَقْتُ ، وَإِذَا حَدَّثْتُ أَسْتَمَعْتُ ، وَإِذَا عَاهَدْتُ وَفَيْتُ ، وَإِذَا
 وَعَدْتُ أَنْجَزْتُ ، وَإِذَا أَتَيْتُ لَمْ أَخُنْ . فَقَالَ الْأَخْنَفُ : هَذِهِ
 الْمَرْوَةُ حَقًّا

إِيَّاكَ وَالْإِغْتِيَابَ

قَالَ الْوَائِقُ لِابْنِ أَبِي دَاوُدَ : قَدْ كَانَ عِنْدِي السَّاعَةُ الزَّيَّاتُ
 فَذَكَرْتُ بِكُلِّ قَبِيحٍ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْوَجَهُ إِلَى الْكَذِبِ
 عَلَيَّ وَزَهَّنِي عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ فِيهِ

جَوَابُ بَلِيغٍ

لَمَّا قُتِلَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ يُعَزِّيهَا فِيهِ
فَقَالَ لَهَا : يَا أُمُّاهُ لَا تَحْزَنِي عَلَى الْفَضْلِ فَإِنَّا خَلَفُ مِنْهُ . فَقَالَتْ :
كَيْفَ لَا أَحْزَنُ عَلَى وَلَدٍ عَوَّضَنِي مِنْهُ خَلِيفَةً مِثْلَكَ . فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ
مِنْ جَوَابِهَا وَكَانَ يَقُولُ : مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا
أَجْلَبَ لِلْقُلُوبِ .

مَا هُوَ السُّودُّدُ

سَأَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رُوحَ بْنَ زُبَاعٍ عَنْ مَالِكِ ابْنِ
مِسْعَرٍ قَالَ : لَوْ غَضِبَ مَالِكٌ لَقَضِبَ مَعَهُ مِئَةُ أَلْفِ سَيْفٍ لَا يَسْأَلُهُ
وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ غَضِبْتَ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا هُوَ السُّودُّدُ

الْتَرَجِيبُ بِالضَّيْفِ عِنْدَ قُدُومِهِ

تَرَلَّ بِأَيِّ الْبُخْرِيِّ وَهَبُ بْنُ وَهَبٍ الْفَرَسِيُّ ضَيْفًا . فَسَارَعَ
عَيْدُهُ إِلَى إِتْرَائِهِ وَخَدَمُوهُ أَحْسَنَ خِدْمَةٍ وَفَعَلُوا بِهِ كُلَّ جَمِيلٍ .
فَلَمَّا هَمَّ بِالرَّحِيلِ لَمْ يَثْرُبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَتَجَنَّبُوهُ . فَأَنْكَرَ ذَلِكَ
عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : نَحْنُ إِنَّمَا نَعِينُ النَّازِلَ عَلَى الْإِقَامَةِ وَلَا نُعِينُهُ
عَلَى الرَّحِيلِ .

أَلْحَسَنُ وَالْفَرَزْدَقُ

لَقِيَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْفَرَزْدَقَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْعِرَاقِ .
فَسَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ : أَلْقُلُوبُ مَعَكَ وَالسُّيُوفُ عَلَيْكَ وَالنَّصْرُ
فِي السَّمَاءِ

إِسْتَعْنِ بِالْحَقِّ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِعَمْرِ بْنِ عُيَيْدٍ : أَعْنِي بِأَصْحَابِكَ يَا أَبَا عُثْمَانَ .
قَالَ : أَرْفَعُ عِلْمَ الْحَقِّ يَتَّبِعُكَ النَّاسُ

أَلْعِلْمُ يُتَّبَعُ حَيْثُ كَانَ

قَالَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ لِزَيْنِ الْعَابِدِينَ : أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ وَأَفْضَاهُمْ .
تَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فَتَجْلِسُ مَعَهُ . فَقَالَ : يَنْبَغِي
لِلْعِلْمِ أَنْ يُتَّبَعَ حَيْثُ كَانَ

الْإِسْكَندَرُ وَالْبَيَّاتُ

أَشِيرَ عَلَى الْإِسْكَندَرِ بِالْبَيَّاتِ (١) فِي بَغْضِ الْحُرُوبِ . فَقَالَ
لَا يَلِيقُ بِالْمُلُوكِ اسْتِرَاقُ الظُّفْرِ

بَغْضُ أَخْبَارِ كِسْرَى

كَانَ الْمُؤَيَّدُ فِي مَجْلِسِ كِسْرَى . فَسَمِعَ ضَحِكَ الْخَدَمِ فَقَالَ :

مَا يَنْعُ جَلَالَةُ الْمَلِكِ وَهَيْئَتُهُ هُوَ لَا الْعُلَمَانُ عَنِ الضَّيْقِ بِمَنْفَعَةٍ
كِرَى فَقَالَ : إِنَّمَا يَهَابُنَا أَعْدَاؤُنَا

- وَقَالَ كِرَى يَوْمًا لِبَعْضِ عُمَّالِهِ : كَيْفَ تَوُفُّكَ بِاللَّيْلِ .
قَالَ : أَنَامُهُ كُلُّهُ . قَالَ أَحْسَنْتَ لَوْ سَرَقَتِ الرَّعِيَّةُ وَلَمْ تُؤَدِّ حُقُوقَهَا
مَا نِمْتَ هَذَا النَّوْمَ

- وَكَانَ كِرَى إِذَا غَضِبَ عَلَى بَعْضِ خَاصَّتِهِ هَجَرَهُ وَلَمْ
يَقْطَعْ عَنْهُ خَيْرَهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : نَحْنُ نُعَاقِبُ
بِالْهَجَرَانِ لَا بِالْحِرْمَانِ

دَفْعُ الضَّلَالِ بِالْحُجَّةِ لَا بِالسِّيفِ

لَمَّا ظَهَرَ مَا فِي الزِّنْدِيقِ فِي أَيَّامِ سَابُورَ بْنِ أَرْدَشِيرَ وَدَعَا
النَّاسَ إِلَى مَذْهَبِهِ أَخَذَهُ سَابُورُ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ نَصَحَاهُ دَوْلَتِهِ بِقَتْلِهِ . فَقَالَ :
إِنْ قَتَلْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْطَعَهُ بِالْحُجَّةِ ^(١) قَالَ أَلْعَامَةُ يَقُولُهُ ، وَيَقُولُونَ
مَلِكُ جَبَّارٌ قَتَلَ زَاهِدًا . وَلَكِنِّي أَنَا ظَرُهُ فَإِذَا غَلَبَتْهُ بِالْحُجَّةِ قَتَلْتُهُ
مُرَاعَاةُ الْجُلَسَاءِ

نَهَضَ هِشَامُ يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِهِ فَسَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ فَتَاوَلَهُ
بَعْضُ جُلَسَائِهِ لِيَرُدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ فَجَذَبَهُ هِشَامُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ :
مَهْلًا إِنَّا لَا نَتَّخِذُ جُلَسَاءًا نَاخَوْلَا ^(٢)

(١) قطعه بالحجة عليه بها حتى اسكنه (٢) عبيداً وخداماً

قَلَّالٌ يَنْجِبُ الرَّشِيدُ بِأَدْيِهِ

حُكِيَّ أَنَّ الرَّشِيدَ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَبِي شُمَيْبٍ الْقَلَّالِ (١)
كَيْفَ يَعْمَلُ الْقَلَّالَ . فَأَدْخَلُوهُ الْقَصْرَ وَأَتَوْهُ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَعْمَلُ إِذَا هُوَ بِالرَّشِيدِ قَدْ أَقْبَلَ .
فَلَمَّا رَأَاهُ نَهَضَ قَانِئًا . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : دُونَكَ وَمَا دُعِيتَ لَهُ .
فَوَيْلٌ لِي لَمْ أَتِ بِكَ لِتَقُومَ لِي . وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِكَ لِتَعْمَلَ بَيْنَ يَدَيَّ .
فَقَالَ : وَأَنَا لَمْ أَتِكَ لِئَسُوَ أَدْيِي وَإِنَّمَا أَتَيْتُكَ لِأُزِدَّادَ بِكَ أَدْبَا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَأَجَارَهُ

ذَكَاءُ ابْنَتَيْنِ

حُكِيَّ أَنَّ شَاعِرًا كَانَ لَهُ عَدُوٌّ . فَبَيْنَمَا هُوَ سَافِرٌ ذَاتَ يَوْمٍ فِي
بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذَا بِعَدُوِّهِ إِلَى جَانِبِهِ . فَعَلِمَ الشَّاعِرُ أَنَّ عَدُوَّهُ قَاتِلُهُ
لَا مَحَالَةَ (٢) فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمُنِيَّةَ قَدْ حَضَرَتْ
وَلَكِنْ سَأَلْتُكَ اللَّهَ إِذَا أَنْتَ قَتَلْتَنِي أَمْضِ إِلَى دَارِي وَاقِفَ بِأَلْبَابِ
وَنَادِ : أَلَا أَيُّهَا ابْنَتَانِ إِنَّ أَبَاكُمَا . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَتْلِهِ أَتَى إِلَى دَارِهِ
وَوَقَفَ بِأَلْبَابِ وَقَالَ : أَلَا أَيُّهَا ابْنَتَانِ إِنَّ أَبَاكُمَا . وَكَانَ لِلشَّاعِرِ
ابْنَتَانِ فَلَمَّا سَمِعَتَا قَوْلَ الرَّجُلِ أَجَابَتَاهُ بِقَمٍّ وَاحِدٍ : قَتِيلُ خُذَا

(١) صانع القلال وهي الحمار من الفخار (٢) اي لا ريب

بِالْأَثَرِ مِمَّنْ أَنَا كَمَا . ثُمَّ تَمَلَّقْنَا بِالرَّجُلِ وَرَأَفْتَاهُ ^(١) إِلَى الْحَاكِمِ فَأَقَرَّ
بِقَتْلِهِ فَقَتَلَهُ

الْمَأْمُونُ وَإِزَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ

قَالَ الْمَأْمُونُ لِإِزَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ : إِنِّي شَاوَدْتُ فِي أَمْرِكَ
فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ . إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ قُدْرَكَ فَوْقَ ذَنْبِكَ فَكَّرِهْتُ
الْقَتْلَ لِلْإِزَاهِيمِ حُرْمَتِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمَشِيرَ أَشَارَ
بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي السِّيَاسَةِ . إِلَّا أَنَّكَ أَيْتَ أَنْ تَطْلُبَ
النَّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ مَا عُوذَتْهُ مِنَ الْعَمْرِ . فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ
نَظِيرٌ ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ

قِسْمَةُ الشَّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ

أَمْسِكَ عَلَى النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ الشَّعْرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَنْطِقْ
بِهِ . ثُمَّ إِنَّ بَنِي جَمْدَةَ غَزَوْا قَوْمًا فَظَفَرُوا بِهِمْ . فَلَمَّا سَمِعَ الْجَعْدِيُّ
أَسْتَحْفَهُ الطَّرَبُ فَاسْتَحَفَّهُ الشَّعْرُ فَذَلَّ لَهُ مَا اسْتَصَبَّ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
قَوْمُهُ : وَاللَّهِ لَنَحْنُ بِإِطْلَاقِ لِسَانِ شَاعِرِنَا أَسْرُؤُ مِنَّا بِالظَّفْرِ بِعَدْوِنَا

أَلْعَدْلُ أَمِ السَّجَاعَةِ

سَأَلَ الْأَسْكَندَرُ حُكَمَاءَ أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ السَّجَاعَةُ
أَمْ أَلْعَدْلُ . قَالُوا : إِذَا اسْتَعْمَلْنَا أَلْعَدْلَ اسْتَعْنَيْنَا بِهِ عَنِ السَّجَاعَةِ

مَا أَجَلَ الشَّقَّةَ وَالْعَدَلَ فِي الْمُلُوكِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: أَسْتَعْمَلُ فِرْعَوْنَ هَامَانَ عَلَى حَفْرِ خَلِيجٍ سَرْدُوسٍ. فَأَخَذَ فِي حَفْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ فَجَعَلَ أَهْلَ الْقِرَى يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُجْرِيَ لَهُمُ الْخَلِيجَ تَحْتَ قِرَاهُمْ وَكَانُوا يُطُونَهُ مَا لَا. فَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمِنْ الشِّمَالِ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَيُسَوِّفُهُ كَيْفَ أَرَادَ وَإِلَى حَيْثُ قَصَدَ. فَلَيْسَ خَلِيجٌ بِمِصْرَ أَكْثَرَ عَطُوفًا^(١) مِنْهُ. فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ جَزِيلَةٌ فَحَمَلَهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَآخَرَهُ بِالْخَبَرِ. فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: إِنَّهُ يَلْبِغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يَغْطِفَ عَلَى عَيْدِهِ وَيُفِضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِهِ وَذَخَائِرِهِ، وَلَا يَرْغَبَ فِي مَا بَأْيَدِيهِمْ. رَدَّ عَلَى أَهْلِ الْقِرَى أَمْوَالَهُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ

مَا أَحْكَمَ الشُّيُوخَ

حُكْمِي أَنْ كِسْرَى مَرَّ بِشَيْخٍ كَبِيرٍ يَغْرَسُ فَيْسِلًا^(٢) فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ الْعُمْرِ، قَالَ ثَمَانُونَ سَنَةً. قَالَ أَتَوْا مَلُوكًا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ هَذَا النَّخْلِ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا بَعْدَ سِتِينَ كَثِيرَةً

(١) ميلاً (٢) الفسيل جمع الفسيلة وهي النخلة الصغيرة تقلع من الارض وتقطع من الام فتغرس

وَأَنْتَ قَدْ فَنِيْ غُرُكَ . فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَوْ أَتَكَلَّ الْأَبَاءُ عَلَى هَذَا
لَضَاعَ الْأَبْنَاءُ . فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى كَلَامَهُ وَأَمَرَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ .
فَأَخَذَهَا الشَّيْخُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَسِيلُ تُطْعِمُ بَعْدَ سِنِينَ مِنْ
غُرْسِهَا ، وَهَذِهِ قَدْ أَطْعَمْتَنِي فِي سَنَتِهَا . فَتَعَجَّبَ كِسْرَى مِنْ ذَلِكَ
وَأَمَرَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى . فَأَخَذَهَا وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَسِيلُ
تُطْعِمُ فِي السَّنَةِ مَرَّةً وَهَذِهِ قَدْ أَطْعَمْتَنِي فِي أَوَّلِ السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ .
فَازْدَادَ عَجَبُ كِسْرَى بِهِ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ الْوَزِيرُ :
إِنْ لَمْ يَنْهَضِ الْمَلِكُ أَرْدَى ^(١) هَذَا الشَّيْخُ بِحِكْمَتِهِ يَنْتَ الْمَالِ .
فَقَالَ : لَيْسَ الْمَالُ فِي شَيْءٍ بِأَلْقِيَّاسٍ إِلَى حِكْمَةِ هَذَا الشَّيْخِ وَبَعْدَ
نَظَرِهِ . فَلَيْتَشَبَّهَ بِهِ أَبْنَاءُ رِعْيَتِي فَيَسْعَدُوا . قَالَ هَذَا وَأَنْصَرَفَ
الشَّيْخُ حَامِداً

حَيْثُ لَا حَاجَةَ إِلَى حَاكِمٍ .

دَخَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مُقَاطَعَةً عَظِيمَةً فَلَمْ يَجِدْ حَاكِماً لِقَضَاءِ .
فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ أَهْلُهَا : إِنَّا لَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَا دَامَ قَوْيُنَا بِرَحْمِ
ضَعِيفَتِنَا وَلَا يَعْلُو عَلَيْهِ . وَكُلُّنَا عَالِمٌ بِمَا لَهُ وَمَا لِنَعْرِيه . فَلَمْ يَتَعَدَّ

حُسْنُ الْأَخْلَاقِ لَا حُسْنَ الْوُجُوهِ

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيَادٍ عَلَى الْأُمَمُونَ فَجَعَلَ يُعِيْمُهُ بِيَدِهِ وَجَارِيَةً
عَلَى رَأْسِهِ تَتَبَسَّمُ . فَقَالَ لَهَا الْأُمَمُونَ مِمَّ تَضْحَكِينَ . فَقَالَ ابْنُ عِيَادٍ :
أَنَا أَخْبِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَتَعَجَّبُ مِنْ قُبْحِي وَإِكْرَامِكَ إِيَّايَ .
فَقَالَ : لَا تَعْجِبِي ، فَإِنَّ تَحْتَ هَذِهِ الْعِلْمَاءِ كَرَمًا وَمَجْدًا . قَالَ
ابْنُ نَبَاتَةَ :

وَهَلْ يَنْفَعُ الْفَتَيَانِ حُسْنَ وَجُوهِهِمْ
إِذَا كَانَتْ الْأَعْرَاضُ غَيْرَ حَسَنٍ
فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَقْرِ
فَمَا كُلُّ مَصْفُورٍ الْحَدِيدِ يَمَانٍ

تَرَكُ الْمَرْءَ مَا لَا يَغْنِيهِ

قَالَ رَجُلٌ لِلْأَخْنَفِ : يَمُّ سُدَّتْ قَوْمَكَ وَمَا أَنْتَ بِأَشْرَفِهِمْ
بَيْتًا ، وَلَا أَصْبَحِهِمْ وَجْهًا ، وَلَا أَحْسَنِهِمْ خُلُقًا ، فَقَالَ : بِخِلَافِ مَا
فِيكَ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ . قَالَ تَرَكِي مِنْ أَمْرِكَ مَا لَا يَغْنِيُنِي كَمَا
عَنَّاكَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَغْنِيُكَ

لَا تَفْعَلْ شَيْئًا وَأَنْتَ عَصَاؤُ

أَمَرَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ أَنْ يُصْنَعَ لَهُ طَعَامٌ وَدَعَا قَوْمًا مِنْ خَاصَّتِهِ إِلَى مَائِدَتِهِ . فَلَمَّا مَدَّ السِّمَاطُ ^(١) أَقْبَلَ الْخَادِمُ وَعَلَى كَفِّهِ صَخْنٌ فِيهِ طَعَامٌ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ أَدْرَكَهُ الْهَيْبَةُ فَمَثَرَ ، فَوَقَعَ مِنْ مَرَقِ الصَّخْنِ شَيْءٌ يَسِيرٌ عَلَى طَرَفِ ثَوْبِ الْمَلِكِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخَادِمُ الْعَزِيمَةَ عَلَى ذَلِكَ صَبَّ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي الصَّخْنِ عَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَا هَذَا . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا شِعْراً ^(٢) عَلَى عِرْضِكَ وَغَيْرَةِ عَلَيْكَ ، لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا ذَنْبِي الَّذِي بِهِ تَمَتُّلْنِي : قَتَلْتَنِي فِي ذَنْبٍ خَفِيفٍ لَمْ يَضُرَّهُ وَأَخْطَأَ فِيهِ الْعَبْدُ وَلَمْ يَقْصِدْهُ ، فَتَنَسَّبَ إِلَى الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ . فَصَنَعْتُ هَذَا الذَّنْبَ الْعَظِيمَ لِتُعْذَرَ فِي قَتْلِي وَتُرْفَعَ عَنْكَ الْمَلَامَةُ . قَالَ : فَاطْرَقَ الْمَلِكُ مَلِياً ^(٣) ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ عَفَوْنَا عَنْ قَبِيحِ فِعْلِكَ وَعَظِيمِ ذَنْبِكَ لِحَسَنِ اعْتِدَارِكَ فَأَذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى

مَا أَجَلَ الْوَفَاءِ

رَوَى مَسْرُودُ الْكَبِيرِ قَالَ: كَانَ أَبُو بَكَّارٍ الْأَعْمَى قَدْ انْقَطَعَ
إِلَى آلِ بَرْمَكٍ وَكَانَ مِنْ أَصْدِقَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى . فَلَمَّا أَمَرَنِي
الرَّشِيدُ بِقَتْلِ جَعْفَرٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ أَبَا بَكَّارٍ الْأَعْمَى
يُغَيِّيه وَيَقُولُ :

فَلَا تَحْزَنْ فَكُلْ فَتَى سَيَاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يُطْرُقُ^(١) أَوْ يُغَادِي^(٢)
فَقُلْتُ : فِي هَذَا وَاللَّهِ قَدْ آتَيْتَكَ . ثُمَّ أَمْسَكَتُ بِيَدِ جَعْفَرٍ
وَأَقَمْتُهُ وَضَرَبْتُ عُقْفَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكَّارٍ : نَاشِدُكَ^(٣) اللَّهُ إِلَّا
الْحَقَنِي بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا . فَقَالَ : أَغْنَانِي
عَنِ النَّاسِ . فَقُلْتُ : حَتَّى اسْتَأْمَرَ^(٤) الرَّشِيدَ . ثُمَّ أَحْضَرْتُ
الرَّأْسَ إِلَى الرَّشِيدِ وَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ أَبِي بَكَّارٍ . فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ
فِيهِ مُضْطَنَعٌ^(٥) أَضْمَنَهُ إِلَيْكَ وَأَنْظُرْ مَا كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ^(٦) جَعْفَرُ
فَادْفَعْنَاهُ إِلَيْهِ

(١) من طرق إذا اتى ليلاً (٢) من غاداه إذا باكره أي اتاه بكرة
(٣) ناشده الله استحلّقه أي سأله واقسم عليه بالله ومعنى العبارة ما طلبت منك
شيئاً من الأشياء إلا الخالق به (٤) اشاور (٥) أي فيه محل للصنعة أي
الاحسان (٦) أي ما كان يخصه به من الجراية وهي ما يناله الجندي من
الطعام أو الاجرة كل يوم

مُكَافَأَةُ أَمِيرٍ

قَالَ رَجُلٌ لِسَعِيدِ بْنِ الْمَاصِرِ وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ : يَدِي
عِنْدَكَ بَيْضَاءُ : قَالَ وَمَا هِيَ . قَالَ : كَبْتُ بِكَ فَرُسَكَ فَتَقَدَّمْتُ
إِلَيْكَ قَبْلَ غِلْمَانِكَ . فَأَخَذْتُ بِمِصْدِكَ وَأَرْكَبْتُكَ وَسَقَيْتُكَ مَاءً .
قَالَ فَأَيْنَ كُنْتَ إِلَى الْآنِ . قَالَ : حُجِبتُ عَنْ الْوُصُولِ إِلَيْكَ .
قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَبِمَا يَمْلِكُكَ الْحَاجِبُ إِذْ
حَجَبَكَ عَنَّا

حُرِّيَّةُ الصَّيِّرِ تُؤَلِّدُ الْجُرْأَةَ

إِمْتَدَحَ ابْنُ مِيَادَةَ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ فَأَمَرَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ فَقَبِلَ
يَدَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قَبِلْتُ يَدَ قُرَشِيٍّ غَيْرِكَ إِلَّا وَاحِدًا . قَالَ :
فَمَنْ هُوَ . قَالَ : الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ . فَغَضِبَ جَعْفَرُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
قَبِلْتُمَا لِلَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ : وَاللَّهِ وَلَا يَدُكَ قَبِلْتُمَا لِلَّهِ تَعَالَى
وَلَكِنْ قَبِلْتُمَا لِنَفْسِي . فَقَالَ جَعْفَرُ : وَاللَّهِ لَا صَرْكَ الصِّدْقِ عِنْدِي .
أَعْطَوْهُ مِئَةَ أُخْرَى

جُودُ حَاتِمٍ وَأَبْنَتُهُ

كَانَتْ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ مِنْ أَجْوَدِ نِسَاءِ الْعَرَبِ فَكَانَ
أَبُوهَا يُعْطِيهَا الضَّرْبَةَ مِنْ إِبِلِهِ فَتَهْبِئُهَا وَتُعْطِيهَا النَّاسَ . فَقَالَ لَهَا

أَبُوهَا يَا بُنَيَّةُ إِنَّ الْكَرِيمِينَ إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْمَالِ اتْلَفَا . فَإِمَّا أَنْ
أَعْطِيَ وَتُنْسِكَ ، وَإِمَّا أَنْ أَمْسِكَ وَتُعْطِيَ . فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى
هَذَا شَيْءٌ . فَقَالَتْ لَهُ : مِنْكَ تَعَلَّمْتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ

الْحَمَامَةُ وَالرَّازِيُّ

كَانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذَا أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَفْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَقَالَتْ نَفْسُهَا فِي حَبْرِهِ
كَالْمُسْتَجِيرَةِ بِهِ . فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عُثَيْنٍ آيَاتًا فِي هَذَا
الْمَعْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنْكَ مَلْجَأٌ لِلْخَافِ

فِي الْإِتِّحَادِ قُوَّةٌ

دَعَا أَكْثَرُ بَنِي صَيْفِيٍّ أَوْلَادَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَاسْتَدْعَى إِضْمَامَةً (١)
مِنَ السِّهَامِ فَتَقَدَّمَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكْسِرَهَا فَلَمْ يَقْدِرْ
أَحَدٌ عَلَى كَسْرِهَا . ثُمَّ بَدَّدَهَا فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكْسِرُوهَا فَاسْتَسْهَلُوا

كَسَرَهَا . فَقَالَ : كُونُوا مُجْتَمِعِينَ لِيَجِزَّ مَنْ نَاوَأَكُمْ ^(١) عَنْ
كَسْرِكُمْ كَجَزِكُمْ عَنْ كَسْرِهَا مُجْتَمِعَةً . فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَرَّقْتُمْ سَهَلَ
كَسْرُكُمْ . وَأَنشَدَ :

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِي إِذَا أَعْتَرَى خُطْبٌ وَلَا تَفَرَّقُوا أَحَادًا
تَأْتِي الْقِدَاحُ ^(٢) إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسَرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْسَرَتْ أَفْرَادًا

عَبْدُ الدِّينَارِ

« الزمخشري »

يَا عَبْدَ الدِّينَارِ وَالِدَرَهُمْ مَتَى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا ؟ وَيَا أَسِيرَ الْحِرْصِ
وَالطَّمَعِ مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا ؟ هِنَهَاتٍ لَا عَتَاقَ إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى
دِينِكَ الْمُنَزَّقِ ، وَلَا إِطْلَاقَ أَوْ تُفَادِيَ بِخَيْرِكَ الْمُلْزَقِ . يَا مَنْ
يُشْبِعُهُ الْقُرْصُ ، مَا هَذَا الْحِرْصُ ؛ وَيَا مَنْ تُرْوِيهِ الْجَرْعُ ، مَا هَذَا
الْجَزْعُ . سَتَعْلَمُ غَدًا مَتَى تَنْدَمْتُ ، أَنْ لَيْسَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ . وَإِذَا
لَقِيتَ الْمُنُونُ ، لَمْ يَنْقُصْكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . مَا يَصْنَعُ بِالْفَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ ، عَابِدُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ . وَمَا يُرِيدُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالْفَرَحَةِ ،
نَازِلُ ظِلِّ السَّرْحَةِ

(١) عاداكم (٢) جمع القدح وهو السهم قبل ان يراش وينصل

نصائح

« لابن المقفع »

إِعْلَمْ أَنَّ رَأْيَكَ لَا يَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَرَّغَهُ لِلْمُهْمِ ، وَأَنَّ
 مَا لَكَ لَا يُغْنِي النَّاسَ كُلَّهُمْ فَأَخْتَصْ بِهِ ذَوِي الْحُقُوقِ ، وَأَنَّ
 كَرَامَتَكَ لَا تُطَبِّقُ الْعَامَّةَ فَتَوَخَّ بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ ، وَأَنَّ لَيْلَكَ
 وَنَهَارَكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَاجَاتِكَ وَإِنْ دَأَبْتَ فِيهِمَا ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ
 إِلَى أَدَانِهَا سَبِيلٌ مَعَ حَاجَةِ جَسَدِكَ إِلَى نَصِيهِ مِنْهُمَا ، فَأَحْسِنْ
 قِسْمَهُمَا بَيْنَ دَعْتِكَ وَعَمَلِكَ



الباب الخامس

في الحكايات والنوادر

الخرسُ خيرٌ من بعضِ البيانِ

لَمَّا قَتَلَ شِيرَوْنِيَهْ أَبَاهُ بِسَرَى أَبْرُوذَ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ
 مِنَ الرَّعِيَةِ يَوْمًا وَقَدْ رَجَعَ مِنَ الْمَدَانِ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 قَتَلَ أَبْرُوذَ عَلَى يَدَيْكَ وَمَلَكَكَ مَا كُنْتَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ، وَأَدْرَاحَ
 آلِ سَاسَانَ مِنْ جَبْرَوْتِهِ وَعُتُوِّهِ وَبُخْلِهِ وَنُكْدِهِ ^(١) . فَإِنَّهُ كَانَ
 يَمُنُّ بِأَخْذِ الْجَوْرِ ، وَيَقْتُلُ بِالظَّنِّ ، وَيُخِيفُ الْبَرِيَّ ، وَيَنْمَلُ
 بِالْهَوَى . فَقَالَ لَهُ شِيرَوْنِيَهْ : كَمْ كَانَ رِزْقُكَ فِي حَيَاةِ أَبْرُوذَ .
 قَالَ : كُنْتُ فِي كِفَايَةٍ . قَالَ : فَكَمْ رِزْقُكَ الْيَوْمَ . قَالَ : مَا زِيدَ
 فِيهِ شَيْءٌ . قَالَ : فَهَلْ وَتَرَكْتَ ^(٢) أَبْرُوذَ فَأَنْتَصَرْتَ مِنْهُ بِمَا قُلْتَ
 الْيَوْمَ فِي حَقِّهِ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ
 يَنْقُطِعْ عَنْكَ رِزْقًا وَلَا وَتَرَكَ فِي نَفْسِكَ . وَمَا لِلرَّعِيَةِ وَالْوُقُوعِ فِي
 الْمُلُوكِ . وَأَمَرَ أَنْ يُنْزَعَ لِسَانُهُ وَقَالَ بِحَقِّ مَا يُقَالُ : الْخَرَسُ
 خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ الْبَيَانِ

(١) النكد قلة العطاء . (٢) اصابك بظلم او ادرئك عنك وده

الْأَدَبُ يُزِينُ صَاحِبَهُ

حَكَى الصَّاحِبُ كَمَالَ الدِّينِ أَنَّ الْقَاضِيَّ بَهَاءَ الدِّينِ بْنَ شَدَّادٍ قَاضِيَّ حَلَبَ الَّذِي بَلَغَ عِنْدَ صَلاَحِ الدِّينِ وَأَبْنِهِ الظَّاهِرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِهِ مَرَضَ حَلَبَ . فَسَمِيتُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّبَّانِ إِلَى عِيَادَتِهِ . فَمِنْدَمَا دَخَلْنَا عَلَيْهِ قَامَ لَنَا فَجَعَلْنَا نَحْلِفُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ تَتَفَكَّرُونَ فِي مَرَضِي وَتَتَمَتُّونَ^(١) مِنْ أَمَّا كَيْتُكُمْ إِلَى مَنْزِلِي ثُمَّ أَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِقَوْمَةٍ هَذَا وَاللَّهُ غَيْرُ طَرِيقِ الرُّوءَةِ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَوْلَادِي لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى كَبِيرٍ وَأَنَا فِي سَبْتِكُمْ فَلَمْ يَخْفَلْ بِي . فَإِلَى الْآنَ مَا أَذْكُرُ ذَلِكَ إِلَّا أَسَأْتُ ذِكْرَهُ وَتَدِمْتُ عَلَى وَصُولِي إِلَيْهِ . وَلَا يَتَجَبَّبُ الْمُنَاقِبَ إِلَّا أَهْلُ التَّجَارِبِ

قَالَ : وَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى مَجْلِسِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ يَنْمُورٍ وَهُوَ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ بِالسَّامِ . وَكَانَ يَقُومُ لِي كُلَّمَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ . فَدَخَلْتُ يَوْمًا فَإِذَا بِهِ مُضْطَجِعٌ فَلَمْ يَقُمْ وَأَخَذَ فِي مَا كَانَ يَأْخُذُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَامَ ثُمَّ جَلَسَ ثُمَّ قَامَ ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ : هَذِهِ الْأَخِيرَةُ قَوْمَةٌ أَمَسَ كَانَتْ عَلَيَّ دَيْنًا لِعُذْرٍ تَفْضُلُ

يَقْبُولُهُ دُونَ مُطَالَبَةٍ بِذِكْرِهِ . فَحَبَّبْتُ مِنْ فَضْلِهِ وَدَمَائِهِ أَخْلَاقَهُ
وَكَمَالَ أَدَبِهِ وَقُلْتُ : مَا سَارَ لِهَذَا الرَّجُلِ مَا سَارَ فِي الْآفَاقِ
مِنْ بَاطِلٍ .

أَنْجِعْ دَوَاءَ لِلصَّبْرِ

رُويَ أَنَّ أَوْشِرَوَانَ سَخِطَ عَلَى وَزِيرِهِ بُرْزُجْمَهَرَ . فَسَجَنَهُ فِي
بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَفَّدَ^(١) بِالْحَدِيدِ وَيُلْبَسَ الْخَشِنَ مِنَ
الصُّوفِ . وَأَلَّا يُزَادَ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ عَلَى قُرَصَيْنِ مِنَ الْخُبْزِ
وَدَوْرَقٍ^(٢) مَاءً . فَأَقَامَ شُهُودًا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ لَا تَسْمَعُ لَهُ
شَكْوَى . فَقَالَ أَوْشِرَوَانُ : أَدْخِلُوا عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ وَرُؤُوسَهُمْ أَنْ
يَسْأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ثُمَّ أَنْبِئُونِي بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ
مِنَ الْمُخْتَصِمِينَ بِهِ فَإِذَا هُوَ مُشْرُوحُ الصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ نَاعِمُ
الْبَالِ فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الضِّيقِ
وَشَظْفِ الْعِيشِ وَالشَّقَاءِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ سَخَنَةَ^(٣) وَجْهَكَ وَصِحَّةَ
جَسَدِكَ عَلَى حَالِهِمَا لَمْ تَتَغَيَّرَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ فِي تَرْفٍ وَنَعِيمٍ .
فَقَالَ : إِنِّي عَمِلْتُ دَوَاءً لِلصَّبْرِ مِنْ خَمْسَةِ أَخْلَاطٍ ، فَأَتَنَاوَلُ مِنْهُ

(١) يشد ويوثق (٢) الدورق انا . للشراب (٣) السخنة اللون والهيشة

كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا فَهُوَ الَّذِي أَبْقَانِي عَلَى مَا تَرَوْنَ . فَقَالُوا : صِفْهُ لَنَا
فَلَمَلْنَا نَنْفَعُ بِهِ عِنْدَ الْبَلَوَى . فَقَالَ : نَعَمْ أَمَّا الْخِلْطُ الْأَوَّلُ فَهُوَ
الْثَمَّةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَالْصَّبْرُ خَيْرُ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُتَحَنُّ ،
وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَإِنْ لَمْ أَصْبِرْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْمَلُ وَلَا أَعِينُ عَلَى نَفْسِي
بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الرَّابِعُ فَقَدْ يُمَكِّنُ أَنْ أَكُونَ فِي شَرٍّ أَشَدَّ مِمَّا أَنَا
فِيهِ ، وَأَمَّا الْخَامِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَلَمَّا بَلَغَ أَنْوَشِرَوَانَ
مَا قَالَهُ أَطْلَقَهُ وَأَعَزَّهُ وَأَعَادَهُ إِلَى حُظْوَتِهِ عِنْدَهُ

عَزِيْزُ النَّفْسِ لَا يُطِيقُ الْهَوَانَ

كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ رَجُلًا جَلِيلًا أَدِيبًا مِنْ رُؤَسَاءِ
الْبَرِّ ، وَكَانَ وَزِيرًا عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ
مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَكَانَ عَظِيمَ اللَّحْيَةِ . فَلَمَّا رَأَاهُ
الْأَمِيرُ مُقْبِلًا جَعَلَ يَهْجُوهُ بِأَيَّاتٍ تَدُلُّ عَلَى الْإِزْدِرَاءِ . فَقَالَ لَهُ
سُلَيْمَانُ وَقَدْ غَضِبَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ النَّاسَ يَرْغَبُونَ فِي هَذِهِ
الْمَنْزِلَةِ لِيَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ الضَّمِيمَ . وَأَمَّا إِذَا صَارَتْ جَالِبَةً
لِلذِّلِّ فَلَنَا دُورٌ تَسْمَعُوا وَتُغْنِيَا عَنْكُمْ . فَإِنْ حُلْتُمْ ^(١) بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَنَا
قُبُورٌ تَسْمَعُوا لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا . ثُمَّ خَرَجَ

مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَلِّمَ وَنَهَضَ إِلَى مَنَزِلِهِ . فَقَضِبَ الْأَمِيرُ وَأَمَرَ بِعَزْلِهِ
 عَنْ الْوِزَارَةِ وَدَفَعَ دَسْتَهُ ^(١) الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَبَقِيَ
 كَذَلِكَ مُدَّةً . ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ حَزِنَ عَلَى فَقْدِهِ لِعَاقِبِهِ وَأَمَانَتِهِ
 وَنَصِيحَتِهِ وَفَضْلِ رَأْيِهِ . فَقَالَ لِلْوُزَرَاءِ : لَقَدْ حَزِنْتُ لِفَقْدِ سُلَيْمَانَ .
 وَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْتَرْجَاعَهُ وَتَبْرَأَ مِنَّا كَانَ ذَلِكَ غَضَاضَةً ^(٢) عَلَيْنَا ،
 وَلَوْ دَدْتُ أَنْ يَبْدَأَنَا بِالرَّغْبَةِ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ
 الْوَلِيدِ : إِنْ أَذِنْتَ لِي بِالسَّيْرِ إِلَيْهِ اسْتَهْمَضْتُ إِلَى هَذَا . فَأَذِنَ لَهُ
 فَهَضَّ إِلَى دَارِ بْنِ وَائِسٍ ، وَكَانَتْ رُتْبَةُ الْوِزَارَةِ بِالْأَنْدَلُسِ
 أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا يَقُومَ الْوَزِيرُ إِلَّا لَوَزِيرٍ مِثْلِهِ . فَإِنَّهُ يَتَلَقَّاهُ
 وَيُنْزِلُهُ مَعَهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ وَلَا يَحْجُبُهُ ^(٣) وَلَا لَحْظَةً . فَأَبْطَأَ الْأَذْنَ عَلَى
 أَبِي مُحَمَّدٍ حِينَئِذٍ ثُمَّ أَذِنَ لَهُ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَاعِدًا فَلَمْ
 يَتَرَحَّضْ لَهُ وَلَا قَامَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ : مَا هَذَا الْكِبَرُ .
 عَهْدِي ^(٤) بِكَ وَأَنْتَ وَزِيرُ السُّلْطَانِ وَفِي أَبْهَةِ رِضَاهُ تَتَلَقَّانِي
 عَلَى قَدَمٍ ، وَتَتَرَحَّضُ لِي عَنْ صَدْرِ مَجْلِسِكَ ، وَأَنْتَ الْآنَ فِي
 مَوْجِدَتِهِ ^(٥) بِضِدِّ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ لِأَنِّي كُنْتُ حَيْثُ عَبْدًا مِثْلَكَ
 وَأَنَا الْيَوْمَ حُرٌّ . فَيَسَّ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْهُ وَخَرَجَ وَلَمْ يُكَلِّمَهُ وَرَجَعَ إِلَى الْأَمِيرِ
 فَأَخْبَرَهُ فَأَبْتَدَأَ الْأَمِيرُ بِالْإِرْسَالِ إِلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلَى أَفْضَلِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ

(١) مجلسه (٢) ذلة (٣) يمنعه عن الدخول (٤) معرفتي (٥) غضبه

مُرُوءَةُ نَادِرَةَ

رَوَى سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ : سَعَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ الْمُهْدِيِّ . فَلَمَّا عَلِمَ بِهِ الْمُهْدِيُّ أَهْدَرَ دَمَهُ ^(١) ، وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْجَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَأَقَامَ الرَّجُلُ حِينًا مُتَّكِئًا مُتَوَارِيًا ثُمَّ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ مَدِينَةَ السَّلَامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي بَعْضِ شَوَارِعِهَا خَائِفًا مُتَرَقِّبًا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَمَرَّقَهُ فَأَخَذَ بِجَمَاعِ طَوْقِهِ وَنَادَى : هَذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَمَكَنَ الرَّجُلُ مِنْ قِيَادِهِ وَنَظَرَ إِلَى الْمَوْتِ أَمَامَهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَقَدْ اجْتَمَعَ حَوْلَهُ خَلْقٌ يُسِيرُ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَالْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَجْرَنِي أَجَارَكَ اللَّهُ . فَوَقَفَ وَقَالَ لِلرَّجُلِ الْمُتَمَلِّقِ بِهِ . مَا شَأْنُكَ وَهَذَا . فَقَالَ لَهُ . إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْجَاءَ بِهِ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : خَلِّ سَبِيلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِغُلَامِهِ : أَرْزِلْ عَن دَابَّتِكَ وَأَحْبِلِ الرَّجُلَ عَلَيْهَا وَأَنْطَلِقْ بِهِ إِلَى مَنْزِلِي . فَصَاحَ الرَّجُلُ الْمُتَمَلِّقُ بِهِ : يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مَعْنُ حَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ

لَهُ مَعْنٌ: أَذْهَبَ فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَآخِرُهُ أَنَّهُ عِنْدِي . فَأَنْطَلَقَ
الرَّجُلُ إِلَى الْمُهْدِيِّ وَآخِرُهُ بِالْقِصَّةِ . فَوَجَّهَ الْمُهْدِيُّ إِلَى مَعْنٍ مَنِ
يَخْضَرُ بِهِ فِي السَّاعَةِ . فَلَمَّا أَتَتْهُ رُسُلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَعَا أَوْلَادَهُ
وَمَمَالِيكَهُ وَأَقَارِبَهُ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُودُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ : أَقْسِمُ عَلَيْكُمْ
بِأَنْ لَا يَصِلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تُطْرِفُ^(١)

ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمُهْدِيِّ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ
لَهُ : يَا مَعْنُ أَتُحِيرُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
فَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ : وَنَعَمْ أَيْضًا ؟ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ . فَقَالَ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ قَتَلْتُ فِي طَاعَتِكُمْ بِالْيَمَنِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ خَمْسَةَ
عَشَرَ أَلْفًا ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقْدَمُ فِي دَوْلَتِكُمْ بِلَانِي^(٢) وَحُسْنُ
عَنَانِي ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَيْمِي ، أَفَأَرَأَيْتُمُونِي أَهْلًا أَنْ
أُجِيرَ رَجُلًا وَاحِدًا اسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ وَهَمَّا مِنْهُ أَنْبِي عَبْدٌ مِنْ
عَبِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ أَصْحَابِ الْحُطُوفِ عِنْدَهُ . فَمَرُّ بِمَا شِئْتَ
هَآ أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ فَأَطْرَقَ الْمُهْدِيُّ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ
سُرِّي عَنْهُ^(٣) وَقَالَ : قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ . فَقَالَ
لَهُ مَعْنُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصِلَهُ بِصِلَةٍ يَعْلَمُ مِنْهَا مَوْقِعَ

(١) تنظر او تتحرك بالنظر (٢) يقال ابلى في الحرب بلا . حسناً اي اظهر

بأسه حتى بلاء الناس وامتنحوه (٣) كشف عنه ما كان يحده من الغضب

الرَّضَى فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ. لِأَنَّ قَلْبَ الرَّجُلِ قَدْ انْخَلَمَ مِنْ
 صَدْرِهِ خَوْفًا. فَقَالَ الْمُهْدِيُّ. قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
 فَقَالَ لَهُ مَعْنُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صَلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدَرِ
 جَنَابَاتِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنْ ذَنْبَ الرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْزِلُ لَهُ الصَّلَاةُ. قَالَ:
 قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ لَهُ مَعْنُ: عَجِّلْهَا يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ الْبِرِّ عَاجِلُهُ. فَأَمَرَ بِتَحْجِيلِهَا. ثُمَّ أَنْصَرَفَ مَعْنُ
 إِلَى مَنْزِلِهِ وَلَحِقَهُ الْمَالُ قَدَعًا الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ: خُذْ صِلَةَ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَقَّ يَا هَلِكُ، وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ الْخُلَفَاءِ وَالْتِعَرُّضَ
 لِسَاخِطِهِمْ. فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْمَالَ وَشَكَرَ لِمَعْنٍ حُسْنَ صَنِيعِهِ، وَدَعَا
 لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِزِّ وَالتَّائِيدِ

الْمَالُ يُكْثِرُ الْأَنْصَارَ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ سُوَيْدٍ: أَعْدَمَ أَبِي إِعْدَامَةً^(١)
 بِالْبَصْرَةِ وَأَبْيَضَ. فَخَرَجَ إِلَى خُرَّاسَانَ فَلَمْ يُصِبْ بِهَا طَوْلًا^(٢).
 فَبَيْنَمَا هُوَ يَشْكُو تَعَدُّرَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ إِذْ عَدَا غُلَامُهُ عَلَى كُسْوَتِهِ
 وَبَغْلَتِهِ فَذَهَبَ بِهِمَا. فَأَتَى أَبَا سَاسَانَ حُضَيْنَ بْنَ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيَّ
 فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو سَاسَانَ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي مَا عَمَلُكَ

(١) أي افتقر افتقاراً (٢) الطول الغنى

يَمْنُ يَخِيلُ مَحَامِلَكَ ، وَلَمَلِي أَنْ أَحْتَالَ لَكَ . فَدَعَا بِكُسُوَةٍ حَسَنَةٍ
فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَمَضِرِ بِنَا ، فَأَتَى بَابَ وَائِي خُرَاسَانَ
فَدَخَلَ وَتَرَكَهُ بِالْبَابِ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : أَيْنَ
عَلِيُّ بْنُ سُؤَيْدٍ . فَدَخَلَ إِلَى الْوَالِي فَإِذَا حُضِنٌ عَلَى فِرَاشٍ جَنِبَهُ .
فَسَلَّمَ عَلَى الْوَالِي فَرَدَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ حُضِنٌ فَقَالَ : أَصْلَحَ
اللَّهُ الْأَمِيرَ هَذَا عَلِيُّ بْنُ سُؤَيْدٍ ، سَيِّدُ فِتْيَانِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَابْنُ
سَيِّدِ كُهُولَهَا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ مَا لَا حَاضِرًا بِالْبَصْرَةِ وَفِي كُلِّ
مَوْضِعٍ مَلَكَتْ بِهِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ مَا لَا . وَقَدْ تَجَلَّ^(١) بِي إِلَى
الْأَمِيرِ فِي حَاجَةٍ . قَالَ : هِيَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ أَنْ تُمَدَّ
يَدَكَ مِنْ مَالِهِ وَتَرَائِكِهِ وَسِلَاحِهِ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ
لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ ، نَحْنُ أَوْلَى بِزِيَادَتِهِ . قَالَ : فَهَذَا أَعْفَيْنَاكَ مِنْ
هَذِهِ إِذَا كَرِهْتَهَا . فَهُوَ يَسْأَلُكَ أَنْ تُحِمِّلَهُ حَوَائِجِكَ . قَالَ إِنْ كَانَتْ
حَاجَةٌ فَهُوَ فِيهَا ثِقَةٌ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ أَنْ تُكَلِّمَهُ فِي قُبُولِ مُعَاوَنَةٍ
مِنَّا . فَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ يُرَى عَلَى مِثْلِهِ مِنْ أَثَرِنَا . فَأَقْبَلَ حُضِنٌ عَلَى
عَلِيٍّ فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَلَّا تَرُدَّ عَلَيَّ عَمَّا شِئْنَا
أَكْرَمَكَ بِهِ . فَسَكَتَ . قَالَ : فَدَعَا لَهُ بِمَالٍ وَدَوَابٍّ وَكَسَاوٍ
وَرَقِيقٍ^(٢) فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : يَا أَبَا سَامَانَ لَقَدْ أَوْفَقْتَنِي عَلَى خُطَّةٍ^(٣)

مَا وَقَفْتُ عَلَى مِثْلِهَا. قَالَ : أَذْهَبَ يَا ابْنَ أَخِي فَعَمَّكَ أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ . إِنَّ النَّاسَ إِنْ عَلِمُوا لَكَ غِرَارَةً ^(١) مِنْ مَالٍ حَشَوْا لَكَ أُخْرَى ، وَإِنْ يَعْلَمُوكَ فَقِيراً تَعَدُّوا عَلَيْكَ مَعَ فَقْرِكَ

لَا شَيْءَ أَرْفَعُ فِي الذِّكْرِ مِنَ الْبُودِ

إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ يُدِيلُ ^(٢) بَيْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَمَرْوَانَ ابْنِ الْحَكَمِ فِي وَلَايَةِ الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا دَخَلَ سَعِيدٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ مَرْوَانَ . قَالَ : تَرَكْتُهُ مُنْفِذًا لِأَمْرِكَ مُضِلِّحًا لِمَمْلِكَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّهُ كَصَاحِبِ الْخُبْزَةِ كَفَى إِنْضَاجَهَا ^(٣) فَأَكَلَهَا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ مِنْ قَوْمٍ لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَا حَصَدُوا ، وَلَا يَخْصِدُونَ إِلَّا مَا زَرَعُوا . قَالَ فَمَا الَّذِي بَاعَدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . قَالَ : خِفْتُهِ عَلَى شَرِّ فِي وَخَافَنِي عَلَى مِثْلِهِ . قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَهُ عِنْدَكَ . قَالَ : أَسْوَأُهُ حَاضِرًا وَأَسْرُهُ غَائِبًا . قَالَ : يَا أَبَا عُثْمَانَ تَرَكْتَنَا فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ . قَالَ : حَمَلَتِ الثَّقَلُ وَكُفِيتِ الْحَزْمُ ^(٤) . قَالَ : فَمَا أَبْطَأَ بِكَ . قَالَ : غَنَاؤُكَ عَنِّي ، وَكُنْتُ قَرِيبًا لَوْ دَعَوْتَ لِأَجْنَبَاكَ ، وَلَوْ أَمَرْتَ لِأَطْنَاكَ . قَالَ : ذَلِكَ ظَنُّنَا

(١) الغرارة العدل الكبير (٢) أي ينزع الولاية من أحدهما ويعطيها

الآخر على التداول (٣) أي جعله كافياً (٤) أي كان حزمك كافياً لك ومغنياً عن مساعدة غيرك

بِكَ . فَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ
هَؤُلَاءِ قَوِيٌّ وَهَذَا كَلَاهُم . ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ مَالِكَ فَهَذَا
فُئِيتُ أَنْكَ تَتَحَرَّى ^(١) فِيهِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا مَالٌ
يَخْرُجُ لَنَا مِنْهُ فَضْلٌ . فَإِذَا كَانَ مَا خَرَجَ قَلِيلًا أَنْفَقْنَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ،
وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا فَكَذَلِكَ . غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَذْخِرُ مِنْهُ شَيْئًا عَنْ
مُسِيرٍ وَلَا طَالِبٍ وَلَا مُخْتَلٍ ^(٢) ، وَلَا نَسْتَأْذِرُ مِنْهُ يَفْلَذُهُ ^(٣) لَحْمٌ
وَلَا يَرْزَعُهُ ^(٤) شَحْمٌ . قَالَ : فَكَمْ يَدُومُ لَكَ هَذَا . قَالَ : مِنْ
السَّنَةِ نِصْفَهَا . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُ فِي بَاقِيهَا . قَالَ : نَجِدُ مَنْ يَسْلُقُنَا ^(٥)
وَيُسَارِعُ إِلَى مُعَامَلَتِنَا . قَالَ : مَا أَحَدٌ أَحْوَجُ إِلَى أَنْ يُصْلَحَ مِنْ
شَأْنِهِ مِنْكَ . قَالَ : إِنْ شَأْنُنَا لَصَالِحٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَوْ
زِدْتَنِي فِي مَالِي مِثْلَهُ مَا كُنْتُ إِلَّا يَبِئْسَ هَذِهِ الْحَالُ . فَأَمَرَ لَهُ
مُعَاوِيَةُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَقَالَ : اشْتَرِ بِهَا ضِيعَةً تُعِينُكَ عَلَى
مُرُوءَتِكَ . فَقَالَ سَعِيدٌ . بَلْ أَشْتَرِي بِهَا حَنْدًا وَذِكْرًا بَاقِيًا . أُطْعِمُ
بِهَا الْجَبَاعَ ، وَأَزْوَاجُهَا الْآثِمَ ^(٦) وَأَفْكَ بِهَا الْعَالِيَّ ^(٧) ، وَأَوَايِي
بِهَا الصَّدِيقَ ، وَأَصْلِحُ بِهَا حَالَ الْجَارِ . فَلَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَعِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا فَضِيلَةُ بَعْدَ الْإِيمَانِ يَا اللَّهُ أَرْفَعُ

(١) تطالب ما هو احرى واولى (٢) محتاج (٣) قطعة (٤) قطعة

(٥) يقرضنا (٦) الاثيم من لا زوج لها (٧) الاسيد

فِي الذِّكْرِ وَلَا أَنْبَهَ (١) فِي الشَّرَفِ مِنَ الْجُودِ

الْعَفْوِ مِنْ شَيْمِ الْكِرَامِ

قَالَ الشَّعْبِيُّ: اسْتَأْذَنْتُ بَكَارَةَ إِلَهَالِيَّةٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي
سُفْيَانَ . فَأَذِنَ لَهَا وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَكَانَتْ قَدْ
أَسَلَتْ وَعَسَا (٢) بَصَرُهَا وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا . فَسَلَمَتْ وَجَلَسَتْ فَرَدًّا
عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ السَّلَامَ وَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَا خَالَه . فَقَالَتْ بِخَيْرٍ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : غَيْرُكَ الدَّهْرُ . قَالَتْ كَذَلِكَ هُوَ ذُو غَيْرِ
مَنْ عَاشَ كَبِيرٌ وَمَنْ مَاتَ فَهِدَ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : هِيَ وَاللَّهِ
أَلْقَائِلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

يَا زَيْدُ دُونَكَ فَاحْتَفِرْ مِنْ دَارِنَا

سَيْفًا حُسَامًا فِي التُّرَابِ دَفِينَا

قَدْ كُنْتُ أَذْخَرُهُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ (٣)

فَالْيَوْمَ أَبْرَزَهُ الزَّمَانُ مَصُونَا

وَقَالَ مَرْوَانُ : هِيَ وَاللَّهِ أَلْقَائِلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

أُتْرَى ابْنُ هِنْدٍ لِلْخِلَافَةِ مَالِكًا هَيْهَاتَ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ

(١) اشرف واشهر (٢) عشا الرجل اذا ساء بصره بالليل والنهار او

ابصر بالنهار ولم يبصر بالليل (٣) حرب

مَتَّكَ نَفْسَكَ فِي الْخِلَاءِ ضَلَالَةً^(١) أَغْرَاكَ عَمْرُو لِلسَّقَا وَسَعِيدُ
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَاصِ : هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ :
قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى
فَوْقَ النَّارِ مِنْ أُمِّةٍ خَاطِبًا
قَالَهُ آخِرَ مُدَّتِي فَتَطَاوَلَتْ
حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَابًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَا يَزَالُ خَطِيبُهُمْ
بَيْنَ الْجَمِيعِ لِآلِ أَحَدٍ عَابًا
ثُمَّ سَكَتُوا فَقَالَتْ : يَا مُعَاوِيَةُ كَلَامُكَ أَعَشَى بَصَرِي وَقَصَّرَ
حُجَّتِي ، أَنَا وَاللَّهِ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا وَمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ . فَضَحِكَ
مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : لَيْسَ يَمْنُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرٍّ . قَالَتْ حَسْبِي عَفْوُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَحِلْمُهُ . وَأَنْصَرَفَتْ تَنْشُرُ أَلْوِيَةَ الْحَنْدِ وَتُطْلِقُ
أَلْسِنَةَ الشُّكْرِ

إِمْرَأَةٌ أَشَدُّ مِنَ الْأَبْطَالِ جُرْأَةً

حَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو النَّسَائِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي
جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ مَعْنَى كَانَ يَسْمُرُ^(٢) مَعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ : بَيْنَمَا مُعَاوِيَةُ

(١) أي جعلت الخلالة من إهانتك (٢) يتحدث ليلاً

ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَ عَمْرٍو وَسَعِيدٍ وَعُتْبَةَ وَالْوَلِيدِ إِذْ ذَكَرُوا الزَّرْقَاءَ
 ابْنَةَ عَدِيِّ بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيَّةَ . وَكَانَتْ قَدْ شَهِدَتْ مَعَ قَوْمِهَا
 وَقَانِعَ صِفِينَ . فَقَالُوا : إِنَّمَا كَانَتْ تَقِفُ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُسْمِعُ
 أَصْحَابَ عَلِيٍّ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَةً لَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ بِقَوْلِ
 لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا ، وَالْمُدْبِرُ لَأَقْبَلَ ، وَالسَّالِمُ لَحَارَبَ ،
 وَالْفَارُ لَكَرَّ ، وَالْمُرْتَزِلُ لَأَسْتَقَرَّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ
 كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ
 فِي أَمْرِهَا . فَقَالُوا نُشِيرُ عَلَيْكَ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لِذَلِكَ . فَقَالَ
 لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بَشِّرْ مَا أَشَرْتُمْ بِهِ ، وَقُبْحًا لِمَا قُلْتُمْ . أَيَحْسَنُ بِمِثْلِي
 أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَ أَمْرَأَةً بَعْدَ مَا ظَفَرَ بِهَا . فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ
 بِالْكُوفَةِ أَنْ يُوفِدَهَا ^(١) إِلَيْهِ مَعَ ثِقَةٍ مِنْ ذَوِي مَحَارِبِهَا وَفُرْسَانٍ
 مِنْ قَوْمِهَا . وَأَنْ يُبَهِّدَ لَهَا وَطَاءً ^(٢) لِنَا ، وَمَرْكَبًا ذُلُولًا ، وَيُوسِعَ
 لَهَا فِي الثَّقَفَةِ . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا .
 فَقَالَتْ : إِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَعَلَ الْخِيَارَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا آتِيهِ ،
 وَإِنْ كَانَ قَدْ حَتَمَ فَالطَّاعَةُ أَوْلَى . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ ^(٣) وَجَعَلَ غِشَاءَهُ
 خَزًّا مُبْطِنًا ، وَأَحْسَنَ جَهَازَهَا ^(٤) عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى

(١) يرسلها (٢) الوطاء . خلاف الغطاء . (٣) الهودج مركب

للنساء . مستدير . قبيب (٤) جهاز المسافر ما يحتاج اليه

مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَإِدُّ .
 كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ . قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ
 لَكَ النِّعْمَةَ . قَالَ : كَيْفَ كُنْتُ فِي مَسِيرِكَ . قَالَتْ : رَيْبَةً ^(١)
 بَيْتٍ أَوْ طِفْلًا مُهْدًاء . قَالَ : بِذَلِكَ أَمَرْنَاهُمْ . أَتَذَرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ
 إِلَيْكَ . قَالَتْ : أَنَّى لِي يَعْلَمَ الْغَيْبُ . قَالَ : أَلَسْتَ الرَّائِجَةَ
 الْجَمَلَ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفَيْنَ ، وَالْوَاقِفَةَ بَيْنَ الصُّفُوفِ تَحْضِينَ عَلَى
 الْقِتَالِ وَتُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ . فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ مَاتَ الرَّأْسُ وَبُتِرَ ^(٢) الذَّنْبُ ، وَلَمْ يَعُدْ مَا ذَهَبَ . وَالْأَدْهَرُ
 دُوْغَيْرٍ وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يَخْذُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ لَهَا
 مُعَاوِيَةُ : صَدَقْتَ فَمَلَّ تَحْفِظِينَ كَلَامَكَ يَوْمَئِذٍ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ .
 قَالَ لِكِنِّي أَحْفَظُهُ فَلَقَدْ كُنْتُ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا وَارْجِعُوا
 إِنَّكُمْ قَدْ أَصَبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَابِيبُ الظُّلْمِ وَجَارَتْ ^(٣) بِكُمْ
 عَنْ قَصْدِ الْحُجَّةِ ^(٤) . فَيَا لَهَا فِتْنَةٌ غَمِيَاءُ صَمَاءُ بَكْمَاءُ لَا تَسْمَعُ لِتَاعِقِ
 وَلَا تَسْأَقُ لِقَائِدِ . إِنَّ الْمِصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَإِنْ
 الْكَوَاكِبَ لَا تُنِيرُ مَعَ الْقَمَرِ ، وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرَسَ ، وَلَا
 يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مَنْ اسْتَرَشَدَنَا أَرْشَدَنَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَنَا

(١) مَوْتٌ رَيْبٌ وَهُوَ الْمَرْتَبِيُّ (٢) انْقِطَاعُ (٣) مَاتَتْ وَحَالَاتُ

(٤) الْمَحْجَةُ جَادَةُ الطَّرِيقِ أَيِ مَعْظَمِهِ وَوَسْطِهِ

أَخْبَرَنَاهُ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا . فَصَبَرَا
يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْفُتُوحِ فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ أَلْتُمُ شَمْلُ
الْشَّتَاتِ ، وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ الْعَدْلِ ، وَغَلَبَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ . فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبُطْلُ ، فَالْزَالُ الْزَالُ وَالصَّابِرُ الصَّابِرُ . أَلَا
وإنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْخِضَاءُ ، وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ ، وَالصَّابِرُ
خَيْرُ الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِيْتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِصِينَ وَلَا مُنْشَاكِسِينَ ^(١)
ثُمَّ قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ يَا زُرْقَاهُ لَقَدْ شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ .
فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ فَمِنْكَ مَنْ يُبَشِّرُ
بِخَيْرٍ وَيُسْرٍ جَلِيلَةٍ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ :
نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ وَأَتَى لِي بِتَصَدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ :
وَاللَّهِ لَوْ فَأَوْكُمُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُكْمٍ لَهُ فِي حَيَاتِهِ .
فَأَذْكُرِي حَوَائِجَكَ تُقْضَى فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : آَلَيْتُ عَلَى
نَفْسِي أَلَا أَسْأَلُ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ
بَعْضُ مَنْ عَرَّفَكَ بِتَيْلِكِ . فَقَالَتْ : لَوْ مِنْ الْمُسِيرِ ، وَلَوْ
أَطْمَنَتُهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكَ وَنُحْسِنُ إِلَيْكَ وَتَزْعَالُ .
فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : كَرَّمْتُ مِنْكَ وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَّرَ فَعْمًا ، وَتَجَاوَزَ
عَنْ أَسَاءٍ ، وَأَعْطَى عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، وَجَادَ عَنْ غَيْرِ طَلْبَةٍ . قَالَ :

صَدَقَتْ وَأَمَرَ لَهَا وَلِلَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا بِجَوَائِزٍ وَكِسَاءٍ وَدَرَاهِمَ
وَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً ^(١) تُنَلِّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً ، وَكَتَبَ إِلَى وَالِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

حُكِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُونُسَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي
صَفْرَةَ وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَّنَهُ . فَتَوَصَّلَ يَزِيدُ بِحُسْنِ
تَلَطُّفِهِ إِلَى اسْتِمَالَةِ السَّجَّانِ وَسَوَّلَ لَهُ الْفِرَارَ فَهَرَبَ مَعًا وَقَصَدَا الشَّامَ
إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ
ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ إِلَى سُلَيْمَانَ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ
وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ . فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ أَنَّ يَزِيدَ هَرَبَ
مِنَ السَّجْنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا . فَكَتَبَ الْوَلِيدُ
إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنِّي مَا أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ إِلَّا لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ مِنْ

صَانِعًا ^(١) قَدِيمًا وَحَدِيثًا . وَلَمْ أُجِرْ عَدُوًّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَكَانَ
الْحَبَّاجُ قَدْ قَصَدَهُ وَعَذَّبَهُ وَأَغْرَمَهُ ^(٢) أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ظُلْمًا .
ثُمَّ طَالَبَهُ بِعَدَّهَا بِثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . وَقَدْ صَارَ إِلَيَّ
وَأَسْتَجَارَ بِي فَأَجَرْتُهُ . وَأَنَا أَغْرَمْتُ عَنْهُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ آلَافِ أَلْفٍ
دِرْهَمٍ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يُخْرِجَنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَفْعَلْ .
فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ : أَنْ لَا بُدَّ
أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مَقُولًا مُقِيدًا . فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ
أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَهَيَّاهُ وَدَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَهَيَّاهُ . ثُمَّ شَدَّ
قَيْدَهُ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّهَا جَمِيعًا بِعُلَيْنٍ ^(٣) وَأَرْسَلَهَا إِلَى
أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ
إِلَيْكَ يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا :
فَإِنْ هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَيَا اللَّهَ عَلَيْكَ أَبَدًا بِأَيُّوبَ
مِنْ قَبْلِهِ ثُمَّ أَجْعَلْ يَزِيدَ ثَانِيًا وَأَجْعَلْنِي إِذَا شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ .
فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ فِي
سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ إِسْتَحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَانَا إِلَى أَبِي
أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ . فَأَخَذَ يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَحْتَجُّ لِنَفْسِهِ .

(١) جمع صنعة تقول هذا صنيعة إذا رببته وخرجه واختصته بالصنع الجميل

(٢) أي الزمه باداء (٣) شتى غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق أو اليد

فَقَالَ الْوَلِيدُ . مَا نَحْتَاجُ إِلَى كَلَامٍ قَدْ قِيلَنَا عُذْرَكَ ، وَعَلِمْنَا
ظُلْمَ الْحَجَّاجِ . ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَحْضَرَ حَدَّادًا فَأَزَالَ عَنْهُمَا الْحَدِيدَ ، وَوَصَلَ
الْوَلِيدُ أَيُّوبَ بْنِ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَوَصَلَ يَزِيدَ ابْنَ
الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ . وَكَتَبَ كِتَابًا
إِلَى الْحَجَّاجِ يَقُولُ لَهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَأَيَّاكَ
أَنْ تُتَاوَدَّنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَرْفَعَ الْمَنَازِلِ

بِشِ السَّيَافَةِ وَنَعَمَ الْقَتْلُ

قَالَ الرَّبِيعُ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَرْبَطَ جَاشًا ^(١) وَاثْبَتَ جَنَاحًا
وَأَظْهَرَ حُجَّةً مِنْ رَجُلٍ سُعِيَّ بِهِ إِلَى الْمَنْصُورِ أَنْ عِنْدَهُ وَدَائِعَ
وَأَمْوَالًا لِبَنِي أُمَيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ
الْمَنْصُورُ : قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا أَنْ عِنْدَكَ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا وَسِلَاحًا لِبَنِي
أُمَيَّةَ فَأَحْضِرْهَا إِلَيْنَا وَلَا تَكْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْتَ وَارِثُ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَوَصِّي لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ
وَرِثَائِهِمْ ^(٢) . قَالَ : لَا . قَالَ فَلِمَ تَسْأَلُ إِذَا عَمَّا فِي يَدَيَّ مِنْ ذَلِكَ .
قَالَ فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ وَتَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِنَّ بَنِي

(١) ربط جأشه إذا اشتد قلبه والجأش اضطراب القلب عند الفرع

(٢) جمع ربح بمعنى الدار والمثزل

أُمِيَّةَ ظَلَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِيهَا وَأَنَا وَكِيلُ الْمُسْلِمِينَ فِي حُقُوقِهِمْ
وَأُرِيدُ أَنْ آخُذَ مَا ظَلَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِيهِ فَأَجْلَسَهُ فِي بَيْتِ أَمْوَالِهِمْ .
فَقَالَ الرَّجُلُ : يَخْتَاجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِقَامَةِ بَيْتَةٍ عَادِلَةٍ تَشْهَدُ
أَنَّ الْمَالَ الَّذِي لِبَنِي أُمِيَّةَ هُوَ الَّذِي فِي يَدَيَّ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي
غَضَبَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ أَنَّ بَنِي أُمِيَّةَ
قَدْ كَانَتْ لَهُمْ أَمْوَالٌ لِأَنْفُسِهِمْ غَيْرُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ :
فَاطْرَقَ الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا رَيْبِعُ مَا أَرَى
الشَّيْخَ إِلَّا قَدْ صَدَقَ . فَمَا يَجِبُ لَنَا عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَا يَسْعُنَا إِلَّا أَنْ
نَمُوتَ عَمَّا قِيلَ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ : مَا هِيَ . قَالَ : أَنْ تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي إِلَيْكَ .
فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا لِبَنِي أُمِيَّةَ عِنْدِي مَالٌ وَلَا سِلَاحٌ ،
وَلَكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَلِمْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْعَدْلِ
وَالْإِنصَافِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَاجْتِنَابِ الظَّالِمِ فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْكَلَامَ
الَّذِي صَدَرَ مِنِّي هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْخُلَاصِ وَالنَّجَاحِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ :
يَا رَيْبِعُ أَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِهِ . فَجَمَعَتْ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا رَأَاهُ
قَالَ : هَذَا غُلَامِي أَخْتَلَسَ بِي ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ مَالِي وَأَبِيقُ^(١)
مِنِّي وَخَافَ مِنْ طَلْبِي لَهُ فَسَعَى بِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :

فَشَدَّدَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْقَلَامِ وَخَوْفَهُ فَأَقْرَبَ يَأْنُهُ غَلَامُهُ وَأَنَّهُ أَخَذَ
 أَلْمَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ ، وَسَعَى بِهِ كَذِبًا عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي
 يَدِهِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : قَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَفَوْتُ عَنْهُ
 وَأَعْتَقْتُهُ وَوَهَبْتُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ أُخْرَى أَدْفَعُهَا إِلَيْهِ لِأَجْلِ وَقُورِي
 بَيْنَ يَدَيْكَ وَحُضُورِي مَجْلِسِكَ : فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : مَا عَلَى مَا
 فَعَلْتَ مِنْ مَزِيدٍ . قَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا كُلُّهُ لَقَلِيلٌ
 فِي مُقَابَلَةِ كَلَامِكَ لِي وَعَفْوِكَ عَنِّي . فَاسْتَحْسَنَ الْمَنْصُورُ كَلَامَهُ
 وَأَكْرَمَهُ وَرَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ مُعَزَّزًا . وَكَانَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ
 مِثْلَ هَذَا الشَّيْخِ قَطُّ ، وَلَا أَثْبَتَ مِنْ جَنَانِهِ ، وَلَا أَوْسَعَ مِنْ
 حِلْيِهِ ، وَلَا مِنْ حَجَّتِي مِثْلَهُ

مَرْوَةٌ نَادِرَةٌ وَوَقْفٌ عَجِيبٌ

حُكِيَ أَنَّ الثُّمَانَ كَانَ قَدْ جَعَلَ لَهُ يَوْمَيْنِ : يَوْمُ بُوسٍ ، مِنْ
 صَادَقَةٍ فِيهِ قَتْلُهُ وَأَرْدَاهُ ، وَيَوْمُ نَعْمٍ ^(١) مِنْ لَقِيَةِ فِيهِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ
 وَأَغْنَاهُ . وَاتَّفَقَ أَنْ حَنْظَلَةَ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ الطَّائِي قَدْ رَمَاهُ حَدِيثُ
 دَهْرِهِ بِسَهَامٍ فَاقَتِهِ وَفَقَرِهِ ، فَأَخْرَجَتْهُ الْفَاقَةُ مِنْ مَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ
 لِيَرْتَادَ ^(٢) شَيْئًا لِيَصْبِيَتْهُ وَصَغَارِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ صَادَقَهُ

الْتَعْمَانُ فِي يَوْمِ بُوسِهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الطَّائِيُّ عَلِمَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ وَأَنَّ دَمَهُ
مَطْلُولٌ ^(١) فَقَالَ حَيَّا اللَّهُ الْمَلِكَ إِنَّ لِي صَيِّةً صِنَارًا وَأَهْلًا جِيَاعًا .
وَقَدْ أَرَقْتُ مَاءً وَجِئِي فِي الْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَلْقَةِ ^(٢) لَهُمْ .
وَقَدْ أَقْدَمَنِي سُوءُ الْحَظِّ عَلَى الْمَلِكِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَبُوسِ .
وَقَدْ قَرَّبْتُ مِنْ مَقَرِّ الصَّيِّةِ وَالْأَهْلِ وَهُمْ عَلَى شَفَا ^(٣) تَلَفٍ ^(٤) مِنْ
الطَّوِيِّ ^(٥) وَلَنْ يَتَفَاوَتْ ^(٦) الْحَالُ فِي قَتْلِي بَيْنَ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ .
فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَأْذَنُ لِي فِي أَنْ أُوصَلَ إِلَيْهِمْ هَذَا الْفُوتَ وَأُوصِيَ
بِهِمْ أَهْلُ الْمَرْوَةِ مِنَ الْحَيِّ لئَلَّا يَهْلِكُوا ضِيَاعًا . ثُمَّ أَعُودُ إِلَى
الْمَلِكِ وَأُسَلِّمَ نَفْسِي لِنَفَاذٍ ^(٧) أَمْرِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ التَّعْمَانُ صُورَةَ
مَقَالِهِ وَفَهِمَ حَقِيقَةَ حَالِهِ وَرَأَى تَلَهُفَهُ عَلَى ضِيَاعِ أَطْفَالِهِ رَقَّ لَهُ
وَرَتَّى لِحَالِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : لَا آذَنُ لَكَ حَتَّى يَضْمَنَكَ رَجُلٌ مُعْتَا
فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ قَتْلَنَاهُ . وَكَانَ شَرِيكَ بْنُ عَدِيٍّ نَدِيمُ التَّعْمَانِ مَعَهُ
فَالْتَفَتَ إِلَى شَرِيكَ وَقَالَ لَهُ :

يَا شَرِيكَ بْنَ عَدِيٍّ مَا مِنْ الْمَوْتِ أَنْهَرَامَ
مَنْ لِأَطْفَالِهِ ضِعَافٍ عَدِمُوا طَعْمَ الطَّعَامِ
بَيْنَ جُوعٍ وَأَنْتِظَارٍ وَأَفْتِمَارٍ وَسَقَامِ

(١) مهدور ومباح (٢) البلقة ما يكتفى به من العيش (٣) طرف

(٤) هلاك (٥) الجوع (٦) يختلف (٧) لقضاء

يَا أَخَا كُلِّ كَرِيمٍ أَنْتَ مِنْ قَوْمِ كِرَامٍ
يَا أَخَا النُّعْمَانِ جُدْ لِي بِضَمَانٍ وَالْإِزَامِ
وَلَكَ اللَّهُ بِأَنِّي رَاجِعٌ قَبْلَ الظَّلَامِ

فَقَالَ شَرِيكَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ ، عَلَيَّ ضَمَانُهُ . فَمَرَّ الطَّائِي مُسْرِعًا وَصَارَ النُّعْمَانُ يَقُولُ لِشَرِيكَ : إِنَّ صَدْرَ النَّهَارِ قَدْ وَلَّى وَلَمْ يَرْجِعِ الرَّجُلُ . وَشَرِيكَ يَقُولُ : لَيْسَ لِلْمَلِكِ عَلَيَّ سَبِيلٌ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسَاءَ . فَلَمَّا قَرُبَ الْمَسَاءُ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ : قَدْ جَاءَ وَقْتُكَ فَمَنْ فَتَاهَبْ لِالْقَتْلِ . فَقَالَ شَرِيكَ : هَذَا شَخْصٌ قَدْ لَاحَ مُقْبِلًا وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الطَّائِي . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَأَمْرُ الْمَلِكِ مُتَمَتِّلٌ . قَالَ فَيَنْمَا هُمْ كَذَلِكَ وَإِذَا بِالطَّائِي قَدْ أَشَدَّ عَدُوَّهُ فِي سَبِيلِهِ مُسْرِعًا حَتَّى وَصَلَ فَقَالَ : خَشِيتُ أَنْ يَنْقُضِيَ النَّهَارُ قَبْلَ وُصُولِي . ثُمَّ وَقَفَ قَائِمًا وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَرْبَا بِأَمْرِكَ . فَأَطْرَقَ النُّعْمَانُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْكُمْ . أَمَا أَنْتَ يَا طَائِي فَمَا تَرَكْتَ لِأَحَدٍ فِي الْوَفَاءِ مَقَامًا يَقُومُ فِيهِ ، وَلَا ذَاكِرًا يَفْتَحِرُ بِهِ . وَأَمَا أَنْتَ يَا شَرِيكَ فَمَا تَرَكْتَ لِكَرِيمٍ سَمَاحَةً يُذَكِّرُ بِهَا فِي الْكُرْمَاءِ فَلَا أَكُونُ أَنَا الْأَمُّ الثَّلَاثَةَ . أَلَا وَلَرْتِي قَدْ رَفَعْتُ يَوْمَ بُؤْسِي عَنِ النَّاسِ وَتَقَضَّتْ عَادَتِي كَرَامَةً لَوْفَاءِ الطَّائِي وَكَرَمِ شَرِيكَ . فَقَالَ الطَّائِي :

أَقْوَامًا جُلُوسًا فَظَنَنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ . فَسَأَلُوا وَرَحِبُوا بِي
فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيْفِكُمْ فُلَانٌ . قَالُوا : 'لَا ، نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي
الْحَمَامِ . فَقُلْتُ أَسْتَعِجِلُوهُ . فَمَضَى بَعْضُهُمْ يَسْتَعْجِلُهُ وَأَنَا أَتَقَفُّ
الدَّارَ وَأَتَأَمَلُ الْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَاجَتْ بِأَهْلِهَا . فَلَمْ
أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَقْبَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْحَمَامِ وَحَوَالِيهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ
مِنْ كُهُولٍ وَشُبَّانٍ وَحَفَدَةٍ وَغِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ بِعَافِيَةٍ فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ أَحْضَرَتْ لَهُ
أَطْبَاقُ الْفَاكِهَةِ فَقَالَ : تَقَدَّمْ يَا مَنَارَةُ كُلْ مَعَنَا فَقُلْتُ : مَا لِي إِلَى
ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ . فَلَمْ يُعَاوِدْنِي ، فَأَكَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ وَرَأَيْتُ مَا لَمْ
أَرَهُ إِلَّا فِي دَارِ الْخِلَافَةِ . ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَجَاوُوا
إِلَيْهِ بِمَائِدَةٍ أُنِيقَةٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ . فَقَالَ : تَقَدَّمْ يَا مَنَارَةُ
فَكُلْ ، فَأَمْتَمْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي فَأَخَذَ يَأْكُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ
أَوْلَادِهِ . وَكَانُوا لَا يَرْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَّا تَهَيَّأَ غَيْرُهُ
حَالًا أَعْظَمَ وَأَحْسَنَ مِنْهُ . وَكَانَ غِلْمَانُهُ عِنْدَ رُؤُوسِي إِلَى الدَّارِ قَدْ
أَخَذُوا مِنْ مَعِي مِنَ الْغِلْمَانِ وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارٍ أُخْرَى . فَمَا
أَطَاقُوا مُنَاجَاةَ نَفْسِهِمْ ، وَبَقِيَتْ وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسَةٌ أَوْ
سِتَّةٌ غِلْمَانٍ وَقُوفٌ عَلَى رَأْسِي . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذَا جَبَّارٌ عِنْدُ
فَإِنْ أَمْتَمَّ مِنَ الشُّخُوصِ لَمْ أَطِقْ إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بِمَنْ مَعِي

إِلَّا أَنْ يَلْحَقَنِي أَمِيرُ الْبَلَدِ . وَجَزَعْتُ جَزَعًا شَدِيدًا وَرَأَيْتُ مِنْهُ
 اسْتِخْفَافَهُ وَتَهَاوُنَهُ بِأَمْرِي . يَدْعُونِي بِأَسْمِي وَلَا يُفَكِّرُ فِي أَمْتَاعِي
 مِنْ الْأَكْلِ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ وَيَأْكُلُ مُطْمَئِنًّا . فَلَمَّا فَرَغَ
 مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ أَحْضَرَ لَهُ الْبُخُورَ فَتَبَخَّرَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ
 وَأَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالْإِنِّهَالِ . فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا
 أَقْدَمَكَ يَا مَنَارَةَ . فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ
 فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَضَاهُ وَقَرَأَهُ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ
 اسْتَدْعَى جَمِيعَ بَنِيهِ وَخَوَاصَّ أَصْحَابِهِ وَعُلَمَانَهُ وَسَائِرَ حَاشِيَتِهِ حَتَّى
 صَافَتْ بِهِمُ الدَّارُ عَلَى سَعَتِهَا ؟ فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي
 فَطَارَ عَظْمِي . وَفِيهَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا بِهِ قَدِ انْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ وَأَقْسَمَ
 عَلَيْهِمْ أَيْمَانًا مُنْظَلَةً ^(١) أَنْ لَا يَجْتَمِعَ اثْنَانِ مِنْهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ
 حَتَّى يَكْشِفَ لَهُمْ أَمْرًا يَتِمَّدُونَ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ أَقِيمُ بَعْدَ نَظَرِي فِيهِ سَاعَةً
 وَاحِدَةً . فَاسْتَوْصُوا ^(٢) بَيْنَ وَرَأْيِي مِنَ الْحَرِيمِ خَيْرًا . وَمَا لِي
 حَاجَةٌ أَنْ يَصْحَبَنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي وَقَدَّمَ رِجْلَيْهِ وَقَالَ :
 هَاتِ قُيُودَكَ يَا مَنَارَةَ . فَدَعَوْتُ بِهَا وَكَانَتْ فِي سَفَطٍ وَمَدَّ يَدَهُ

(١) غَلْظَ عَلَيْهِ فِي الْيَمِينِ شَدَّدَ عَلَيْهِ وَاكْد (٢) اسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا

فَمَيِّدَتُهُ وَأَمَرْتُ غُلَامِي بِحَمْلِهِ حَتَّى صَارَ فِي الْمَحَلِّ (١) فَرَكِبْتُ
 فِي الشَّقِّ الْأَخْرَسِ مِنْ وَقْتِي وَلَمْ أَلْقِ أَمِيرَ الْبَلَدِ وَلَا
 غَيْرَهُ. وَسَرْتُ بِالرُّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ. فَلَمَّا صِرْنَا فِي ظَاهِرِ
 دِمَشْقٍ ابْتَدَأَ يُحَدِّثُنِي بِأَنْبَسَاطٍ إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْنَا إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنٍ فِي
 الْفُوطَةِ فَقَالَ لِي: أَتَرَى هَذَا. قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ: إِنَّهُ لِي وَفِيهِ مِنْ
 غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ وَطَبِيبِ الثِّبَارِ كَذَا وَكَذَا. ثُمَّ أَنْتَهَى إِلَى مَزَارِعِ
 حَسَانٍ مُخَصَّبَةٍ فَقَالَ: هَذِهِ الْمَزَارِعُ يُخْصَلُّ لِي مِنْهَا كُلُّ سَنَةٍ كَذَا
 وَكَذَا. فَأَشْتَدُّ غَيْظِي مِنْهُ وَقُلْتُ: يَا هَذَا أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَهْمُهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَنْفَذَنِي خَلْقَكَ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ يَنْتَظِرُكَ
 وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِ مَا تَذَرِي مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ وَقَدْ أَخْرَجْتُكَ
 مِنْ مَنَزِلِكَ وَمَنْ بَيْنَ أَهْلِكَ وَنِعْمَتِكَ وَحَيْدًا فَرِيدًا مُقَيَّدًا مَغْلُوبًا
 وَأَنْتَ مَعَ هَذَا فَارِغَ الْقَلْبِ سَاكِنُ الْبَلَدِ تُحَدِّثُنِي بِحَدِيثٍ لَا يَنْفَعُكَ
 وَلَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ. وَكَانَ شُغْلُكَ بِنَفْسِكَ أَوْلَى بِكَ. فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ. لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِرَاسَتِي فِيكَ يَا مَنَارَةَ. لَقَدْ ظَنَنْتُ
 أَنَّكَ مَا حَلَلْتَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ هَذَا الْمَحَلَّ إِلَّا لَوْ فُورٍ عَقْلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ
 جَاهِلٌ عَامِيٌّ لَا تَصْلُحُ لِمُخَاطَبَةِ الْخُلَفَاءِ. أَمَا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هَذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ

(١) المحمل شقان على البعير يركب فيها أو يحمل فيها العبدان

مِنْ رَبِّي الَّذِي بِيَدِهِ نَاصِيَتِي وَنَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ تَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ
 كَانَ قَدْ قَضَى عَلَيَّ اللَّهُ بِأَمْرِ فَلَا حِيلَةَ لِي بِدَفْعِهِ وَلَا قُدْرَةَ لِي عَلَى
 مَنَعِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ فَلَوْ اجْتَمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَسَائِرُ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَنْ يَضُرُّونِي لَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا
 بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ ،
 وَإِنَّمَا الْحَسَدَةُ وَالْأَعْدَاءُ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ بِي ، وَتَقَوُّلُوا عَلَيَّ
 الْأَقَاوِيلَ . فَإِذَا أَطْلَعَ عَلَى بَرَاءَتِي فَهُوَ لَا يَسْتَحِلُّ مَضَرَّتِي وَلَا
 يَسْتَسِيحُ دَمِي ، بَلْ يَدُؤُنِي إِلَى بِلَادِي مُكْرَمًا مُبَجَّلًا . وَقَدْ كُنْتُ
 أَحْسِبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا فَإِذَا نَ قَدْ عَرَفْتُ مُبْلَغَ قَهْمِكَ . فَإِنِّي
 لَا أَكَلِمُكَ بِكَلِمَةٍ حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ التَّسْبِيحِ أَوْ طَلَبِ
 مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى شَارَفْنَا الْكُوفَةَ بُكْرَةَ الْيَوْمِ
 الثَّلَاثِ عَشَرَ . وَإِذَا الرُّسُلُ قَدِ اسْتَقْبَلَتْنَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 يَتَجَسَّسُونَ خَبْرِي فَلَمَّا رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِالْخَبَرِ إِلَى
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى بَابِهِ حَطَطْتُ رَحْلِي ثُمَّ دَخَلْتُ
 عَلَيْهِ وَقَبِلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ
 يَا مَنَارَةَ أَخْبِرْنِي مِنْ يَوْمِ خُرُوجِكَ عَنِّي إِلَى يَوْمِ قُدُومِكَ عَلَيَّ .

فَابتَدَأَتْ أَحَدِيَّتُهُ يَا مُورِي كُلِّهَا مُفَصَّلَةً وَالنَّضَبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِهِ .
فَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى فَرَاغِ الْأُمُورِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْإِفَاتِهِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ
عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَادَرَتِهِ إِلَى إِحْضَارِ وَلَدِهِ
وَعِلْمَانِهِ وَخَوَاصِهِ وَحَلْفِهِ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَيَّامَانَ الْمُنْظَلَّةَ أَلَّا يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ
مِنْهُمْ تَهْلَلُ وَجْهُهُ . فَلَمَّا ذَكَرْتُ أَنَّهُ قَدَّمَ رَجُلِيهِ لِتَقْيِيدِهِ أَسْفَرَ وَجْهُهُ
وَأَسْتَبَشَرَ . فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِحَدِيثِي مَعَهُ فِي ضِيَاعِهِ وَبَسَاتِينِهِ وَمَا قُلْتُ
لَهُ وَمَا قَالَ لِي . قَالَ صَدَقَ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا مَخْسُودٌ عَلَى
نِعْمَتِهِ وَمَكْذُوبٌ عَلَيْهِ . وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَرْعَجْنَاهُ وَرَعَيْنَاهُ وَشَوَّشْنَا
عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ وَأَهْلِيهِ . أَخْرَجْ إِلَيْهِ وَأَنْزِعْ قِيودَهُ وَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ
مُكْرَمًا فَفَعَلْتُ . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَاهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاءِ يَجُولُ فِي
وَجْهِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَدَنَا الْأُمُورِيُّ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْهِ
الرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَرَحَبَ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ وَأَعْتَدَرَ إِلَيْهِ ،
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَتَكَلَّمَ الْأُمُورِيُّ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ .
فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : بَلَّغْنَا عَنْكَ أُمُورَ أَحِبَّتْنَا مَعَهَا أَنْ نَرَكَ
وَنَسْمَعَ كَلَامَكَ وَنُحْسِنَ إِلَيْكَ فَأَذْكُرْ حَاجَاتِكَ . فَقَالَ : لَيْسَ لِي
عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَّةٌ فَمَا هِيَ . قَالَ :
سُرْعَةُ إِجْرَاعِي إِلَى بَلَدِي وَجَمْعُ شَمْلِي بِأَهْلِي وَوَلَدِي . قَالَ : تَفْعَلُ
ذَلِكَ ، وَلَكِنْ سَلْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ .

فَإِنْ مِثْلَكَ لَا يَخْلُو أَنْ يَخْتَجَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا . قَالَ : عَدْلُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَمَالِهِ مَا أَحْوَجُنِي إِلَى سُؤَالٍ . فَأُمُورِي مُسْتَقِيمَةٌ
 وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَلَدِي فَإِنَّهُمْ عَلَى آثَمِ الْأَمْنِ وَالِدَعَةِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَخَلَعَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ وَقَالَ لَهُ : قُمْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَوَدَائِهِ
 وَرِعَايَتِهِ ، وَلَا تَقْطَعْ أَخْبَارَكَ عَنَّا وَاكْتُبْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ عَرَضَ
 لَكَ . فَشَكَرَ لَهُ الْأُمَوِيُّ أَجَلَ شُكْرٍ وَدَعَا لَهُ وَوَدَّعَهُ وَخَرَجَ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ لِخَادِمِهِ : يَا مَنَارَةُ ارْكَبِ السَّاعَةَ مَعَهُ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى
 الْمَكَانِ الَّذِي أَخَذْتَهُ مِنْهُ . قَالَ مَنَارَةُ : مَا زِلْتُ مَعَهُ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى
 مَحَلِّهِ فَقَرَّحَ بِهِ أَهْلَهُ أَشَدَّ الْقَرَحِ ثُمَّ أَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا
 فَوَدَّعْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ

مَا أَجَلَ الزَّوْءَاءِ

رَوَى خَادِمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُأْمُونِ قَالَ : طَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةٌ فَقَالَ لِي : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ شَيْخًا يَحْضُرُ
 لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ الْبَرَامِكَةِ وَيُنْشِدُ شِعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ ذِكْرًا جَمِيلًا ،
 وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَأَمَضَ الْآنَ أَنْتَ وَعَلِيٌّ
 ابْنُ مُحَمَّدٍ وَدِينَارُ الْخَادِمُ حَتَّى تَرِدُوا تِلْكَ الْخَرَابَ فَإِذَا وَرَدْتُمُوهَا
 اسْتَرَوْا خَلْفَ بَعْضِ الْجُدْرَانِ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَبَكَى
 وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ شَيْئًا فَأَتُونِي بِهِ . قَالَ فَأَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا

الْخَرَابَ فَإِذَا نَحْنُ بِغَلَامٍ قَدْ آتَى وَمَعَهُ بِسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ، وَإِذَا
 شَيْخٌ قَدْ أَقْبَلَ وَلَهُ جَمَالٌ وَعَلَيْهِ هَابَةٌ وَوَقَارٌ وَلَطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى
 الْكُرْسِيِّ وَجَمَلَ بَيْنِي وَيَتَحَبُّ وَيَقُولُ :
 وَلَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ جَنْدَلٌ ^(١) جَعْفَرًا

وَنَادَى مُأَدِّ الْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
 بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأْسِفِي

عَلَيْهِمْ وَقُلْتُ الْآنَ لَا تَنْفَعُ الدُّنْيَا
 مَعَ آيَاتِ أَطَالَهَا وَرَدَّدَهَا . فَلَمَّا فَرَغَ قَبَضْنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ :
 أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَفَرَعَ فَرَعًا شَدِيدًا وَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى
 أُورِصَ بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أُوقِنُ بَعْدَهَا بِحَيَاةٍ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ
 الدَّكَاكِينِ فَاسْتَفْتَحَ ^(٢) وَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَدَفَعَهَا إِلَى
 غُلَامِهِ . ثُمَّ سَرَّنا بِهِ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَجَرَهُ وَقَالَ
 لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَبِمَاذَا اسْتَوْجَبْتَ الْبَرَامِكَةَ مِنْكَ مَا تَفْعَلُهُ فِي
 خَرَائِبِ دُورِهِمْ وَمَا تَقُولُهُ فِيهَا . فَقَالَ الشَّيْخُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنَّ الْبَرَامِكَةَ عِنْدِي أَيَادِي خَطِيرَةٍ أَقْتَاذُنْ لِي أَنْ أَحْدِثَ لَكَ بِحَالِي
 مَعَهُمْ . قَالَ : قُلْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا الْمُنْدِرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ
 مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ ، وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَرَوُلُ عَنِ الرِّجَالِ .

(١) صرع والقي في الارض (٢) طلب الفتح اي النصر

فَلَمَّا رَكِبْنِي الَّذِينَ وَاحْتَجَّتْ إِلَى بَيْعِ مَسْقَطِ رَأْسِي وَرُؤُوسِ أَهْلِي
 أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَرَامِكَةِ . فَخَرَجْتُ مِنْ دِمَشْقَ وَمَعِيَ
 ثَلَاثُونَ رَجُلًا وَتَيْفٌ مِنْ أَهْلِي وَوُلْدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يُبَاعُ وَلَا مَا
 يُوهَبُ حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَتَرَكْنَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ . فَدَعَوْتُ بِثِيَابٍ
 لِي كُنْتُ قَدْ أَعَدَدْتُهَا لِأَسْتَنْحِ بِهَا النَّاسَ فَلَبِسْتُهَا وَخَرَجْتُ وَتَرَكْتُهُمْ
 حِياعًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَغْدَادَ أَسْأَلُ عَنْ دُورِ
 الْبَرَامِكَةِ . فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِيهِ مِئَةُ شَيْخٍ بِأَحْسَنِ زِيٍّ
 وَزِينَةٍ ، وَعَلَى الْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي الْجَامِعِ جَمَاعَةٌ جُلُوسٌ . فَطِغْتُ
 فِي الْقَوْمِ وَوَلَجْتُ الْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَالْعَرَقُ يَسِيلُ
 مِنِّي لِأَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ صِنَاعَتِي . وَإِذَا بِخَادِمٍ قَدْ أَقْبَلَ فَدَعَا الْقَوْمَ
 فَهَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ . فَدَخَلُوا دَارَ بَيْحِي بْنِ خَالِدٍ وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا
 بِبَيْحِي جَالِسٌ عَلَى دَكَّةٍ ^(١) لَهُ فِي وَسْطِ بُسْتَانٍ . فَسَلَمْنَا وَهُوَ يَمُدُّنَا
 مِئَةً وَوَاحِدًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرَةٌ مِنْ وَلَدِهِ . وَإِذَا بِثَلَاثٍ أَمْرَدَ قَدْ
 أَقْبَلَ مِنْ بَعْضِ الْمَقَاصِيرِ ^(٢) بَيْنَ يَدَيْهِ مِئَةُ خَادِمٍ مُتَطَهِّقُونَ ، فِي
 وَسْطِ كُلِّ خَادِمٍ مِنْطَقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ يَقْرُبُ وَزَنْهَا مِنْ أَلْفٍ مِثْقَالٍ ،
 وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ مِجْمَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِي كُلِّ مِجْمَرَةٍ قِطْعَةٌ مِنْ

(١) بنا . سطح اعلاه للجلوس عليه (٢) جمع لقصورة وهي الدار

عُودِ كَهْمِيَّةِ الْفَهْرِ^(١) قَدْ قُرِنَ بِهَا مِثْلَهَا مِنَ النَّسْرِ السُّلْطَانِي . ثُمَّ
خَرَجَ إِلَيْنَا مِائَةٌ وَأَتْنَا عَشَرَ خَادِمًا ، مَعَ كُلِّ خَادِمٍ صَبِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ
عَلَيْهَا أَلْفُ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ رَجُلٍ مِئَاتَ صَبِيَّةٍ .
فَرَأَيْتُ الْقَاضِيَّ وَالْمَشَائِخَ يَصُبُّونَ الدَّنَائِرَ فِي أَكْصَابِهِمْ وَيَجْعَلُونَ
الصَّوَانِي تَحْتَ أَبْطَانِهِمْ وَيَقُومُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى بَقِيَْتُ وَحْدِي
بَيْنَ يَدَيَّ يَخِي لَا أَجْسُرُ عَلَى اخْتِذِ الصَّبِيَّةِ . فَعَمَزَنِي الْخَادِمُ
فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ الذَّهَبَ فِي كُمِّي وَأَخَذْتُ الصَّبِيَّةَ فِي
يَدَيَّ وَقُمْتُ وَجَعَلْتُ أَتْلُقْتُ إِلَى وَرَائِي مَخَافَةً أَنْ أَمْنَعَ مِنَ الذَّهَابِ
بِهَا . فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ وَيَخِي يَلْحَظُنِي إِذْ قَالَ لِلْخَادِمِ : إِيْتِنِي بِذَلِكَ
الرَّجُلِ فَرُدِّدْتُ إِلَيْهِ . فَأَمَرَ بِصَبِّ الدَّنَائِرِ مِنْ كُمِّي وَأَخَذْتُ الصَّبِيَّةَ
مِنْ يَدَيَّ . ثُمَّ أَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ . فَقَالَ لِي : يَمْنُ الرَّجُلُ
فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : إِيْتِنِي بِوَلَدِي مُوسَى فَأَتَاهُ
بِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ هَذَا رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَاحْفَظْهُ
بِنَفْسِكَ وَأَغْرِزْهُ بِنِعْمَتِكَ . فَقَبَضَ مُوسَى عَلَى يَدَيَّ وَأَدْخَلَنِي إِلَى
دَارٍ مِنْ دُورِهِ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي
فِي الدِّعْشِ وَأَتَمَّ سُرُورِي . فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا بِأَخِيهِ الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ
إِنَّ الْوَزِيرَ قَدْ أَمَرَنِي بِالْمَطْفِ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَقَدْ عَلِمْتَ اشْتِغَالِي

(١) حجر بقدر ما يدق به الجوز او يعلأ به الكف

فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَقْبَضَهُ إِلَيْكَ وَأَكْرَمَهُ . فَهَمَلَ ذَلِكَ
 وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ الْفَدَى تَسَلَّمَنِي أَخُوهُ أَحْمَدُ
 ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ يَتَدَاوُلُونِي عَشْرَةَ أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ
 خَبَرَ عِيَالِي وَصِيَّائِي أَنِّي الْأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي الْأَحْيَاءِ . فَلَمَّا
 كَانَ الْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَدَمِ
 فَقَالُوا لِي : قُمْ فَأَخْرُجْ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ . فَقُلْتُ : وَيَلَاهُ
 سُبُلْتُ الدَّنَانِيرَ وَالصِّينَةَ وَأَخْرُجُ إِلَى عِيَالِي عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ .
 إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . فَرَفَعَ السِّتْرَ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ
 الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ . فَلَمَّا رَفَعَ الْعَادِمُ السِّتْرَ الْأَخِيرَ قَالَ لِي : هُنَا
 كَانَ لَكَ مِنَ الْحَاجَاتِ فَارَقْنَاهَا إِلَيَّ فَإِنِّي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيعِ
 مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَلَمَّا رَفَعَ السِّتْرَ الْأَخِيرَ رَأَيْتُ حُجْرَةً كَالشَّمْسِ
 حُسْنًا وَنُورًا وَاسْتَقْبَلَنِي مِنْهَا رَاحَةُ النَّدَى وَالْعُودُ وَتَفَحَاتُ الْبَسَكِ .
 وَإِذَا بِصِيَّائِي وَعِيَالِي يَقْبَلُونَ فِي الْحَرِيرِ وَالْدِيْبَاجِ . وَحَمَلَ إِلَيَّ
 أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَعَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَمَنْشُورًا بِضِيعَتَيْنِ ،
 وَتِلْكَ الصِّينَةُ الَّتِي كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّنَانِيرِ .
 وَأَقَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
 سَنَةً لَا يَعْلَمُ النَّاسُ أَمِنَ الْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ أَصْطَفَعُونِي
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَلِيَّةُ وَتَرَلَّ بِهِمْ مِنَ الرَّشِيدِ مَا تَرَلَّ أَجْحَفَ بِي عَمُرُو

ابن مسعدة وأزمني في هاتين الصّمتين من الخراج ما لا يفي
 دخلهما به . فلما تحامل عليّ الدهر كنت في أواخر الليل أقصد
 خرائب دورهم فاندبهم وأذكرُ حسن صيغهم إليّ وأشكرهم
 على إحسانهم . فقال المؤمنون : عليّ يعمرو بن مسعدة . فلما أتني
 به قال له : يا عمرو أتعرف هذا الرجل . قال : نعم يا أمير
 المؤمنين ، هو بعض صنائع البرامكة . قال : كم ألزمته في
 صيغته . قال : كذا وكذا . فقال له : ردّ إليه كل ما استأديته^(١)
 من الأموال في مدّته ليكون له ولقبه من بعده . قال : فعلا
 نجيب الرجل وبكاؤه . فلما رأى المؤمنون كثرة بكاؤه قال له :
 يا هذا قد أحسنّا إليك فما ينيك . قال : يا أمير المؤمنين
 وهذا أيضاً من صنائع البرامكة إذ لو لم أت خرائبهم فأبكيهم
 واندبهم حتى أتصل خبري إلى أمير المؤمنين ففعل بي ما فعل
 من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين . قال إبراهيم بن ميمون :
 فلقد رأيت المؤمن وقد دمعت عيناه ، وظهر عليه حزنه وقال :
 لعنري هذا من صنائع البرامكة . ففعل بهم فأبك ، وإياهم
 فأشكر ، ولهم فأوف ، ولإحسانهم فأذكر



الباب السادس

الشعر الوصفي والقصصي

بين الربيع والشعر

« من قصيدة لاحمد شوقي بك »

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي رَيْعَانِهِ ^(١) وَبِأَنْوَارِهِ وَطِيبِ زَمَانِهِ
 نَزَلَ السَّهْلَ ضَاحِكًا الْبُشْرَ يَمْشِي فِيهِ مَشْيَ الْأَمِيرِ فِي بُسْتَانِهِ
 عَادَ حَلِيًّا بِرَاحَتِهِ وَوَشْيًا طُولَ أَنْهَارِهِ وَعَرَضُ جَنَانِهِ
 لَفَّ فِي طَيْلَسَانِهِ طُرْدَ الْأَزْ ضِ فَطَابَ الْأَدِيمُ مِنْ طَيْلَسَانِهِ ^(٢)
 سَاحِرُ فِتْنَةِ الْيُونِ مُمِينٌ فَصَلَ الْمَاءُ فِي الرُّبَى بِجُفَانِهِ
 عَبَقْرِيُّ الْخِيَالِ زَادَ عَلَى الطَّيْفِ وَأَدْبَى عَلَيْهِ فِي أَلْوَانِهِ
 صَبَغَهُ ^(٣) اللَّهُ آيْنَ مِنْهَا رَفَائِلُ وَمِنْقَاشُهُ وَسَحَرُ بَنَانِهِ
 دَثَمَ الرُّوضُ جَدْوَلًا وَنَسِيًا وَتَلَا طَيْرٌ أَيْكِهِ غُصْنُ بَانِهِ
 وَشَدَّتْ فِي الرُّبَى الرِّيَاحِينَ هَمْسًا كَتَفَنِي الطُّرُوبُ فِي وَجْدَانِهِ

(١) ريعان كل شيء، اوله وافضله (٢) الطيلسان كساء مدور اخضر

لا اسفل له يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ. والطرر جمع طرة وهي جانب الثوب الذي لا هذب له (٣) فطرة وخلقة

نَعْمُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ شَتَّى مِنْ مَعَانِي الرَّبِّيعِ أَوْ الْحَانَةِ
 آيْنُ نُورِ الرَّبِّيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ إِذَا مَا اسْتَوَى عَلَى أَفْنَانِهِ
 سَرْمَدُ الْحُسْنِ وَالْبَشَاشَةِ مَهْمَا تَلْتَمِسُهُ تَجِدُهُ فِي إِبَانِهِ ^(١)
 حَسَنُ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَجَمَالُ الْقَرِيضِ بَعْدَ أَوَانِهِ
 مَلِكُ ظِلُّهُ عَلَى رُبُوبَةِ الْخُلْدِ وَكُرْسِيُّهُ عَلَى خُلَجَانِهِ ^(٢)
 أَمَرَ اللَّهُ بِالْحَقِيقَةِ وَالْحِكْمَةِ فَالْتَقْنَا عَلَى صَوْلَجَانِهِ
 لَمْ تَتَرَأْ أُمَّةٌ إِلَى الْحَقِّ إِلَّا يَهْدِي الشَّعْرُ أَوْ خَطَى شَيْطَانِهِ ^(٣)
 لَيْسَ عَزْفُ النَّحَّاسِ أَوْ قَعَمِنُهُ فِي شَجَاعِ الْفُؤَادِ أَوْ فِي جَبَانِهِ

...

كَانَ شَعْرِي الْغَنَاءُ فِي فَرْحِ الشَّرِّ قِ وَكَانَ الْعَزَاءُ فِي أَحْزَانِهِ
 قَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يُؤَلِّفَنَا الْجَزْءَ وَأَنْ نَلْتَقِيَ عَلَى أَشْجَانِهِ
 كُلَّمَا أَنْ يَالْعِرَاقِ جَرِيحُ لَمَسَ الشَّرِّقَ جَنْبُهُ فِي عُمَامِهِ ^(٤)
 وَعَلَيْنَا كَمَا عَلَيْكُمْ حَدِيدُ تَتَزَيُّ ^(٥) الْيُوثُ فِي قُضْبَانِهِ
 نَحْنُ فِي الْفِكْرِ بِالْدِيَارِ سَوَاءٍ كُلُّنَا مُشْفِقٌ عَلَى أَوْطَانِهِ

(١) حينه (٢) جوانبه او انهاره (٣) طريقه وسبله (٤) عمان بلد باليمن

(٥) تتوتب

وله من قصيدة يحمي فيها تمثال « النهضة » في مصر

وَيَوْمَ ظَلِيلِ الضُّحَى مِنْ شَسْ^(١) مَشَتْ مِصْرُ فِيهِ تَعِيدُ الْمُصَوِّرَ
أَفَاءَ عَلَى مِصْرَ آمَالَهَا وَيَنْغُرُ ذِكْرُ الصِّبَا بِأَلْهَا
وَتَعْرِضُ فِي الْمَهْرَجَانِ الْعَظِيمِ ضَحَاها الْخَوَالِي وَأَصَالَهَا
وَأَقْبَلَ «رَمْسِيسُ» جَلَّ الْجَلالِ سَيَّ الْمَوَاكِبِ نُحْثَالَهَا
فَعَجًا بِأَبْلَجٍ مِثْلَ الصَّبَاحِ وَجُوهَ الْبِلَادِ وَأَرْسَالَهَا^(٢)
وَأَوْمًا إِلَى ظِلْمَاتِ الْقُرُونِ فَشَقَّ عَنِ الْقَنِّ أَسْدَالَهَا
لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَهْدَ الْقُنُونِ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مَثَالَهَا^(٣)
تَعَالَوْا نَرَى كَيْفَ سَوَى الصَّفَاةِ فَتَاةٌ تُلِيمُ بِرَبِّهَا^(٤)
دَنْتَ مِنْ أَبِي الْهَوْلِ مَشَى الرُّؤْمِ^(٥)

إلى مَقْعِدِ هَاجٍ يَلْبَاهَا
وَقَدْ جَابَ فِي سَكَرَاتِ الْكَرَى عُرُوضَ اللَّيَالِي وَأَطْوَالَهَا
وَأَلْقَى عَلَى الرَّمْلِ أَرْوَاقَهُ وَأَرَسَى عَلَى الْأَرْضِ أَنْفَالَهَا
يُخَالُ لِإِطْرَاقِهِ فِي الرِّمَالِ سَطِيحَ الْمُصَوِّرِ وَرَمَالَهَا^(٦)

(١) شَسْ المكان الذي اقيم فيه تمثال النهضة. وافاء ارجع (٢) جماعاتها

(٣) يريد به ناحت التمثال (٤) تجمع قيصها (٥) اي ماشية مشي الرؤوم

(٦) سطوح اسم كاهن في اليمن كان يتكهن في الجاهلية. والرهول الذي له معرفة بعلم الرمل

هَلَّا صَعِدْتُ إِلَى ذُرَى جَبَلٍ
فَأَرَى الْجَدِيدَ مِنَ الْوُجُودِ وَمَا
وَأَشَارِفُ الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهَا
وَبَدَلْتُ هَذَا الْكُوخَ بِالْقَصْرِ
تَحْوِي مَعَانِي الْكَوْنِ مِنْ سِحْرِ
تَطْوِي مَنَاظِرَهَا عَلَى نَشْرِ

...

قَالَتْ وَقَامَ بِهَا الْهَوَى فَمَشَتْ
وَالرَّيْحُ تَحْمِلُهَا وَتُقْعِدُهَا
حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ وَمَا ابْتَعَدَتْ
فَرَأَتْ إِسَاطَ الشَّيْبِ مُنْتَشِرًا
جَارَاتِهَا فِي الْحَيِّ نَائِمَةً
فَاسْتَبَشَرَتْ بِالْفَوْزِ وَأَنْطَلَقَتْ
وَحَلَا لَهَا السَّفَرُ الْبَعِيدُ وَمَا
الْأَرْضُ مُوَعِرَةٌ وَمُخْرِقَةٌ
وَرَفِيقُهَا هَوَجٌ^(١) الرِّيَّاحِ وَقَدْ
تَرْمِي بِهَا كُلَّ أَلْجَاحٍ فَلَا
حَتَّى أَصَابَتْ هَضْبَةً^(٢) فَإِذَا
فِي الْقَفْرِ مِثْلَ ظَبَانِهِ الْغَفْرِ^(١)
وَتَمُوجُ بَيْنَ الشَّجَرِ وَالْخَضِرِ
وَقَفَّتْ تُجِلُّ الطَّرْفَ عَنْ كِبَرِهِ
تَلْوِي عَلَيْهِ مَعَاطِفُ^(٢) النَّهْرِ
حُمْرًا عَلَى أَعْلَاهَا الْخَضِرِ
تَعْدُو وَلَا تَلْوِي^(٣) عَلَى أَمْرِ
حَصِبَتْ حِسَابَ الْخُلُوفِ وَالْمَرْ
فَكَأَنَّهَا تَنْشِي عَلَى جَنْبِهِ
ثَارَتْ عَلَيْهَا ثَوْرَةُ الْقَدْرِ
تَرْتَاخُ مِنْ كَرٍّ إِلَى قَدْرِ
فِيهَا نَعِيمُ الْعَيْنِ وَالْفِكَرِ

(١) جمع الاعفر وهو من الظباء الابيض في غيرة (٢) جمع معطف وهو

الرداء او الحانوب (٣) تعدو تجري وتلوي تقف وتميل (٤) الهوج جمع الهوجاء

وهي الريح الشديدة الهبوب (٥) الهضبة جبل منبسط

مِنْ تَحْتِهَا الْجَنَاتُ مُشْرِقَةٌ
 وَالنَّاسُ وَالْأَشْيَاءُ مَانِجَةٌ
 قَالَتْ بَدَأْتُ أَرَى فَوَاطِرِي
 أَعْلُو إِلَى قَمَرٍ تُحِجُّهُمَا
 فَأَرَى بَدِيعَ الْكَوْنِ تَحْتَ يَدِي
 يَا لِلنَّفْسِجَةِ الْجَبِيلَةِ مِنْ
 عَزِّ السَّيْلِ إِلَى مَطَامِحِهَا^(١)
 وَأَصَابَ أَرْجُلَهَا الضَّعِيفَةَ مَا
 فَتَاوَهَتْ نَدْمًا وَلَوْ قَدَرَتْ
 فَتَشَبَّثَتْ فِي الْأَرْضِ مُفْرِغَةً
 حَتَّى تَسْمَتِ الذَّرَى^(٢) وَغَدَتْ
 لِكِنِّهَا لَمْ تَلَقْ وَأَسْفِي
 لَا عُشْبَ يَنْبْتُ فِي جَوَانِبِهِ
 وَالْعَاصِفَاتُ كَأَنَّهُمَا أُسْدُ
 وَالنِّعَمُ سَاوَى فِي تَلْبِذِهِ
 فَجَثَّتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَبَكَتْ
 بِأَرْثَرِ كَأَلْفِ لَاحِلٍ بِأَرْثَرِ
 كَأَلْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفِي جَزَرِ
 لَوْ كُنْتُ أَبْلَغُ مَوْطِئُ السَّرِ
 تِلْكَ الْيَوْمُ بِحَالِكَ السَّرِ
 وَأُفْضُ^(٣) مِنْهُ غَامِضَ السَّرِ
 أَهْوَالِ مَا قَاسَتْهُ لَوْ تَذَرِي
 فِي مَضَعِدِ الْأَشْوَكَ وَالْوَعْرِ
 يَنْبِي^(٤) الْحَدِيدَ الصَّلْبَ بِأَلْكَسْرِ
 رَجَعَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا تَجْرِي
 جُهْدَ الْقَوَى وَبَقِيَّةَ الصَّبْرِ
 فِي الْأَوْجِ^(٥) تَتَلَوُ آيَةَ الشُّكْرِ
 فِي الْأَوْجِ غَيْرَ جَلَامِدِ الصَّخْرِ
 أَبَدًا وَلَا أَثْرُ الْمُخْضَرِّ
 فِي الْجَوْرِ تَرَارُ أَيْمًا زَارِ
 مَا بَيْنَ نُصْفِ الْبَلِيلِ وَالظُّهْرِ
 كَأَلْفِ قَلْبٍ مِنْ تَعَبٍ وَمِنْ دُغْرِ

(١) أزيل (٢) مقاصدها ومطالبها (٣) يصيب (٤) تسنم علا

والذرى جمع الذروة وهي من كل شيء اعلاه (٥) الاوج العلو

وَالْبَرْدُ أَفْسَدَ لَوْنَهَا كَمَدَا مِنْ كُلِّ مُزْدَقٍ وَمُحَرَّةٍ
فَاصْفَرَ ذِيَاكَ الْحَبِينُ كَمَا ذَهَبَتْ نَصَارَةُ ذَلِكَ الثَّغْرِ
مِنْ قَهْرِهَا أَنْتَ وَقَدْ سَمِعْتَ وَنُطَ الْأَزْوَاجِ أَنَّهُ الْقَهْرُ
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَصْبُ نَحْوَ عُلَى وَبَقِيَتْ بَيْنَ عَرَائِسِ الزَّهْرِ
ثُمَّ أَرْتَمْتَ ضَعْفًا وَأَخْرَسَهَا شَبَحُ بَدَا مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ
وَتَصَلَّبَتْ أَعْصَابُهَا وَمَضَتْ بِأَلْمُوتِ هَاوِيَّةٍ إِلَى الْقَهْرِ

...

مِسْكِينُهُ قَدْ غَرَّهَا شَرَفُ هُوَ كَالشَّرَابِ لِكُلِّ مُفْتَرٍ
ظَلَّتْ بِأَنَّ لَهَا أَلَمَاءَ غَنَى فَإِذَا بِهِ قَهْرٌ عَلَى قَهْرِ
مَا كَانَ أَهْنَاهَا وَأَسْعَدَهَا لَوْ لَمْ تُفَارِقْ ضَفَّةً^(١) النَّهْرِ

ليالي الصيف في مصر

« من قصيدة لالاس فياض »

أَذَاعَ فِي مِصْرَ رَسُولُ الْبَشَرِ أَنَّ ذُكَاً^(٢) غَرَقَتْ فِي الْبَحْرِ
فَطَلَعَ الْبَدْرُ ضُحُوكَ الثَّغْرِ وَأَقْبَلَ النَّسِيمُ لُطْفًا يَسْرِي
وَصَفَّقَتْ قَوْزًا مِيَاهُ النَّهْرِ

(١) جانب (٢) ذكا، اسم للشمس غير منصرف للعلمية والثانيث

وَبَلَغَ الرِّيَاضَ ذَاكَ الْخَبْرُ فَاهْتَزَّ إِعْجَابًا وَمَاسَ ^(١) الشَّجَرُ
وَأَبْتَهَجَ النُّورُ بِهَا وَالشَّمْرُ وَالزَّهْرُ مِنْ فَوْقُ إِلَيْهَا تَنْظُرُ
تَرَى خَيَالَ ذَاتِهَا فِي الزَّهْرِ

أَنْظُرُ فَيَنَازِلُ الدُّورُ وَالْفُصُورُ لَيْسَ بِهَا حِسٌّ وَلَا سُجُورُ
صَامِتَةٌ كَأَنَّهَا قُبُورُ قَدْ أَنْبَرَتْ بِأَهْلِهَا تَمُورُ ^(٢)
وَأَنْفَرَجَتْ عُقْدَةُ ذَاكَ الْحَصْرِ

تَنْفَسَ الْحَيُّ وَمُنْذُ حِينَ كَانَ يُعَانِي غُصَصَ الْأُتُونِ
مُنْظَرِحًا فِي ذَلِكَ الْأُتُونِ فَلَمْ يَكُنْ يَأْتِلُ مِنْ مُعِينِ
سِوَاكَ لِلْخَلَاصِ مِنْ ذَا الْأَسْرِ

يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ ^(٣) الْجَمِيلُ الْأَسْوَدُ أَنْتَ لَنَا الْمَوْلَى وَنَحْنُ الْأَعْبُدُ
بَلْ أَنْتَ فِي مِصْرٍ إِلَهُ يُعْبَدُ فَفِيكَ طَابَتْ مُهْجٌ وَأَكْبَدُ
أَوْدَى بِهَا ^(٤) لَوْلَاكَ صَيْفُ مِصْرٍ

لِأَجْلِ هَذَا قَدْ تَغْنَى الْمُنْشِدُ بِأَسْمِكَ كُلَّ سَاعَةٍ يُرَدِّدُ
يَا لَيْلُ لَيْتَ الصُّبْحَ لَيْسَ يُؤَلِّدُ وَلَيْتَ كُلُّ أَبْيَضٍ يَا أَسْوَدُ
فِدَا هَاتِيكَ أَلَيْتَ يَا ^(٥) أَنْفَرِ

يَا حَبْدًا أَيْلُ عَلَى صَوْنِ الْقَمَرِ وَحَبْدًا أَلْفَبُوقُ ^(٦) فِيهِ وَأَسْحَرُ

(١) تامل وتبخر (٢) تتحرك بسرعة (٣) يريد به الليل (٤) اهلكها

(٥) جمع الثنية وهي من الاضراس الاربعة التي في مقدم الفم (٦) ما يشرب بالشي

وَكَيْفَهُ كَأَنِّي عَلَى سَفَرٍ فِي لَيْلَةٍ مَا عَابَهَا غَيْرُ الْقَصَرِ
كَذَلِكَ الصَّفْوُ قَصِيرُ الْعُمُرِ

وَالرَّيْحُ تَسْرِي حَوْنًا بَلِيلًا تَبْلُ مِنْ صُدُورِنَا أَلْقِيلًا
كَأَنَّهَا آسٍ أَتَى عَلِيلًا وَقَدْ أَبْخَاهَا أَلْمَى^(١) تَقِيلًا
فَمَا أَكْتَفَتْ بَلْ عَمِثَتْ^(٢) بِالشَّعْرِ

وَاللَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَا غَزِيرًا تَهْزُنَا مَوْجَانُهُ سُورًا
كَمَا تَهْزُ غَادَةُ سَرِيرًا قَدْ نَامَ فِيهِ طِفْلُهَا قَرِيرًا
فِي مَأْمَنٍ مِنْ عَادِيَاتِ^(٣) الدَّهْرِ

وَالْبَدْرُ تَلْقَى وَجْهَهُ فِي الْمَاءِ سَبَائِكًا مِنْ فِضَّةٍ يَبْضَاهُ
تَلْمَعُ إِذْ تَتَوَجُّ بِالْهَوَاءِ كَأَنَّهَا السُّيُوفُ فِي الْهَيْجَاهِ
مَا بَيْنَ كَرٍّ دَانِمًا وَقَرٍّ^(٤)

وَاللَّخِيْلُ مَنْظَرٌ رَهيبٌ تُزَاعُ فِي جَمَالِهِ الْقُلُوبُ
فَوْقَ الضِّفَافِ ظَلُّهَا رَهيبٌ صَفًّا يَصِفُ زَانَهَا التَّرْتِيبُ
مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَظِيمٍ الْقَدَرِ

تَحْسَبُهَا مَرْدَةً طَوَالًا تَحْتَ مَظَالَتِ زَهْتِ جَمَالًا

(١) اللمى سمرة في باطن الشفة. وابعاه الشيء. جعله حلالاً له (٢) لعبت

(٣) مصائب (٤) كَرَّ الفارس فرَّ للجولان ثم عاد للقتال. وفر اوسع الجولان

للانعطاف وفي الكلام استعارة

فِي الْبَيْتِ جَاءَتْ تَبْتَغِي أَغْتَسَالًا سَحَرَهَا الْبَيْتُ فَلَنْ تَرَا
وَاقَّةً هُنَا يَفْعَلُ السَّحَرُ

الملاحه الجويه

« من قصيدة للخورى بطرس البستاني »

فَتَحُوا السَّمَاءَ وَطَارَدُوا الْعِمْبَانَ وَجَرَوْا عَلَى مَتْنِ الْهَوَا فُرْسَانًا
وَالْجَوُّ وَدَّعَ عِزَّهُ وَهَنَاءُهُ مُذْ صَيَّرُوهُ لِخَلِيلِهِمْ مِيدَانًا
وَالرَّيْحُ قَدْ سَلَسَتْ مَقَادِئُهَا لَهُمْ حَتَّى غَدَتْ مِثْلَ الذُّلُولِ^(١) لِيَانًا
لِللَّهِ دُرُّهُمْ إِذَا مَا أَطْلَقُوا لِلْمَرْكَبَاتِ السَّابِحَاتِ عِنَانًا^(٢)
فَتَحَّاهَا عِنْدَ الْهَبُوطِ صَوَاعِقًا وَإِذَا تَعَالَتْ خِلَتَهَا بِيْرَانًا^(٣)
تَحْكِي الطُّيُورَ بِشَكْلِهَا لِيَكُنَّهَا أَمْضَى جَنَاحًا بَلْ أَشَدُّ جَنَانًا
لَوْ حَاوَلَ النَّسْرُ الْفَتْيَ لِحَاقَهَا لَا رُتْدَ خَوَارَ الْفُؤَى عِيَانًا
أَوَلَسْتَ تَحْسَبُهَا وَقَدْ طَارُوا بِهَا كَالْبَرْقِ آتَا وَاسْتِهَامَ أَوَانًا
أَمَّا جَنَاحَاهَا فَلَا تَطْوِيهِمَا حَتَّى يَكُونَا لِلْهَوَا مِيزَانًا
فَإِذَا أُرْتَقَتْ قُبَّ السَّحَابِ وَحَلَقَتْ وَقَفَ الْعُقَابُ إِزَاهَا وَلَهَا نَا
مَا كَانَ أَبَدَعُ مَشْهَدًا عَايَنَتْهُ يَسِي الْقُلُوبَ وَيَفْتِنُ الْأَذْهَانَا

(١) الذلول اندابة السهلة الانقياد (٢) العنان سيرة المجامع (٣) جمع بزر

وهو نوع من الطير

شَاهَدْتُ (فِدْرِينَ) ^(١) الْجَرِيَّ مُخْلِقًا
 مِنْ فَوْقِ مَرْكَبَةٍ يُحَرِّكُهَا كَمَا
 لَمَّا دَنَا وَقْتُ الرَّحِيلِ سَمِعْتُ مِنْ
 زَفَرَاتٍ مَصْدُورٍ تُصَدِّعُهُ النَّوَى
 حَتَّى إِذَا حَمَيْتُ مَرَاجِلَهَا ^(٢) جَرَتْ
 قَالُوا بِسَاطِ الرِّيحِ وَهُمْ كَاذِبٌ
 كَالنَّسْرِ يَسْبَحُ فِي السَّمَاءِ جَذَلَانَا
 يَهْوَى فَتَحْنِقُ تَحْتَهُ خَفَقَانَا
 أَحْشَانَهَا مَا يَبْعَثُ الْأَشْجَانَا
 فَتُسَبُّ فِي أَضْلَاعِهِ نِيرَانَا
 كَاللَّيْلِ يَزَارُ فِي أَلْفِ غَضَبَانَا
 فَإِذَا بِهِمْ قَدْ شَاهَدُوهُ عِيَانَا

...

مَنْ كَانَ يَحْلُمُ أَنْ أَطْبَاقَ السَّمَاءِ
 مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّ مِضْمَارَ أَلْهَوَا
 فَأَلْأَرْضُ لَمْ تُشْبِعْ مَطَامِعَ أَهْلِهَا
 إِنْخِضْ جَنَاحَكَ أَيُّهَا النَّسْرُ الَّذِي
 قَدْ كُنْتَ تَرَعَمُ أَنْ مُلْكَكَ خَالِدٌ
 فَإِذَا بِهِ وَالْمَرْكَبَاتُ سَوَابِحُ
 لَا تَأْخُذْنِكَ حَبِيرَةٌ مِمَّا جَرَى
 أَيْنَ أَلْفَرُّ مِنَ الْأَنَامِ فَلَانَهُمْ
 مَا كُنْتَ تَخْشَى فِي حِمَاكَ مُزَاجِمَا
 سَتَضُمُّ فِي رَحَابَتِهَا ^(٣) سُكَّانَا
 سَيَصِيرُ يَوْمًا بِأَلْوَرَى غَصَّانَا ^(٤)
 فَبْنُوا لَهُمْ فِي جَوْهِ أَوْطَانَا
 مَلِكُ الرِّقِيعِ بِبَاسِهِ أَرْمَانَا
 لَا يُحَرِّزُ الْإِنْسَانُ فِيهِ مَكَانَا
 فِي الْجَوِّ تَحِلُّ فَوْقَهَا الرُّكْبَانَا
 فَاللَّهُ خَوْلَ آدَمَ أَلْسُلَاطَانَا
 خَرَقُوا السَّمَاءَ وَسَخَّرُوا الْأَكْرَانَا
 حَتَّى رَأَيْتَ بِجَوْكَ الْإِنْسَانَا

(١) هو أول طيار خلق في سما. يبدوت (٢) جمع الرجل وهو القدر

(٣) ساحاتها (٤) يقال غص المنزل بالقوم اذا امتلأ بهم وضاق عليهم

فَلَقَدْ مَضَتْ يَا نَسْرُ دَوْلَتِكَ أَلْتِي هَدَمْتَ لَهَا أَيْدِي أَلْوَرَى الْأَرْكَانَا
وَمَضَى زَمَانٌ كُنْتَ فِيهِ مُنْمَعًا تَطْوِي الرِّقِيعَ وَتَلْتَنِي نَشْوَانَا

...

يَاشْرُقُ مَا لَكَ خَامِلًا وَالْغَرْبُ فِي أَوْجِ النَّبَاهَةِ يَنْشُرُ الْعُمَرَانَا"
أَفَلَا تَرَاهُمْ يُخْدِعُونَ غَرَابًا يَقِفُ اللَّيْبُ أَمَامَهَا حَيْرَانَا
مِنْ كُلِّ مُعْجِزَةٍ نَكَادُ نَعُدُّهَا سِحْرًا وَنَحْسِبُ رَبَّهَا شَيْطَانَا
لَا، لَيْسَ مِنْ سِحْرِ هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَلِدُ الْعُلُومُ الْمُعْجِزَ الْقَتَانَا
سَقِيًا لِصَدْرِكَ يَا فَرَنْسَا إِنَّهُ يَسْقِي الصُّدُورَ مِنَ الْعُلُومِ لِبَانَا
أَيُّ اكْتِشَافٍ لَمْ تَكُونِي أُمُّهُ أَوْ لَمْ تَرِيدِي صُنْعَهُ إِنْتَانَا

احتراق سوق الشفقة في باريس

« من قصيدة للشیخ نجیب الحداد »

أَيُّ دُرٍّ أَجْرَى الدُّمُوعَ دِمَاءَ وَأَذَابَ الْقُلُوبَ وَالْأَحْشَاءَ
وَأَسَالَ النُّفُوسَ حُزْنًَا وَأَذْكَى^(١) الصَّدْرَ نَارًا وَاسْتَرْفَ^(٢) الْعَيْنَ مَاءَ
أَيُّ خَطْبٍ أَصَابَ بَارِيسَ أُمُّ الْمَدْنِ بِنْتُ التَّمَدُّنِ أَرْزَهَاءَ
فَجَمَّةٌ أَكْمَدَتْ ضَحَاها وَقَدْ خَصَّتْ بَيْنَهُمَا وَعَمَّتِ الْغُرَبَاءَ

(١) الخامل الخفي الذي ليس له ذكر. والنباهة لاشتهار وهي ضد خمول

(٢) اوقد (٣) ستزف الدمع استخرجه كنه

لَيْسَ بَدْعٌ^(١) فِي خُطْبِ بَارِيسَ أَنْ تَشْمَلَ^(٢) آثَارُ حُزْنِهِ الدُّنْيَا
 هِيَ قَلْبُ الدُّنْيَا أُصِيبَ بِسَهْمٍ فَأَصَابَتْ آلَامُهُ الْأَعْضَاءَ
 وَهِيَ أُمُّ الْأَذَابِ أَثْكَلَهَا الدَّهْرُ فَأَبْكَتْ بِوَجْدِهَا الْأَبْنَاءَ
 قَدْ دَهَاها مُصَابُ سَادُومَ لَكِنْ خَصَّ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهَا الْأَبْرِيَاءَ
 فَهِيَ فِي الْحُزْنِ مِثْلُ رَاحِيلَ إِذْ تَبْكِي بَنِيهَا وَلَا تُرِيدُ عَزَاءً
 أَذْكَتِ الْكَهْرْبَاءَ فِيهَا لَيْبَاءً قَدْ كَرِهْنَا لِأَجْلِهِ الْكَهْرْبَاءَ
 وَرَمَاهَا نُورُ الضِّيَاءِ يَنَارِ أَظْلَمَتْهَا فَمَا تُلَاقِي الضِّيَاءَ
 فِي مَكَانِ الشَّيْءِ لِدَفْعِ بَلَاءٍ عَنِ فَقِيرٍ فَكَانَ^(٣) فِيهِ بَلَاءُ
 سُوقُ بَرٍّ تُبَاعُ فِيهَا اللَّهُي^(٤) يَنَامًا وَيُشْرَى الثَّوَابُ فِيهَا بِشَرَاءٍ
 زَيَّنَتْهَا بَيْضُ الْأَيْدِي وَأَيْدِي السَّبِيضِ مِنْ مُخْسِنٍ وَمِنْ حَسَنَاءَ
 أَنْفُسُ تَبْتَغِي السَّمَاءَ فَمَا أَمْسَيْنَ إِلَّا وَقَدْ بَلَغْنَ السَّمَاءَ
 أَذْرَكْتَ مَا تَرُومُ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ^(٥) وَلَكِنْ كَانَ الطَّرِيقُ صِلَاءً^(٦)
 مَنْ رَأَى قَبْلَهَا جَعِيمًا يُودِّي لِنَعِيمٍ أَبْنَاءَهُ الشُّهَدَاءَ
 أَوْ رَأَى مُخْسِنًا يَجُودُ عَلَى النَّاسِ فَيَلْقَى نَارَ الْحَرِيقِ جَزَاءً
 أَتَرَى كَانَ ذَلِكَ مَطْهَرًا مِنْ مَا تَوَاقَمُوا عَنْهُ النَّفُوسِ الْخَطَاءَ

(١) لا غريب ولا عجب (٢) تعم (٣) أي كان النور في المكان بلا.

(٤) جمع اللهية وهي العطية أو أفضل العطايا واجزلها (٥) البقاء والدوام .

وجنة الخلد كناية عن السماء لبقاء أهلها فيها (٦) ناراً

أَمْ هُوَ الَّذِي لَا يَزَالُ مُسِينًا لِكَرِيمٍ وَمُكْرِمًا مِّنْ أَسَاءٍ
 يَادُّبُوعًا كَانَتْ مَمَاهِدَ إِحْسَانٍ وَحُسْنٍ فَأَصْبَحَتْ قَفَرَاءَ
 وَدِيَارًا كَانَتْ مَنَازِلَ إِنَّا سِرٌّ فَأَضَحَتْ بِلَاقِمًا ^(١) وَخَلَاءَ
 وَكَرَامًا كَانُوا مَنَاهِلَ جُودٍ لِّفَقِيرٍ فَأَصْبَحُوا قَفَرَاءَ
 أُمَرَاءَ نَادَى النَّدَى فَأَطَاعُوا أَمِيرًا لَهُمْ وَلَبَّوْا أَلِدَاءَ
 وَحَسَانُ قَدْ جَدْنَ بِرًّا كَأَنَّ الْبِرَّ ثَوْبٌ يَزِيدُهُنَّ بِهَاءَ
 سَاحَةً تُنْتِ الْمَكَرِمَ وَالرَّأْفَةَ وَالْمَجْدَ وَالنَّدَى وَالْإِخَاءَ
 فَتَسَاءَ بِهَا تُبَارِي ^(٢) رِجَالًا وَرِجَالُ بِهَا تُبَارِي النِّسَاءَ
 أَوُجُهُ يُشْرِقُ أَلْسِنًا مِنْ مُجَيَّا هَا فَتَزْدَادُ بِالْجَبِيلِ سَنَاءَ
 دُحْنٍ يَزْهُونَ بِأَلْيَاضٍ فَمَا أَمْسَيْنَ إِلَّا كَوَالِحًا ^(٣) سَوْدَاءَ
 وَمَا ^(٤) لَمْ تَدْعُ بِهَا النَّارُ إِلَّا دَسَمَ جِسْمٍ وَأَعْظَمَا جَرْدَاءَ
 كُنَّ نَاسًا فَصِرْنَ نَارًا فَأَصْبَحْنَ رَمَادًا بِهَا فَصِرْنَ هَبَاءَ
 قَدْ كَفَتْ لَحْظَةً لِأَنَّ تَقْلِبَ الْأَمْرِ وَأَنْ تَجْعَلَ النِّعِمَ شَقَاءَ
 فَاسْتَحَالَ الْهَنَاءُ بُوْسًا وَأَحْزَا نَا وَأَضْحَى ذَاكَ السُّرُورُ بُكَاءَ
 رَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَضَى وَشَفَى الْجَزْ حَى وَعَزَى الْبَاكِينَ وَالْتَعَسَاءَ

(١) جمع بلقع وهو ارض قفر لا شيء فيها (٢) من باراه اذا فعل مثل

فعله (٣) معبسة (٤) جمع رمة وهي ما يلي من العظام

شلال سمانا

بقلم بطرس البستاني صاحب جريدة «البيان»

هَلْ زِدْتَهُ وَالْحَرُّ تَلْفَحُ نَارُهُ فَرَأَيْتَ كَيْفَ تَوَهُمُهُ زَوَارُهُ
 وَجَرَى اللَّسِيمُ بِهِ فَبَرَدَ آبُهُ حَتَّى يُخِيلُ أَنَّهُ آذَارُهُ
 وَتَرَنَّتْ أَشْجَارُهُ وَتَضَوَّعَتْ أَزْهَارُهُ وَتَسَاجَلَتْ أَطْيَارُهُ
 وَأَلْفَتِ الْأَغْصَانُ مَائِلَةً كَمَا رَقَصَ الْخَلِيطُ كِبَارُهُ وَصَفَارُهُ
 لَيْسَ الْهَجِيرُ يُلُوحُ فِي أَيَّامِهِ أَيَّامُهُ أَصَالُهُ أَسْحَارُهُ
 يَا حُسْنَهُ مُتَحَدِّدًا مِنْ حَالِقِ قَلِقَ الْجَوَائِبِ لَا يَقِرُّ قَرَارُهُ
 كَأَلْفِ قُفُوفٍ تَرَاهُ فِي مُنَايِهِ فَوْقَ الْمُحْصَبِ رُصَّتْ أَحْجَارُهُ
 أَوْ كَالضَّبَابِ إِذَا الرِّيحُ أَثْرَنَهُ مُلْقَى عَلَى مَتْنِ الْقَضَاءِ دِثَارُهُ
 وَكَأَنَّهُ وَالشَّمْسُ فِي أَثْنَانِهِ ذَوْبُ اللَّجَيْنِ مِنَ النُّضَارِ نِثَارُهُ
 وَكَأَنَ تَوْقِيعَ الْيَمَامِ عَلَى الْحَصَى نَعَمُ الْخُلُودِ تَوَحَّدَتْ أَوْتَارُهُ
 وَكَأَنَّمَا صَفْصَافُهُ بِحَيَاتِهِ كَلِفٌ يُحَاذِرُ أَنْ تُرَى أَسْرَارُهُ
 وَكَأَنَ مَا لَيْسَ فَرَحُهُ مُتَمَتِّكٌ خَلَعَ الْعِذَارُ وَلَمْ يَخْطُ عِذَارُهُ^(١)
 أَوْ شَادِنٌ حَالِي الْمَعَاصِمِ غَائِصٌ فِي الْمَاءِ يَنْظُرُ أَهْنُ ضَاعَ سَوَارُهُ

(١) الفرخ الغصن . والمراد بمخلع العذار الانهالك في الغي . ويقال خط

الغلام إذا نبت عذاره وهو الشعر الذي يحاذي الاذن . وإسناد الفعل الى العذار

مجاز مرسل من باب تسمية الجزء باسم الكل

وَكَاَنَّهُ وَالْمَاءُ يُغْرِى سَاقَهُ رَشًا يُحَلُّ مِنَ الدِّعَابِ إِذَا رَهُ
وَكَاَنَّمَا أَوْدَاقُهُ وَحَفِيفُهَا هَمَّاتٌ صَبَّ مَا أَنْقَضَتْ أَوْدَاقَهُ
يَا حَبْدَا أَلْوَادِي الظِّلِيلُ وَحَبْدَا يَوْمٌ حَوَانِي لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ

دمعة على ربوع لبنان

« للشاعر نفسه »

حَتَّى مَتَى أَجْفَانِي السَّاهِرَةَ تَرَعَى الدُّجَى فِي لَيْلَةٍ كَافِرَةٍ
طَوِيلَةٍ لَيْسَ لَهَا آخِرُ مَوْصُولَةٍ الْأَطْرَافِ بِالْآخِرَةِ
أَبَيْتُ فِيهَا لَا أَرَى زَائِرًا فِي وَحْدَتِي يُؤْنِسُ أَوْ ذَائِرَةً
كَأَنِّي طَيْفٌ بِهَا طَائِفُ أَوْ فِكْرَةٌ شَارِدَةٌ طَائِرَةٌ
تَجْتَابُ لُبْنَانَ فَلَا قُمَّةَ تَرُدُّهَا خَاسِرَةٌ عَائِرَةٌ
وَتَعْبُرُ أُنَيْمَ فَتَجْتَازُهُ كَأَنَّمَا بِأَخِرَةٍ مَخِرَةٌ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ بِأَشْبَاحِهِ مَوَاكِبُ أَدْوَاهِهَا قَائِرَةٌ
كَأَنَّمَا أَلْتَجِمُ عُيُونُ الدُّجَى تَجُولُ فِيهَا دُمْعَةٌ حَارَةٌ
كَأَنَّمَا أَلْبَدُ فَنَاءُ بَدَتِ سَافِرَةٌ عَنِ وَجْهِ نَاضِرَةٍ
أَوْ ذَوْرَقُ مِنْ فِضَّةِ عَائِمِ مُنْطَلِقٌ فِي أَبْحَرِ زَائِرَةٍ
كَأَنَّ لُبْنَانَ بِأَطْوَادِهِ طَوَائِفُ الْجَنِّ بِهِ دَائِرَةٌ

يَا حَبْدًا لُبَانٌ مِنْ مَوْطِنِهِ
وَحَبْدًا مَاءٌ بِهِ بَارِدُ
ذَكَرْتُهُ أَيَّامَ أَمْجَادِهِ
أَيَّامَ كَانَ الْعِزُّ فِي أَرْضِهِ
فَانْهَلَتْ الْأَذْمُعُ مِنْ مُقَلَّتِي
قَدْ عَيْثَ الدَّهْرِ بِأَمَالِهِ
الرُّومُ وَالْأَرَمَنُ مِنْ قَوْمِهِ
أَلَا تَرَى الْهَجْرَةَ تَسْتَأْهِمُ
وَأَرْضُهُ بَاتَتْ بِهَا زَارِعُ
وَهَدَدَ الْإِفْلَاسُ تُجَّارَهُ
فِي ذِمَّةِ التَّارِيخِ مَنْكُودَةٌ
تُعَلِّلُ النَّفْسَ بِتَيْلِ الْمُنَى
لَهْفِي عَلَيْهَا بَعْدَ آمَالِهَا
مَا أَصَابَ الْعَيْشَ عَلَى أُمَّةٍ
لَا حَقَّ فِي الدُّنْيَا لِمُسْتَضْعَفٍ

وَحَبْدًا أَرْبُوعُ الزَّاهِرَةِ
وَحَبْدًا أَرْوَاحُ الْعَاطِرَةِ
فِيهَا مَضَى مِنْ حِسْبِ غَايَةِ
أَيَّامَ كَانَتْ دُورُهُ عَايِرَةِ
حُزْنًا عَلَى حَالَتِهِ الْحَاضِرَةِ
وَبَاتَتْ الدُّنْيَا بِهِ غَادِرَةِ
وَقَوْمُهُ عَنِ أَرْضِهِ نَافِرَةِ
بَاخِرَةِ تَتَّبِعُهَا بَاخِرَةِ
فَأَصْبَحَتْ قَاحِلَةً بَارِرَةِ
فَسَوْقُهُمْ كَأَسَدَةٍ خَاسِرَةِ
جَارَتْ عَلَيْهَا أُمُّ جَارِرَةِ
أَضْعَافُ أَحْلَامٍ بِهَا سَائِرَةِ
دَارَتْ عَلَى اسْتِقْلَالِهَا الدَّائِرَةِ
قَدْ قِيلَ عَنْهَا أُمَّةٌ قَاصِرَةِ
الْحَقُّ فِي جَنْبِ الْقَوَى الْقَاهِرَةِ

مصايف لبنان

« من قصيدة حلیم دموس »

لُبْنَانُ آيُ الْحُسْنِ فِي صَفَحَاتِهِ وَضَاحَةٌ وَالْيَمْنُ فِي جَنَابَتِهِ
 فَاتْرُلْ مَصَايِفَهُ الْجَمِيلَةَ إِنِّهَا أَنْسُ التَّزِيلِ وَمُتَمِّى رَغْبَاتِهِ
 وَأَنْهَلْ نَعِيرَ الْمَاءِ مِنْ سَلْسَالِهِ وَأَنْشِقْ عَيْرَ الْمِسْكِ مِنْ نَفَحَاتِهِ
 الْكَوْثَرُ الْمَسْؤُولُ مِنْ أَنْهَارِهِ وَجَنَانُ «عَلِيِّينَ» مِنْ جَنَابَتِهِ
 وَالْبَحْرُ مُنْطَرِحٌ عَلَى أَقْدَامِهِ وَاللَّجُّ مُبْسِطٌ عَلَى ذُرُواتِهِ
 وَالْحُسْنُ كُلُّ الْحُسْنِ فِي أَقَارِهِ وَالسِّحْرُ كُلُّ السِّحْرِ فِي ظَلِيَّاتِهِ
 فَتَشْتِ عَنْ رَوْضِ الْخُلُودِ فَلَمْ أَجِدْ

فِي الْأَرْضِ إِلَّا الْأَرْضَ مِنْ شَجَرَاتِهِ تَتَعَانَقُ الْأَدْبَانُ فَوْقَ هَضَابِهِ
 كَتَمَانِقِ الْأَغْصَانِ فِي غَابَاتِهِ جَمَعَتَهُمْ أُمُّ الْأَلَمَاتِ وَحَبْدًا
 صَلَّةٌ يَرَاهَا الشَّعْبُ رَمَزَ حَيَاتِهِ لَنَّةٌ تَعْشَقُ آيَهَا فَتَغْلُظُ
 فِي صَدْرِهِ وَجَرَتْ عَلَى لَهَوَاتِهِ

...

تِلْكَ الْمَصَايِفُ مَا ذَكَّرَتْ جَمَالَهَا إِلَّا ثَبَّتَ الْقَلْبَ عَنْ لَهَفَاتِهِ
 فَمَسَى زَى لُبْنَانَ رَايَظَةً بِهَا يَنْضُمُ شَمْلُ الشَّرْقِ بَعْدَ شَتَاتِهِ
 مَاذَا عَلَى أَبْنَانِهِ لَوْ أَنْصَفُوا وَتَعَهَّدُوا الْمَدْفُونِ مِنْ خَيْرَاتِهِ

وَتَعَارَفَتْ أَقْطَارُهُ وَتَأَلَّفَتْ لِحْيَاتِهِ وَتَحَالَفَتْ لِنَجَاتِهِ
وَإِذَا الْقُلُوبُ تَوَحَّدَتْ فِي مَوْطِنٍ عَطَفَتْ عَلَيْهِ وَفَرَّجَتْ كُرْبَاتِهِ
فَتَحِنُّ ظَالِمَةً إِلَى اسْتِغْلَالِهِ وَتَرِفُ حَائِمَةً عَلَى دَايَاتِهِ

المعلم

« بقلم الياس الي شبكة »

تَبَسُّمُ لَهُمْ عَنْ غِبْطَةٍ وَتَوَسُّمِ قَبِي مُقَلَّةِ التِّلْمِيزِ رُوحُ الْمُعَلِّمِ
تَمَرُّ التَّوَانِي لَا أَحْسُ رُورَهَا أَمَامَ صِنَارِ عُطْشٍ لِلتَّقْدُمِ
تُضِي زُيُوتُ الطُّهْرِ فِي حَدَقَاتِهِمْ يُبَاذِجُهَا لُطْفُ الْقَمِ الْمُبَسِّمِ
أَمَامَ صِنَارِ جَانِحِينَ إِلَى الْعُلَى كَأَفْرَاحِ نَسْرٍ أَوْرُثُوا الْمَجْدَ فِي الدَّمِ
لَهُمْ لَعْنَةُ مَا دَنَسَ الْحَيْفُ عَرْضَهَا كَأَمَالِهِمْ شَمَاءَ لَمْ تَهْدَمْ
أَقُولُ لَهُمْ فِي سَاعَةِ الدَّرْسِ إِنَّكُمْ بَقَايَا مِنَ الْأَجْلَالِ لِلْعُرْبِ تَنْتَمِي
فَإِنْ تَتَّبِعُوا فَالْمَجْدُ فِي وَثْبَاتِكُمْ وَإِنْ تَقْعُدُوا فَالْمَجْدُ رَهْنُ التَّصَرُّمِ
فَيُشْرِقُ فِي أَجْفَانِهِمْ إِثْرُ خُطْبَتِي شِعَاعٌ مِنَ الْأَمَالِ لَمْ يَتَجَهَّهْ
فَأُبْصِرُ فَجْرًا مِنْ وَجُودٍ مُلْتَمِ بِشَفَافَةٍ مِنْ مُزْمِعٍ غَيْرِ مُبْهَمِ
أَعِدُّ شَرَابًا خَالِدًا لِنَفُوسِهِمْ وَأَطْعِمُهُمْ مِنْ مُهْجَتِي خَيْرَ مَطْعَمِ
أَعْلِمُهُمْ كَيْفَ الْحَقِيقَةُ تَعْتَلِي

وَكَيْفَ الرِّيَا فِي الْكَوْنِ يَكْبُو وَيَرْتَمِي

أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ النُّفُوسَ مَسَارِجُ فَإِنْ تُشْعِلُوهَا بِالْمَعَايِبِ تُظَالِمِ

أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْجَهَادَ فَضِيلَةٌ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْإِبَاءَ سُوءٌ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ النِّفَاقَ جِنَايَةٌ
فَقَهَرْتُ فِيهِمْ فِطْرَةَ عَرِيبَةٍ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْمَعْلَمَ جَذْوَةٌ
فَيَضْمُونَ إِصْفَاءَ الْجَدَاوِلِ لِلصَّبَا
أَقُولُ لِرَبِّي أَعْطِنِي الثُّورَ إِنِّي
لَأَسْكُبُهُ فِي كُلِّ رُوحٍ بَرِيَّةٍ
أَقُولُ لَهُ أَنْعِمْ عَلَيَّ بِخَاطِرٍ
لَا تُزِلْ نَفْسِي مَزَلِ الظُّهْرِ فِي الْوَرَى
أَقُولُ لَهُ ضَعْ فِي كَلَامِي بَسَاطَةً
لِتُفْهَمَنِي تِلْكَ الْحَدَاثَةُ مِثْلَمَا
أَفَكَّرُ مِنْ أَجْلِ الْحَدَاثَةِ عَائِبٍ
فَمَا أَكْتَمَنِي أَنِّي أَعْذِي عُوْلَهُمْ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ تَمْلِكُوا أُلْهَكُمْ فِي غَدٍ
وَأَنْ تَعْتَلُوا عَرْشَ الْقَضَاءِ فَأَنْصِفُوا
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ تَمْنَحُوا الْمَالَ فِي غَدٍ
وَلَا تَجْعَلُوهُ فِي الْحَيَاةِ ضَمِيرَكُم

تَبَارَكُهَا رُوحُ الْإِلَهِ الْمُعْظَمُ
تُصَارِعُهُ الدُّنْيَا وَلَمَّا يُحْطَمُ
وَأَنْ رَيْبَ الْكِذْبِ أَفْظَمُ جُحْرَمِ
يَغِيرُ أَلْمَى وَالصِّدْقَ أَمْ تَتَرْتَمِ
مَنْ اللَّهُ مَهْمَا تَقْتَرِبُ تَتَضَرَّمِ
فَأَشْعُرُ أَنْ أَلْقَبَ يَقْطُرُ مِنْ فَمِي
أَرَى النَّفْسَ فِي لَيْلٍ مِنَ الْجَهْلِ أَقْتَمِ
وَأَهْدِي بِهِ قَلْبَ الصِّغَارِ لِيَخْتِمِي
نَفِي كَقَلْبِ الطِّفْلِ يَا خَيْرَ مُنْعَمِ
وَأَرْفَعُ قَسِي عَنْ وَهْدِ النَّأَمِ
وَأَلْهِمُ فَوَادِي أَحِبِّ يَا خَيْرَ مُنْعَمِ
فَهَمْتُ خِلَالَ الْأَمْسِ قَلْبَ مُعْجِي
لِأَنَّ مَرَاتِي الْعَامَ رَفَعُ سُنْمِ
فَدَخِلْ قُوَّةَ الْخَضَائِرِ فِيهِمْ
فَلَا تَمْرُضُوا عَنْ أَدْمَعِ الْمُظْلَمِ
قَرُبْ بَرِيءٍ غَيْلٍ فِي تَوْبِ مُتَمِّ
فَلَا تُنْسِكُوهُ عَنْ يَتِيمِ وَأَيْمِ
فَلَيْسَ ضَمِيرُ الْمَرْءِ كَرِيمٍ دِرْهَمِ

الباب السابع

في الفخر والحماة

« قال ابو فراس من قصيدة يفتخر فيها بنفسه »

إِن لَّمْ تَكُنْ طَالَتْ سِنِي فَإِنِّي رَأَيْ الْكُھُولِ وَنَجْدَةَ^(١) الشَّبَانِ
 يَادْهُرُ خُتَّ مَعَ الْأَصَادِقِ خِلَتِي^(٢) وَغَدَرْتُ بِي فِي جُمْلَةِ الْإِخْوَانِ
 لَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُؤَلَّى الَّذِي لَمْ أَنَسْهُ وَأَرَاهُ لَا يَنْسَانِي
 أَيُضِيعُنِي مَنْ لَمْ يَذَلَّ لِي حَافِظًا كَرَمًا وَيَخْضِضُنِي الَّذِي أَعْلَانِي
 إِنِّي أَغَارُ عَلَى مَكَانِي أَنْ أَرَى فِيهِ رِجَالًا لَا تُسَدُّ مَكَانِي
 وَلَطَالَمَا حَطَّمْتُ صَدْرَ مُنْتَقِي وَلَرُبَّمَا أَرَعَفْتُ أَنْفَ سِنَانِي^(٣)
 وَلَطَالَمَا قُدْتُ أَلْجِيَادَ إِلَى الْعِدَى قُبَّ الْبُطُونِ^(٤) طَوِيلَةَ الْأَرْسَانِ
 مَا زِلْتُ أَكْلَأُ كُلَّ ثَغْرِ مُوَحِّشٍ أَبْدَأُ بِمُقْلَةٍ سَاهِرٍ يَفْظَانِ
 شَلَّ كُلِّ عَظِيمَةٍ ذَوَادِمَا^(٥) ضَرَابٍ هَامَاتِ الْعِدَى طَعَانِ
 إِن يُنْتَعِ الْأَعْدَاءُ حَدَّ صَوَادِرِي لَا يُنْتَعِ الْأَعْدَاءُ حَدَّ لِسَانِي

(١) شجاعة وبأس وشدة (٢) مصادقتي وإخائي (٣) المثقف من الرماح

المقوم . وأزحف الانف جعله يسيل دمًا (٤) جمع الاقرب وهو من الخيل الرقيق

لخصر الضامر البطن (٥) الشلال والذوَاد الطارد والدافع وكلاهما للمبالغة

« وقال ايضاً من قصيدة يفتخر بها على الدمستق قائد الروم »

يَعِزُّ عَلَى الْأَحِبَّةِ بِالشَّامِ حَيْبُ بَاتَ تَمْنُوعَ الْمَنَامِ
وَأَنِّي لِلصَّبُورِ عَلَى الرِّزَايَا وَلَكِنَّ الْكِلَامَ عَلَى الْكِلَامِ
جُرُوحٌ لَا يَزِلْنَ يَزْدَنَ مِنِّي عَلَى جُرْحٍ ^(١) قَرِيبِ الْعَهْدِ دَائِي
تَأْمَلْنِي الدُّمَسْتَقُ إِذْ رَأَى فَأَبْصَرَ صِيفَةً ^(٢) أَلَيْتِ الْهَمَامِ
أَتُنَكِّرُنِي كَأَنَّكَ لَسْتَ تَذَرِي بِأَنِّي ذَلِكَ الْبَطْلُ الْمُحَايِ
وَأَنِّي إِنْ تَزَلْتُ عَلَى ذُلُولِ تَرَكَتْكَ غَيْرَ مُتَّصِلِ النِّظَامِ
وَلَمَّا أَنْ عَقَدْتُ صَلِيبَ رَأْيِي تَحَلَّلَ عَقْدُ رَأْيِكَ فِي الْمَقَامِ ^(٣)
وَكُنْتَ تَرَى الْأَنَاءَ وَتَدْعِيهَا فَأَعَجَلَكَ الْطِمَآنُ عَلَى الْكَلَامِ
وَبِتْ مُوَرَّقًا مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ حَتَّى جَفَنَيْكَ طِيبَ النَّوْمِ حَايِي
وَلَا أَرْضَى الْفَتَى مَا لَمْ يُكْمَلْ بِرَأْيِ الْكَهْلِ إِقْدَامَ الْغَلَامِ
وَأَصَبُ خُطَّةً وَأَجَلُّ أَمْرٍ مُجَالَسَةَ الشَّامِ عَلَى الْكِرَامِ
يُرِيغُونَ ^(٤) الْغُيُوبَ وَأَجْزَعَتْهُمْ وَأَيُّ الْعَيْبِ يُوجَدُ فِي الْخُصَامِ
أَيَّتْ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَأَصْبَحَ سَائِلًا مِنْ كُلِّ ذَامٍ ^(٥)
وَمَنْ أَبْقَى الَّذِي أَبْقَيْتُ هَانَتْ عَلَيْهِ مَوَارِدُ أُمُوتِ الزُّوَامِ ^(٦)

(١) اي لا يزلن يزدن على جرح مني . وورد الشبي . اشرف عليه وبلغه (٢) اصل

(٣) اي رجعت عن رأيك في الاقامة (٤) يطلبون ويويسدون (٥) عيب (٦) الكريه

ثَنَاءُ طَيْبٌ لَا خَلْفَ^(١) فِيهِ وَآثَارٌ كَأَثَارِ الْقَمَامِ
 أَلَامٌ عَلَى التَّعَرُّضِ لِلْمَنَآيَا وَلِي سَنَعٌ أَصَمُّ عَنْ الْمَلَامِ
 بَنُو الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَا سَوَاةً وَلَوْ عِزُّ الْمُعِيرِ أَلْفَ عَامِ
 أَلَا يَا صَاحِبِي تَذَكَّرَانِي إِذَا مَا شِئْنَا الْبَرَقَ الشَّامِي
 إِذَا مَا لَاحَ لِي لَمَعَانُ بَرَقَ بَعَثْتُ إِلَى الْأَجْبَةِ بِالسَّلَامِ



عرضت على سيف الدولة خيوله وبنو اخيه حضوراً فكل اختار

منها وطلب حاجته . وامسك ابو فراس فغضب عليه سيف

الدولة ووجد في ذلك فقال ابو فراس

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ الْقَعَالُ الْجَانِي وَيَحُولُ عَنْ شِمِّهِ الْكَرِيمِ الْوَانِي
 لَا أَرْتَضِي وَدَا إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ الْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْإِنْصَافِ
 إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي الْمَنَاكِبِ حَافِي
 مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا وَإِذَا قِنْتَ فَبَعْضُ شَيْءٍ كَافٍ
 وَتَمَافٍ^(٢) لِي طَبْعُ الْحَرِيسِ إِبَاءَتِي وَرُؤُوتِي وَقَسَاعَتِي وَعَفَافِي
 مَا كَثَرَةُ الْخَيْلِ الْجِيَادِ بِزَانِدِي^(٣)

شَرْفًا وَلَا عَدَدُ السَّوَامِ الْضَافِي^(٤)

(١) الخلف الردي . من القول (٢) تكرره (٣) اي لا تريدني (٤) السوام

الماشية والابل الراعية . والضافي الكثير

خَيْلِي وَإِنْ قُلْتَ كَيْسِرُ نَفْعُهَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَتَا الرُّعَافِ^(١)
وَمَكَارِي عِدَّةِ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي مَاوِي الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لَصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَهْلَافِي^(٢)
شَيْمٌ عُرِفْتُ بِهِنَ مُذْ أَنَا يَا فِعْ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

وقال عنترة العبسي

إِذَا قَنَعَ الْفَتَى بِذِمِيرِ عَيْشٍ وَكَانَ وَرَاءَهُ سَجْفٌ^(٣) كَالْبَنَاتِ
وَلَمْ يَهْجُمْ عَلَى أَسَدِ الْمَنَافَا وَلَمْ يَطْمَنْ صُدُورَ الصَّافِنَاتِ^(٤)
وَلَمْ يُقِرَّ^(٥) الضُّيُوفَ إِذَا أَتَوْهُ وَلَمْ يَذُوقِ السُّيُوفَ مِنَ الْكُفَاةِ^(٦)
وَلَمْ يَبْلُغْ بِضَرْبِ الْهَامِ^(٧) جِدَا وَلَمْ يَكُ صَافِرًا فِي النَّابَاتِ
فَقُلْ لِلتَّاعِيَاتِ إِذَا بَكَتُهُ أَلَا فَأَقْصِرْنَ نَدْبَ النَّادِيَاتِ
وَلَا تَنْدُبْنَ إِلَّا لَيْثَ غَابِ شُجَاعًا فِي الْحُرُوبِ النَّاتِرَاتِ
دَعُونِي فِي الْحَيَاةِ أُمْتُ عَزِيزَا فَمَوْتُ الْعِزِّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي
لَعَمْرِي مَا الْفَخَارُ بِكَسْبِ مَالٍ وَلَا يُدْعَى الْفَتَى مِنَ السَّرَافِ

(١) جمع الراعف وهو الذي يسيل دماً (٢) الاحلاف جمع الحلف وهو

الصديق يحلف لصاحبه ان لا يقدر به (٣) ستر (٤) جمع الصافن وهو من

الحيل القائم على ثلاث قوائم (٥) من قرى الضيف ذات ضافه (٦) جمع الكمي

وهو الشجاع (٧) جمع الهامة وهي الرأس

سَتَذْكُرُنِي الْمَلَأَمِيعُ^(١) كُلَّ وَقْتٍ
 فَذَلِكَ الَّذِي يُبْقِي لَيْسَ يَفْنَى
 وَإِنِّي الْيَوْمَ أَحْيِي حِرْضَ قَوْمِي
 وَأَخْذُ مَا لَنَا مِنْهُمْ بِحَرْبٍ
 وَأَتْرُكُ كُلَّ نَاحِيَةٍ تُنَادِي
 عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ
 مَدَى الْأَيَّامِ فِي مَاضٍ وَأَتِ
 وَأَنْصُرُ آلَ عَبَسَ عَلَى الْمُدَاةِ
 تَخِرُ^(٢) لَهَا مُتُونُ^(٣) الرِّاسِيَاتِ
 عَلَيْهِمْ بِالتَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ^(٤)

وقال عامر العدواني مفتخرًا بقومه

أُولَئِكَ قَوْمٌ شَيْدَ اللَّهِ فَخَرَهُمْ
 أَنَسُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ
 يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مُوْتَلَا
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَخَضَاءَتْ
 فَلَوْ نَسَتْ الصَّخْرَ الْأَصَمُ أَكْفَهُمْ
 فَأَفَوْقَهُمْ فَخَرُ وَإِنْ عَظُمَ الْفَخْرُ
 فَأَيْدِيهِمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُمْ زَهْرُ
 يَبْذُلُ أَكْفَ دُونِهَا الْمَزْنَ وَالْبَحْرُ
 لِتُورِهِمُ الشَّمْسُ الْغَنِيْرَةُ وَالْبَدْرُ
 أَفَاضَ يَتَابِعُ الْتَدْيِ ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال بشَّار بن برد

وَعَيَّرَنِي الْأَعْدَاءُ وَالْعَيْبُ فِيهِمْ
 إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالتَّقَى
 وَلَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِي
 فَإِنْ عَمِيَ الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ

(١) جمع مسمعة وهي الحرب والفتنة (٢) تسقط (٣) جمع متن وهو

الظهور أو الأرض الصلبة المرتفعة (٤) التفرق

ولابي الحسن التهامي من قصيدة

خَلَّتْ شَيْبَتُهُ تَبَيَّ وَمَا عَلِمَتْ
أَنَّ الشَّيْبَةَ مِرْقَاةٌ إِلَى الْهَرَمِ
مَا شَابَ عَزْمِي وَلَا حَزْمِي وَلَا خُلْقِي
وَلَا وَفَانِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرْمِي
وَإِنَّمَا أَعْتَادَ رَأْيِي غَيْرَ صَبْغَتِهِ

وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ غَيْرُ الشَّيْبِ فِي الْهَرَمِ
لَا تَحْمِدِ الدَّهْرَ فِي ضَرَاءٍ يَصْرِفُهَا
فَلَوْ أَرَدْتَ دَوَامَ الْبُوسِ لَمْ يَدُمِ
فَالدَّهْرُ كَالطَّيْفِ بُوْسَاهُ وَأَنْعَمُهُ
عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَلَا تَحْمَدُ وَلَا تَلُمِ
لَا تَحْسَبَنَّ حَسَبَ الْآبَاءِ مَكْرَمَةً
لِمَنْ يُقَصِّرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمْ
حُسْنُ الرِّجَالِ بِحُسْنَاهُمْ وَفَخْرُهُمْ
بَطُولُهُمْ^(١) فِي الْمَعَالِي لَا بِطُولِهِمْ
مَا أَغْتَابَنِي حَاسِدٌ إِلَّا شَرُفْتُ بِهِ
فَحَاسِدِي مُنْعَمٌ فِي زِيٍّ مُنْتَقِمٍ
فَاللَّهُ يَكْلَأُ^(٢) حُسَادِي فَأَنْعَمُهُمْ
عِنْدِي وَإِنْ وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ قَصْدِهِمْ

(١) الطول التقى والسعة (٢) يحرس ويحفظ

السيف والقلم والمحراث

« من قصيدة لمحمد توفيق علي »

لَا السِّيفُ فِي مِصْرَ يُرَضِّينِي وَلَا الْقَلَمُ

كِلَاهُمَا فِي يَمِينِ الْخُرِّ مُنْتَلِمٌ
 جَرَدْتُ سِنِي وَأَقْلَامِي وَيِي أَمَلٌ وَالْيَوْمَ أَعِدُّهَا يَا سَا وَيِي أَلَمٌ
 يُرِيدُ بِي الدَّهْرُ لَا تَمَتَّ إِذَا دَتُهُ ذُلًّا وَفَقْرًا وَيَأْتِي الْغَزَا وَالْكَرَمُ
 سَأَصْرَفُ الْعُمَرُ حُرًّا لَا يُقِدُّنِي إِلَّا التُّقَى وَالنُّهَى وَالْمَجْدُ وَالشَّمُّ (١)
 وَأَطْلُبُ الْمَالُ لَا زَهْوًا وَلَا سَرْفًا (٢) فَإِنَّمَا الْمَالُ فِي أَهْلِ النَّهَى ذِمٌّ
 وَخَيْرٌ مَا يَقْتَنِي الْمَصْرِيُّ مَزْرَعَةً يَشْقَى بِهَا الْفُلُسُ وَالْمَحْرَاثُ وَالنَّعْمُ

وقال معروف الرصافي

« من قصيدة يدعو فيها قومه الى التجهُّد »

طَالَ عَنِّي عَلَى الْحَوَادِثِ فِيكُمْ مِتْمًا طَالَ مَطْلَهَا بِالْوُعُودِ
 فَتَى سَمِيكُمْ وَمَاذَا التَّوَانِي وَإِلَى كَمْ أَحْكُمُ بِالنَّشِيدِ
 أَنَا غَرِيدُ شَارِدَاتِ الْقَوَائِي أَقْلَمُ يُشْجِكُمْ بِهَا تَغْرِيدِي
 كُنْتُ قَبْلًا أَتْنِي عَلَيْكُمْ لِأَنِّي أَبْتَنِي الْحَثَّ بِالنَّشَاءِ الْحَمِيدِ
 فَاتَّقُوا الْيَوْمَ صَوْلَةً مِنْ يَرَاعِ وَاقِفٍ فِي مَوَاقِفِ التَّنْذِيرِ

(١) عزة النفس (٢) الزهو الكبير والفخر . والسرف تجاوز الحد والتبذير

أَيُّهَا الْقَوْمُ نَحْنُ فِي عَصْرِ عِلْمٍ جَمَلَ الْحَرْبَ فِي طِرَازِهِ جَدِيدٍ
جَمَلَ الْحَرْبَ تَدْرُسُ الْيَوْمَ فَنَأْمُنِيًا عَنْ سَجَاعَةِ الصِّدِيدِ
إِنَّ لِلْعِلْمِ فِي حُرُوبِ بَنِي الْعَصْرِ لِبَاسًا يَفُوقُ بَأْسَ الْحَدِيدِ
فَاسْتَعِدُّوا لِرَدِّ كُلِّ عَدُوٍّ أَنْكَرَ الْحَقِّ نَاقِضًا لِلْمُؤِيدِ
وَأَعِزُّوا الْمَلِكَ الَّذِي نَبَتَغِيهِ بِجُودٍ مَبْنُوتَةٍ فِي الْحُدُودِ
قَدْ دَعَاكُمْ أَوْطَانُكُمْ فَأَجِيبُوا دَعْوَةَ الْآيِرِينَ بِالتَّخْيِيدِ
نَحْنُ لَا نَقْصِدُ الْحُرُوبَ وَلَكِنْ نَبْتَغِي الدَّوْدَ عَنْ تَرَاتِ الْجُدُودِ
أَرَأَيْتُمْ مُلْكَاً يَبْغِي جُودَ إِنَّمَا الْمَلِكُ قَائِمٌ بِالْجُودِ
فَاجْمَعُوا الْجِيْشَ فِي الْعِرَاقِ لِيَرَعَى مَا لَدَيْكُمْ مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَلِيدِ
وَيَرُدَّ الْعَدُوَّ عَنْكُمْ وَيَحْيِي عَيْشَكُمْ مِنْ شَوَابِ الشَّكِيدِ
لَا تَقْرُوا عَلَى الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ عَرَبٌ مِنْ بَنِي الْأَبَاةِ الصَّيْدِ
أَشْرَفُ الْمَوْتِ عِنْدَهُمْ هُوَ مَوْتُ

فِي صَهَى الْخَيْلِ تَحْتَ خَفَقِ الْبُنُودِ
وَأَعِزُّ الْأَعْمَارِ عُمُرٌ قَصِيرٌ تَحْتَ ظِلِّ مِنَ السُّيُوفِ مَدِيدِ
وَأَذِلُّ الْحَيَاةِ عِنْدِي حَيَاةٌ قَدْ أَهْيَأْتُ حُفُوفَهَا بِجُمُودِ



الباب الثامن

في الحكم

﴿ فلسفة الحياة ﴾

« من قصيدة لايلىا الى ماضي »

أَيُّهَا ذَا الشَّائِكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ
 إِنَّ شَرَّ الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ نَفْسُ
 وَتَرَى الشُّوْكَ فِي الْأُرُودِ وَتَعْنَى
 هُوَ عِبٌّ عَلَى الْحَيَاةِ ثَقِيلُ
 وَالَّذِي نَفْسُهُ يَغِيرُ جَمَالَهُ
 لَيْسَ أَشَقَى مِنْ بَرَى الْغَيْشِ مُرًّا
 أَحْكُمُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ أَنَا
 فَتَتَمَّ بِالصُّبْحِ مَا دُمْتَ فِيهِ
 وَإِذَا مَا أَظْلُ رَأْسُكَ هَمُّ
 أَذْرَكْتَ كُنْهَهَا ^(١) طُيُورُ الرُّوَايِ

كَيْفَ تَفْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلًا
 تَتَوَقَّى قَبْلَ الرَّحِيلِ الرَّحِيلًا
 أَنْ تَرَى فَوْقَهَا أَلْدَى إِكْلِيلًا
 مَنْ يَظُنُّ الْحَيَاةَ عَيْنًا ثَقِيلًا
 لَا يَرَى فِي الْوُجُوهِ شَيْئًا جَمِيلًا
 وَيَظُنُّ اللَّذَاتِ فِيهِ فُضُولًا
 عَلَّلُوها فَأَحْسِنُوا التَّغْلِيلًا
 لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَا
 قَصِّرِ الْبَحْثَ فِيهِ كَيْ لَا يَطُولَا
 فَمِنْ الْعَارِ أَنْ تَظَلَّ جَهُولَا

مَا تَرَاهَا وَالْحَقْلُ مُلْكٌ سِوَاهَا تَخِذْتَ فِيهِ مَسْرَحًا وَمَقِيلًا
تَتَغَنَّى وَالصَّغَرُ قَدْ مَلَكَ الْجَوَّ عَلَيْهَا وَالصَّائِدُونَ السَّبِيلَا
تَتَغَنَّى وَقَدْ رَأَتْ بَعْضَهَا يُؤْ خَذُ حَيًّا وَالْبَعْضَ يَقْضِي قَتِيلَا
تَتَغَنَّى وَعُمْرُهَا بَعْضُ عَامٍ أَقْتَبِكِي وَقَدْ تَعِيشُ طَوِيلَا
فَهِيَ فَوْقَ الْفُصُونِ فِي الْفَجْرِ تَتَلُو

سُورَةٌ (١) الْوُجْدِ وَالْهَوَى تَزِيلَا
وَهِيَ طَوْرًا عَلَى الثَّرَى وَاقِعَاتٌ تَلْفُطُ الْحَبَّ أَوْ تَجْرُ الذُّيُولَا
كُلَّمَا أَمَسَكَ الْفُصُونُ سُكُونٌ صَفَقَتْ لِلْفُصُونِ حَتَّى تَبِيلَا
فَإِذَا ذَهَبَ الْأَصِيلُ الرُّوَايِ وَقَفَتْ فَوْقَهَا تُنَاجِي الْأَصِيلَا
فَاطْلُبِ اللَّهُوَ مِثْلَمَا تَطْلُبُ الْأَطْيَارُ عِنْدَ الْهَجِيرِ ظِلًّا ظَلِيلَا
وَتَعْلَمُ حُبَّ الطَّبِيعَةِ مِنْهَا وَأَتْرُكُ الْقَالَ لِلْوَرَى وَالْقِيلَا
فَالَّذِي يَبْقَى الْعَوَازِلَ يَلْقَى كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَخْصٍ عَذُولَا
كُنْ عَذِيرًا يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ رَقْرَا قَا (٢) فَيَسْقِي مِنْ جَانِبَيْهِ الْحَقُولَا
تَسْتَحِمُّ النُّجُومُ فِيهِ وَيَلْقَى كُلَّ شَخْصٍ وَكُنْ تَبِيءَ مِثِيلَا
لَا وَعَاءَ يُقَيِّدُ الْمَاءَ حَتَّى تَسْتَحِيلُ الْمِيَاهُ فِيهِ وَحُولَا
كُنْ مَعَ الْفَجْرِ نَسْمَةً يُوسِعُ الْأَزَّ هَارَ شَمًّا وَتَارَةً تَقِيلَا

(١) جمع سورة وهي في الأصل قطعة مستقلة من القرآن (٢) الرقراق

كل شيء له تالؤ وبصير

لَا سُوْمًا^(١) مِنَ السَّوَاقِي اللَّوَاتِي

تَمَلُّ الْأَرْضَ فِي الظَّلَامِ عَوِيلاً
وَمَعَ اللَّيْلِ كَوَكَباً يُؤْنِسُ النَّفْسَ
لَا دَجَى يَكْزُهُ الْعَوَالِمَ وَالنَّاسَ
أَيُّهَا ذَا الشَّيْءِ وَمَا بِكَ دَاءٌ
كُنْ جَمِيلاً تَرَى الْوُجُودَ جَمِيلاً

الأم مدرسة

« من قصيدة لحافظ بك إبراهيم »

إِنِّي لَتَطْرُبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً
وَيَهْزُنِي ذِكْرُ الرُّوءَى وَالنَّدَى
مَا الْبَابِلِيَّةُ^(٢) فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا
وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَتَخْفِي
طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقٍ
بَيْنَ الشَّمَالِ هِزَّةَ الشُّتَاقِ
وَالشَّرْبُ^(٣) بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسَبَاقِ

وَالْبَدْرُ يَشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِ
بِالَّذِ مِنْ خُلُقِهِ كَرِيمٍ طَاهِرٍ
فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيمَةً مَحْمُودَةً
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا
قَدْ مَازَجَتْهُ سَلَامَةٌ الْأَذْوَاقِ
فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ
عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

(١) السموم الريح الحارة (٢) الحفرة (٣) جمع الشارب

وَالْمَالُ إِن لَّمْ تَذَخِرْهُ مُحْصَنًا
وَالْعِلْمُ إِن لَّمْ تَكْتِفْهُ شَائِلٌ
لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
كَمْ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا
وَطَيِّبِ قَوْمٍ قَدْ أَهَلَ لِطَبِيبِهِ
وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْحَقُ بَيْنُهُ
فِي كَيْفِهِ قَلَمٌ يَمْجُ لِمَا بِهِ^(١)
عَرِيتَ عَنِ الْخُلُقِ الْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ
لَوْ كَانَ ذَا خُلُقٍ لَا سَعَدَ قَوْمُهُ
مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا
الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَدْتَهَا
الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا
الْأُمُّ أَسَاطُذُ الْأَسَاتِذَةِ الْأَلَى
رَبُّوا أَلْبَنَاتٍ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا

يَا عِلْمَ كَانَ نِهَآيَةَ الْإِمْلَاقِ
تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِنْخَافِ
مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ يَخْلَقِ^(٢)
لَوْ قِيعَةً وَقَطِيعَةً^(٣) وَفِرَاقِ
مَا لَا تُحِلُّ شَرِيعَةُ الْخُلَاقِ
قَطَعَ الْأَنَامِلُ أَوْ لَطَى الْإِحْرَاقِ
سَمَا وَيَنْفُثُهُ^(٤) عَلَى الْأَوْدَاقِ
فَجَبَاتُهُ ثِقَلُ عَلَى الْأَعْنَاقِ
يَبْيَانِهِ وَبِرَاعِهِ السَّبَاقِ
فِي الشَّرْقِ عِلَّةُ ذَلِكَ الْإِنْخَافِ
أَعَدَدَتْ شَعْبًا طَلَبَ الْأَعْرَاقِ
يَأْتِرِي أَوْدَقَ أَيْمٍ مَدَاقِ
شَغَلَتْ مَا تَرَاهُمْ مَدَى الْآفَاقِ
فِي الْمَوْقِفَيْنِ^(٥) لَهْنٌ خَيْرٌ وَنَاقِ

(١) الخلاق افعال الانسان المحدودة التي تكون خلقاً له (٢) القطيع

الهجران والوقعة الغيبة والنميمة (٣) يج اللعاب رماء من فيه والمراد باللعاب

هذا الخبر (٤) يرميه (٥) يريد بالموقفين التضييق والاطلاق وقد ذكرنا في

ميت الاحياء وحي الاموات

« من قصيدة للرصافي »

تَيْقُظُ مَا أَنْتَ بِالْخَالِدِ وَلَا حَادِثُ الدَّهْرِ بِالرَّاقِدِ
فَخَلِدْ بِسَمْعِكَ مَجْدًا يَدُو مُدَوَّامَ النُّجُومِ بِبِلَا جَاوِدِ
وَأَبْقِ لَكَ الذِّكْرَ بِالصَّالِحَا تِ وَخَلِّ النَّزْوَعِ^(١) إِلَى الْفَاسِدِ
وَسِرْ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ تُبَيِّنُ الصُّوْدَ مِنَ الْحَاقِدِ
فَإِنَّ فَتَى الدَّهْرِ مَنْ يَدْعِي فَتَاتِي أَعَادِيهِ بِالشَّاهِدِ
وَلَا تَكُ مُرْمَى يَدَاءِ السُّكُونِ فَتُصَيِّحَ كَالْحَجَرِ الْجَامِدِ
إِذَا اطَّرَدَتْ^(٢) حَرَكَاتُ الْحَيَاةِ وَرَمَتْ عَلَى نَسَقِهِ وَاحِدِ
وَلَمْ تَتَوَّعْ أَفَانِيَّتَهَا^(٣) وَدَامَتْ بِوَجْهِهَا بَارِدِ
وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ^(٤) مِنْ السَّعْيِ فِي الشَّرَفِ الْخَالِدِ
فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ السَّوَامِ^(٥) تَجُولُ مِنَ الْعَبَسِ فِي نَافِدِ
وَمَا تُرْتَجَى مِنْ حَيَاةٍ أَمْرِي كَمَا عَلَى سَبْخَةٍ رَاكِدِ^(٦)
وَلَيْسَ لَهُ فِي عُضْوِنِ الْحَيَاةِ قِسْوَى النَّفْسِ النَّازِلِ الصَّاعِدِ

(١) الذهاب والميل (٢) اطراد الامر تبع بعضه بعضاً (٣) جمع افنون

وهو الصنف والنوع (٤) الشملة كساء دون القطيفة يشتمل به (٥) الابل

الرعاية (٦) ساكن وثابت (٧) اثناء وطيات واوساط

يَتَضُّ^(١) عَلَى الْجَلِّ أَجْفَانَهُ
 فَذَلِكَ هُوَ أَلَيْتٌ فِي قَوْمِهِ
 وَمَا أَلَزَمَ إِلَّا فَتًى يَنْتَدِي
 سَعَى لِلْمَعَارِفِ فَأَحْزَاَهَا^(٢)
 وَطَالَعَ أَوْجَةَ أَقْمَارِهَا
 فَأَبْدَى الْحَقَائِقَ مِنْ طَيْهَا
 إِذَا هُوَ أَصْبَحَ نَادَى أَلِدَارَ^(٣)
 فَكَانَ الْمَجْلِي^(٤) فِي شَأْوِهِ^(٥)
 وَإِنْ بَاتَ بَاتَ عَلَى يَقْظَةٍ
 وَأَحْدَثَ مَجْدًا طَرِيفًا^(٦) لَهُ
 وَمَا الْحَقُّ إِلَّا هُوَ إِلَّا تَكَ
 فَذَلِكَ هُوَ الْحَيُّ حَيُّ الْفَخَارِ

وَيَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِأَلْكَاسِدِ
 وَإِنْ كَانَ فِي الْجَلْسِ الْخَاسِدِ
 إِلَى الْعِلْمِ فِي شَرْكِ صَائِدِ
 وَصَادَ الْأَنْيَسَ مَعَ الْآبِدِ^(٧)
 يَعِينُ بِصِيرِهِ لَهَا نَاقِدِ
 وَأَلْقَى الْقِيُودَ عَلَى الشَّارِدِ
 وَشَرَّ لِلْسَّعْيِ عَنْ سَاعِدِ^(٨)
 يَنْزِمُ يَشْقُ عَلَى الْخَاسِدِ
 بِطَرْفِ لِنَجْمِ أَلْمَى رَاصِدِ
 وَأَضْرَبَ عَنْ مَجْدِهِ أَلْتَالِدِ
 لُ عَلَى شَرْفٍ جَاءَ مِنَ الْإِدِ
 وَإِنْ لَحْدَتُهُ^(٩) يَدُ الْإِلَاحِدِ

(١) غَضَّ عَلَى الْأَمْرِ جَفَنَهُ إِذَا احْتَمَلَهُ (٢) جَعَمَهَا (٣) الشَّارِدُ وَالزَّافِرُ

وَاسْتَعِيرَ هُنَا أَفْظَ أَوْ الْمَعْنَى الصَّعْبَ الْمَثَالَ (٤) الْأَسْرَاعُ وَالْفِعْلُ مَحْذُوفٌ أَيْ

بَادِرُوا بِدَارًا (٥) التَّشْمِيرُ عَنِ السَّاعِدِ كُنَايَةٌ عَنِ الْاجْتِهَادِ وَالنَّتَاصُ وَالسَّاعِدُ

الذَّرَاعُ (٦) الْمَجْلِي مِنَ الْحَيْلِ السَّابِقِ فِي الْخَلْبَةِ (٧) غَايَتُهُ (٨) التَّحْرِيفُ

الْحَدِيثُ وَهُوَ خِلَافُ التَّالِدِ (٩) دَفَنَتْهُ

الى أبني

« لندره حداد يخاطب طفله الجديد »

جِئْتَ يَا أَبْنِي مِثْلَمَا وَآ لِدُكَ الْمِسْكِينُ جَاءَ
جِئْتَ دُنْيَا كُلَّمَا مَحَّ - صَتَهَا زِدْتَ أَزْدِرَاءَ
وَإِذَا أَزْدَدْتَ بِهَا مَهْ رِفَةً زَادَتْ خَفَاءَ
أَغْيَاءَ قَدْ أَتَيْنَا مَا وَتَمْنِي أَغْيَاءَ
مَا طَلَبْنَاهَا وَلَكِنْ هَكَذَا الْخَالِقُ شَاءَ
رَقَصَ الْقَلْبُ لَدَى مَرْ أَلَّ حُبًّا وَأَحِفَاءَ
وَأَزْدَهَى أَلَيْتُ سُرُورًا لَا يُضَاهِي وَصَفَاءَ
وَعَدَوْتَ الْآيِرَ أَلْنَا هِيَ وَكُنَّا الْأُمَرَاءَ
كُلُّ مَا يُرْضِيكَ يُرْضِيهِ نَا وَمَا سَاءَكَ سَاءَ
يَا أَبْنِي أَلْيَوْمَ لِلْأَجْ دَادِ جَدَدْتُ أَلِنَاءَ
فَمَسَى تَبْنِي لَهُمْ فِي أَلْ نَاسِ ذِكْرًا وَدُعَاءَ
وَعَسَى تَعْدُو لِمَنْ حَوْ لَكَ فَخْرًا أَوْ رَجَاءَ
أَنَا يَا أَبْنِي لَمْ أَنْلِ مَا عَدَّهُ النَّاسُ رَخَاءَ
لَمْ أَحْزِ مَالًا وَلَمْ أَحْ سُدَّ عَلَيْهِ الْأَغْيَاءَ
أَنَا لِلْمَالِ نَظِيرُ أَلْ عَيْسِ إِذْ تَحِلُّ مَاءَ

هُوَ لِلغَيْرِ وَمَا نَا تْ مِنْ الْمَالِ أَرْتَوَاء
أَعْظَمُ النَّاسِ نَجَاحًا أَعْظَمُ النَّاسِ دَهَاء
خُلِقُوا لِلْكَسْبِ لَا يَخُ شُونَ فِي الْكَسْبِ السَّمَاء
هُمْ قَسَاءُ الْقَلْبِ لَا يَزُ عَوْنَ عَهْدًا أَوْ إِخَاء
وَهُمْ إِنْ يَسْتَطِيعُوا حَبَسُوا عَنَّا أَلْهَوَاء
لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ وَهَلْ يُثُ لِحُ مَنْ عَاشَ حَيَاء
عِشْتُ بَيْنَ النَّاسِ لَا أَصُ حَبُّ إِلَّا الْفُقَرَاء
لَا أَبَالِي إِنْ أَكَلْتُ الصُّبُ حَ مَا كَانَ عَشَاء
وَلَزِمْتُ الصَّنْتَ لَا أَشُ كُو هُمومًا أَوْ شَقَاء
وَعَلَى الْمَالِ وَأَهْلِ آلِ مَالٍ وَلَيْتُ الْإِبَاء
هَكَذَا عِشْتُ وَلَا أَطُ لُبُّ أَنْ تَحْيَا أَقْدَاء
كُنْ حَكِيمًا فَكِرَامُ آلِ نَاسٍ عَاشُوا حُكَمَاء
كُنْ دَوَاءً فِي الْوَرَى إِيَّاكَ أَنْ تَغْدُو دَاء
إِجْمَعِ الْمَالَ إِذَا أَسْطَمَ تَ وَلَا تَنْسَ الْوَطَاء
حَسْبُ مَنْ يُعْطِي ثَنَاءً أَوْ نَاسٍ إِنْ رَامَ ثَنَاء
وَإِذَا أَخْفَقَتْ سَفِيًّا لَا تَقُلْ دَهْرُ أَمَاء
كُنَّا فِي الْعُمْرِ يَلْقَى حَسْبُ الْفِعْلِ الْجَزَاء

الباب التاسع

في الشوق والافراق

« من قصيدة لبهاء الدين زهير »

رُؤْيَدَكَ^(١) قَدْ أَفْنَيْتَ يَا بَيْنُ^(٢) أَدْمُعِي
وَحَسْبُكَ قَدْ أَضْنَيْتَ^(٣) يَا شَوْقُ أَضْلُعِي
إِلَى كَمِّ أَقَاسِي فُرْقَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ
وَحَتَّى مَتَى يَا بَيْنُ أَنْتَ مَعِي مَعِي
لَقَدْ ظَلَمْتَنِي وَأَسْتَطَالَتْ يَدُ الثَّوَمَى
وَقَدْ طَمِعْتَ فِي جَانِبِي كُلِّ مَطْمَعٍ
فَلَا كَانَ مَنْ قَدْ عَرَفَ الْبَيْنَ مَوْضِعِي
لَقَدْ كُنْتُ مِنْهُ فِي جَنَابٍ^(٤) مُنْعَمٍ^(٥)
فَيَا رَاحِبًا لَمْ أَدْرِ كَيْفَ رَجَائِهِ
لَمَّا رَاعَنِي^(٦) مِنْ خَطْبِهِ^(٧) الْمَأْسَرَعِ
يُلَاصِّفُنِي بِالْقَوْلِ عِنْدَ وَدَاعِهِ لِيُذْهِبَ عَنِّي لَوْعَتِي وَتَقْجَبِي

(١) مهلاً (٢) يابعد (٣) أثقلت (٤) ناحية (٥) قوي (٦) افزعني

(٧) امرؤ المكره

وَلَمَّا قَضَى التَّوْدِيعُ فِينَا قَضَاهُ
رَجَعْتُ وَلَكِنْ لَا تَسَلْ كَيْفَ مَرْجِعِي
فِيَا عَيْنِي الْعَبْرَى^(١) عَلَيَّ تَسْكِينِي

وَيَا كَيْدِي الْحَرَى^(٢) عَلَيْهِم تَقْطِئِي
حَزَى اللَّهِ ذَاكَ الْوَجْهَ خَيْرَ جَزَائِهِ وَحَيْثُ عَيْنِي الشَّمْسُ فِي كُلِّ مَطْلَعٍ
وَيَا رَبِّ جَدِّدْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا سَلَامِي عَلَى ذَاكَ الْحَبِيبِ الْمُوَدَّعِ
قِفُوا بَعْدَنَا تَلَقُّوا مَكَانَ حَدِيثِنَا لَهُ أَرْجُ^(٣) كَالْعَنْبَرِ الْمُنْضَوِّعِ
وَيَعْلُقُ فِي أَثْوَابِكُمْ مِنْ ثَرَابِهِ

شَدَا أَلِمْسِكِ مَهْمَا يُنْسَلِ الثُّوبُ يَنْطَعِ
أَحْبَابَنَا لَمْ أَنْسَكُمْ وَحَيَاتِكُمْ وَمَا كَانَ عِنْدِي وَدُّكُمْ يَمْضِيعِ
رَحَلْتُمْ فَلَا وَاللَّهِ مَا خُنْتُ عَهْدَكُمْ وَمَا كُنْتُ فِي ذَاكَ الْوِدَاعِ يَمْدُوعِي
وَقُلْتُمْ عَلِمْنَا مَا جَرَى مِنْكَ كُلُّهُ فَلَا تَطْلِمُونِي مَا جَرَى غَيْرَ ذَمِّعِي
كَمَا قُلْتُمْ يَهْنِكَ نَوْمُكَ بَعْدَنَا

وَمَنْ أَيْنَ نَوْمُ نَسْكَيبِ الزَّرُوعِ^(٤)
إِذَا كُنْتُ يَهْطَانَا أَرَاكُمُ وَأَنْتُمْ

مُقِيمُونَ فِي قَلْبِي وَطَرْفِي وَمَسْمَعِي

(١) الدامعة (٢) هونث حران وهو ذو الحظ الشيب (٣) لارج

الريح الطيب (٤) من روعه اذا خوفه وافزع

وقال ابن الدمينه

أَلَا يَا صَبَا نَجِدْ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدِ
 لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكُ وَجَدًا عَلَى وَجْدِ
 لَنْ هَتَّتْ وَرَقَاهُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
 عَلَى فَنَنْ غَضَّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ^(١)
 بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْحَزِينُ وَلَمْ أَكُنْ
 جَزُوعًا وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
 يُبَلُّ وَأَنَّ التَّلَايَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
 بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بَنَا
 عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرُ مِنَ الْبُعْدِ
 عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ تَهَوَّاهُ لَيْسَ بِذِي وَدِّ
 وقال آخر

وَالَّذِي بِأَلْبَيْنِ وَالْبُعْدِ ابْتَلَانِي مَا جَرَى ذِكْرُ الْحِمَى إِلَّا شَجَانِي
 حَبْدًا أَهْلُ الْحِمَى مِنْ حَيْرَةٍ شَفَّنِي الشُّوقُ إِلَيْهِمْ وَبَرَّانِي^(٢)
 كُلَّمَا رَمْتُ سُلُوءًا عَنْهُمْ جَذَبَ الشُّوقُ إِلَيْهِمْ بَعَانِي

(١) رونق الضحى حسنه واشراقه . والرند شجر طيب الرائحة (٢) شفه

الشوق وبراه اضغه

ذَهَبَ الْمَرْءُ وَلَمْ أَحْظَ بِهِمْ وَتَقَضَّى فِي تَبَنِيهِمْ زَمَانِي
لَا تَرِيدُونِي غَرَامًا بَعْدَكُمْ حَلَّيْ مِنْ بُدْيِكُمْ مَا قَدْ كَفَّانِي
يَا خَلِيلِي أَذْكُرَا الْهَمْدَ الَّذِي كُنْتُمَا قَبْلَ التَّوَيِّ عَاهِدْتُمَانِي
وَأَذْكُرَانِي مِثْلَ ذِكْرِي لَكُمَا فَمِنْ الْإِنْصَافِ أَلَا تَنْسَانِي
وَأَسْأَلَا مَنْ أَنَا أَهْوَاهُ عَلَيَّ أَيُّ جُرْمٍ صَدَّ عَنِّي وَجَفَانِي

وقال ابو حسن النوري

رُبُّ وَرَقَاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي قَتَنِ
ذَكَرْتَ إِنْفَاءً وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبَكَيْتُ رُبَّمَا أَرْقَمَهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَيْتُ
وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا أَفْهِمَهَا وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا تُفْهِمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي

وقال ياقوت بن عبد الله المستعصي الكاتب

يَا مَجْلِسًا مُذْ فَقَدْتُ بَهْجَتَهُ أَصْبَحْتُ وَالْحَادِثَاتِ فِي قَرَنِ^(١)
وَأَوْجَهَا مُذْ عَدِمْتُ رَوْيَتَهَا مَا نَظَرْتُ مُقَلَّتِي إِلَى حَسَنِ
لَا بَلَقْتُ هُجَّتِي مَا رِبَّهَا إِنْ سَكَنْتَ بَعْدَكُمْ إِلَى سَكَنِ^(٢)

(١) القرن جبل يجمع به البعيران . ويريد انه اصبح ملتصقا بالحادثات

(٢) سكنت مالت وارتاحت . والسكن كل ما يستأنس به

ومن قصيدة لداود بك عمون

هَاجَ أَشْوَاقِي إِلَى الدِّمَنِ طَائِرٌ غَنَى عَلَى قَنْ
إِيهِ يَا قُمْرِي^(١) إِنَّ بِنَا فَوْقَ مَا يُبْكِيكَ مِنْ شَجَنِ
وَلَوْ أَنَّ الدَّمْعَ مُنْطَلِقٌ لَهَمَى كَالْعَارِضِ الْهَتَنِ^(٢)
حَبْذَا الْمُصْطَافُ فِي جَبَلٍ يَنْطَحُ الْجَوَازُ بِالْقَنْ^(٣)
مَوْنِلُ الْأَحْرَارِ مِنْ قِدَمٍ وَأَبَاةِ الضَّمِيمِ مِنْ زَمَنِ
قَبْنُو لُبْنَانَ أَسَدُ وَغَى أَطْلَقَتْ فِيهِمْ يَدُ الْيَحَنِ
وَاخْتِلَافُ الدِّينِ أَوْزَنُهُمْ عِلَلُ الْأَحْقَادِ وَالْإِحَنِ
لَيْتَ ذَا عَزَمٍ يَضُبُّهُمْ ضِمَّةَ الْأَعْضَاءِ فِي الْبَدَنِ
فَيُعِيدُوا السَّابِقَاتِ مِنْ أَرَا مَجْدٍ وَالْعِلْيَاءِ لِلْوَطَنِ
يَا بَنِي أُمِّي إِذَا حَضَرَتْ سَاعَتِي وَالطَّبُّ أَسْلَبَنِي
إِجْمَلُوا فِي الْأَرْضِ مَقْبَرَتِي وَخُذُوا مِنْ ثَلْجِهِ كَفَنِي

(١) القمرى ضرب من الحمام (٢) همى السمع سال لا يئنيه شيء
راه رض السحاب والهت المنصب وهو خطأ وقع فيه المتن والصحح الهائن
(٣) الجوراء برج في السماء . والقن جمع القنة وهي قلة الجبل اي اعلاه

الباب العاشر

في الشكوى والعتاب والاستعطاف

« من قصيدة لابي فراس بعث بها الى سيف الدولة من الاسر »

يَا حَسْرَةً مَا أَكَادُ أَحِلِّهَا آخِرُهَا مُزْعِجٌ وَأَوَّلُهَا
عَلِيلَةٌ بِالشَّامِ مُفْرَدَةٌ بَاتَ بِأَيْدِي الْعِدَى مُعْلَلًا^(١)
تَمْسُكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرْقٍ تُظْفِئُهَا وَالْهُمُومُ تُشْعِلُهَا
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ هَلْ لَكُمَا فِي حَمْلِ نَجْوَى يَخْفُ مَحْمِلُهَا^(٢)
قَوْلًا لَهَا إِنْ وَعَتْ كَلَامُكُمَا وَإِنْ ذِكْرِي لَهَا لَيُذْهِبُهَا
أَسْلَمْنَا قَوْمَنَا إِلَى تَوْبٍ أَيْسَرُهَا فِي الْقُلُوبِ أَقْتَلُهَا
يَا مَسِيدًا مَا تُعَدُّ مَكْرَمَةٌ إِلَّا وَفِي رَاحَتِهِ أَكْبَرُهَا
أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا أَنْتَ بِلَادٌ وَنَحْنُ قَبِيلُهَا
أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَائِلُهُ أَنْتَ يَمِينٌ وَنَحْنُ تَمِيمُهُ
يَا بَيَّ عُذْرٍ رَدَدْتَ وَإِلَهَةً عَيْنِكَ دُونَ أُنُورَى مَوَالِمُهُ^(٣)
جَاءَتْكَ تَمَنَّا^(٤) رَدَّ وَاحِدِهَا يَنْتَظِرُ أَنْسَرُ كَيْفَ تَقِفُهُ^(٥)

(١) عليلة بالشيء، مفرده (٢) تنجي الاسر (٣) عرو عيه تنكس

(٤) تمناء مطلب (٥) ترجعها

سَمَحْتَ مِنِّي بِهَجْجِهِ دَرَمْتَ إِن كُنْتَ لَمْ تَبْدُلِ الْفِدَاءَ لَهَا
 تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ كَيْفَ تُنْهَلُهَا تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ كَيْفَ تُنْهَلُهَا
 نِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتَ لَنَا نِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتَ لَنَا
 أَرْحَامُنَا مِنْكَ لَمْ تُقْطِعْهَا أَرْحَامُنَا مِنْكَ لَمْ تُقْطِعْهَا
 أَئِنَّ الْعَالِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا أَئِنَّ الْعَالِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا
 يَادَا كِبَ الْخَيْلِ لَوْ بَصُرْتَ بِنَا يَادَا كِبَ الْخَيْلِ لَوْ بَصُرْتَ بِنَا
 رَأَيْتَ فِي الضَّرِّ أَرْجَاءَ حَرَمْتِ رَأَيْتَ فِي الضَّرِّ أَرْجَاءَ حَرَمْتِ
 قَدْ أَثَرَ الذَّهْرُ فِي مَحَاسِنِهَا قَدْ أَثَرَ الذَّهْرُ فِي مَحَاسِنِهَا
 لَا يَفْتَحُ النَّاسُ بَابَ مَكْرَمَةٍ لَا يَفْتَحُ النَّاسُ بَابَ مَكْرَمَةٍ
 أَيَنْبِرِي دُونَكَ الْكَرَامُ لَهَا أَيَنْبِرِي دُونَكَ الْكَرَامُ لَهَا
 فَإِنْ سَأَلْنَا سِوَاكَ عَارِفَةً فَإِنْ سَأَلْنَا سِوَاكَ عَارِفَةً
 لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ أُمَّةٌ عُرِفَتْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ أُمَّةٌ عُرِفَتْ

« وَقَالَ أَيْضاً »

كَيْفَ أَبْغِي الصَّلَاحَ مِنْ سَعْيِ قَوْمٍ كَيْفَ أَبْغِي الصَّلَاحَ مِنْ سَعْيِ قَوْمٍ
 قَطُّاعُ الْقَالِ غَيْرُ سَدِيدٍ قَطُّاعُ الْقَالِ غَيْرُ سَدِيدٍ
 ضَيُّعُوا الْحَزْمَ فِيهِ أَيُّ ضِيَاعٍ ضَيُّعُوا الْحَزْمَ فِيهِ أَيُّ ضِيَاعٍ
 وَسَدِيدُ الْقَالِ غَيْرُ مُطَاعٍ وَسَدِيدُ الْقَالِ غَيْرُ مُطَاعٍ

(١) جمع قيد (٢) انبرى للامر تعرض له والقمام السيد الكثير العطاء

« وقال من قصيدة يشكر فيها من الدهر »

ويفتخر بقومه

وَكَيْفَ تَرْجُونَ لِي سُلُوءًا	وَعِنْدِي الْمَعْدُ الْمُقِيمُ
وَمُقَلَّتِي مِلْوَهَا دُمُوعُ	وَأَضْلَعِي حَشْوَهَا كُلُّومُ
فَنَدِيمِي النَّجْمُ طُولَ لَيْلِي	حَتَّى إِذَا غَارَتْ النُّجُومُ
أَسْلَمَنِي الصُّبْحُ لِلْبَلَايَا	فَلَا حَيْبٌ وَلَا نَدِيمُ
تِلْكَ سَجَايَا مِنْ أَلْيَالِي	لِلْبُؤْسِ مَا يَخْلُقُ النَّعِيمُ ^(١)
وَنَحْنُ مِنْ غُصْبَةٍ وَأَهْلُ	يَضُمُّ أَعْضَاءَنَا الْأَرْوَمُ ^(٢)
لَمْ تَتَفَرَّقْ لَنَا خُودُ	فِي الْإِزْمِ مِنْهَا وَلَا عُمُومُ
وَدَادَهُمْ خَالِصٌ صَاحِبُ	وَعَهْدُهُمْ ثَابِتٌ مُقِيمُ
وَهَلْ يُسَاوِيهِمْ قَرِيبُ	أَمْ هَلْ يُدَانِيهِمْ حَسِيمُ
يُغَيِّرُ الدَّهْرُ كُلَّ شَيْءٍ	وَهُوَ صَاحِبُ لَهُمْ سَلِيمُ
أَيَّدِي لَهُمْ عِنْدَ كُلِّ خَطْبٍ	يُثْنِي بِهَا الْخَادِثُ الْجَسِيمُ
لَمْ تَنَأَ عَنَّا لَهُمْ قُلُوبُ	وَلَا نَأَتْ عَنْهُمْ جُجُومُ
وَلَا عَدِمْنَا لَهُمْ ثَنَاءُ	كَأَنَّهُ الْوُلُوءُ النَّظِيمُ
لَقَدْ فَنَمَتَا لَهُمْ أَصُولُ	مَا مَسَّ أَعْرَاقَهُنَّ لَوْمُ

(١) اي ان الذي يخلقه النعيم مصيره للبؤس (٢) الاصل

« وله من قصيدة »

وَأَمِنْتُ فِي الْحَالَاتِ عُشِّي غَدِيرِهِ	أَعْبَا عَلَيَّ أَخٌ وَثَقْتُ بِوُدِّهِ
حَتَّى أَلَسْتُ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ	وَوَحَّرْتُ هَذَا الدَّهْرَ خِزْبَةً نَاقِدِي
إِلَّا وَدِدْتُ لَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْرِهِ	لَا أَشْتَرِي بَعْدَ التَّجَرُّبِ صَاحِبًا
جَهْلًا وَطَوْرًا نَفْعُهُ فِي ضَرِّهِ	وَيَجِيءُ طَوْرًا ضَرُّهُ فِي نَفْعِهِ
لَمْ يَخْشَ فَقَرًا مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ	أَنْفِقْ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
يَصْدِيقُهُ فِي سِرِّهِ أَوْ جَهْرِهِ	فَأَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ أَبْشَهُمْ
أَصْفَى مَشَارِبِ بَرِّهِ فِي بَشَرِهِ	لَا خَيْرَ فِي بَرِّ الْفَتَى مَا لَمْ يَكُنْ
وَأَجِلْ أَنْ أَرْضَى بِفَاضِلِ بَرِّهِ	أَلْفَى الْفَتَى فَارِيدُ فَاِضِلِّ بَشَرِهِ

وقال عبد الرحمن الاربلي

« من قصيدة »

عَكَّفَ الرُّكْبُ عَلَيْهَا وَبَكَاهَا	رُبُّ دَارٍ يَا لِنَفْضِ طَالٍ بَلَاهَا
سَمَحَ الدَّهْرُ بِهَا ثُمَّ حَمَاهَا	دَرَسْتُ إِلَّا بَقَا أَسْطَرُ
فَسَقَى اللَّهُ زَمَانِي وَسَقَاهَا	كَانَ لِي فِيهَا زَمَانٌ وَمَضَى
أَلَصَمْتُ حُرَّ حَيَاهَا ^(١) بِثَرَاهَا	وَقَفْتُ فِيهَا لِنُفُودِي وَقَفَّةً
عَنْ جُفُونِي أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاهَا	وَبَكْتُ أَصْلَاهَا نَابَةً

قُلْ لِّجِبْرَانٍ مَّوَالِيَهُمْ
 كُنْتُ مَشْغُوفًا بِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
 لَا تَبْتَئُ اللَّيْلَ إِلَّا حَوْلَهَا
 وَإِذَا مُدَّتْ إِلَى أَغْصَانِهَا
 فَتَرَاخَى الْأَمْرُ حَتَّى أَصَبَتْ
 تَخْصِبُ الْأَرْضُ فَلَا أَطْرُقُهَا
 لَا يَدْرِي اللَّهُ أَرَعَى رَوْضَةً
 وَإِذَا مَا طَمَعُ أَغْرَى بِكُمْ
 فَصَبَابَاتُ الْهَوَى أَوْلَهَا
 لَا تَنْظُرُوا لِي إِلَيْكُمْ رَجْعَةً
 كُلَّمَا أَحْكَمْتُهَا رَأَيْتُ قَوَاهَا
 شَجَرًا لَا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهَا
 حَرَسُ تَرْشُحٍ بِأَلْمُوتِ ظُبَاهَا
 يَدُ جَانٍ قُطِعَتْ دُونَ جَنَاهَا
 هَمَلًا يَطْمَعُ فِيهَا مَنْ يَرَاهَا
 رَابِدًا إِلَّا إِذَا عَزَّ حِمَاهَا
 سَهْلَةً أَلَا كُتُفٍ مَنْ شَاءَ رَعَاهَا
 عَرَضَ أَلْيَاسُ لِنَفْسِي فَتَنَاهَا
 طَمَعُ النَّفْسِ وَهَذَا مُنْتَهَاهَا
 كَشَفَ التَّجْرِبُ عَنْ عَيْنِي عَمَاهَا

فجوى

« حُجِرَ الدِّينَ انْزِدْ كُنِي »

أَلَعَيْنُ بَعْدَ فِرَاقِهَا أَلْوَطَنَا
 رِيَانَةُ بِالْذَّمْعِ أَفْلَقَهَا
 كَانَتْ تَرَى فِي كُلِّ سَانِحَةٍ
 وَالْقَلْبُ لَوْ لَا أَنَّهُ صَعَتَتْ
 نَيْتَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ عَلِمُوا
 لَا سَكَنًا أُنِيتْ وَلَا سَكَنَتْ
 أَنْ لَا تَحْسُ كَرَى وَلَا رَسَنَتْ
 حُسْنًا وَتَرَتْ لَا تَرَى حَسَنَةً
 أَنْكَرْتُهُ وَشَكَّكْتُ فِيهِ أَرَنْتُ
 وَهَمُّهُ هُنَاكَ مَا بَقِيَتْ هُنَا

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي مُفَارِقَهُمْ
 يَا مَوْطِنًا عَيْتَ الزَّمَانِ بِهِ
 قَدْ كَانَ لِي بِكَ عَنْ سِوَاكَ غِنَى
 مَا كُنْتُ إِلَّا رَوْضَةً أَنْفًا^(١)
 عَطَفُوا عَلَيْكَ فَأَوْسَعُوا أَذَى
 وَجَنُوا عَلَيْكَ فَجَرُّدُوا قُضْبًا
 يَا طَائِرًا غَنَى عَلَى غُصْنِهِ
 زِدْنِي وَهَجْ مَا شِئْتَ مِنْ شَجْنِي
 أَذْكَرْتَنِي مَا لَسْتُ نَاسِيَهُ
 أَذْكَرْتَنِي (بَرْدَى) وَوَادِيَهُ
 وَأَجَبَةً أَسْرَرْتُ مِنْ كَلْفِي
 كَمْ ذَا أَغَالِبُهُ وَيَغْلِبُنِي
 لِي ذِكْرِيَاتٌ فِي دُبُوعِهِمْ
 إِنَّ الْقَرِيبَ مُعَذِّبٌ أَبَدًا
 لَوْ مَثَلُوا لِي مَوْطِنِي وَثْنَا

حَتَّى تُفَارِقَ دُوحِي الْبَدَنَا
 مَنْ ذَا الَّذِي أَغْرَى بِكَ الزَّمَانَا
 لَا كَانَ لِي بِسِوَاكَ عَنْكَ غِنَى
 كَرُمْتُ وَطَابَتْ مَغْرَسًا وَجَنَى
 وَهُمْ يُسَمُّونَ الْأَذَى مِنَّنَا
 مَسْنُونَةً وَتَقَدَّمُوا بِقَنَا
 (وَالْأَيْلُ) يَسْقِي ذَلِكَ الْغُصْنَا
 إِنْ كُنْتُ مِثْلِي تَعْرِفُ الشَّجْنَا
 وَلَرُبَّ ذِكْرَى جَدَّدَتْ حَزْنًا
 وَالطَّيْرَ أَحَادًا بِهِ وَثْنَا^(٢)
 وَهَوَايَ فِيهِمْ لَا عِجَابَ كُنَّا^(٣)
 دَمَعُ إِذَا كَفَّكَتُهُ هَتَا
 هُنَّ الْحَيَاةُ تَالِقًا وَسَنَى
 إِنْ حَلَّ لَمْ يَنْعَمْ وَإِنْ ظَلَمْنَا
 لَهَمَّتْ أَعْبُدُ ذَلِكَ أَلَوْثْنَا^(٤)

(١) الروضة الأنف التي لم يرها احد (٢) اصله ثناء قُصِرَ للشعر ووهناه

اثنين اثنين (٣) معنى اسرر هنا اظهر . والللاج الهوى المحرق . وكن توارى

(٤) اعبد . منصوب بأن المحذوفة للضرورة

ومن قصيدة لولي الدين يكن

لِيَالِي أَيْلِي مِنْ هُمُومِي وَجَدِيدِي لَكَ الْأَمْرُ لَا تَقْوَى عَلَى رَدِّهِ يَدِي
 فَأُرتَجِي وَالْأَرْبَعُونَ نَصَرَمْتُ وَلَا عَيْشَ إِلَّا يَنْتَهِي حَيْثُ يَبْتَدِي
 سَكَتٌ سَكُونًا لَا يُرَبِّكَ أَمِدَادُهُ فَلَا خَاطِرِي بَاقٍ وَلَا الشَّرُّ مُسْمِدِي
 وَلَا فِيَّ مِنْ رُوحِ الشَّابِّ بَقِيَّةٌ وَلَسْتُ بِمُشْتَاقٍ وَلَا مُتَوَجِّدِي
 حَزَنْتُ عَلَى الْمَاضِي ضَلَالًا وَمَنْ يَعِشْ كَمَا عِشْتُ لَمْ يَحْزَنْ وَلَمْ يَتَجَلَّدِي
 سَمَى اللَّهُ دَارَاتِ الْقَرَّافَةِ (١) دِيمَةً تُرْفُ عَلَى قَوْمٍ هُنَا لَكَ هُجْدِي
 تَعَوَّدَ كُلُّ بُؤْسَهَا وَنَعِيمَهَا وَعِشْنَا عَلَى بُؤْسٍ وَلَمْ نَتَعَوَّدِي
 أَهِنُ إِلَى تِلْكَ الْمَرَاقِدِ فِي الثَّرَى وَلَوْ اسْتَطِيعَ الْيَوْمَ لَأَخَرْتُ تَرْقِيدِي
 فَأَزَلْتُ جِسْمِي مَنَزِلًا لَا يَمْلَأُهُ يَكُونُ بَعِيدًا عَنْ أَعَادٍ وَحُسْدِي
 وَمَا يَتَمَنَّى الْحَرُّ فِي ظِلِّ عَيْشَةٍ تَمُرُّ لِأَحْرَارٍ وَتَحُلُو لِأَعْبُدِي
 لَقَدْ أَتَعَبْتَنِي وَالْمَتَاعُ جَمَّةٌ مَسِيرَةٌ يَوْمِي بَيْنَ أَمْسِي وَالْقَدِي
 أَلَمْ يَنْ أَنْ يَسْتَرِيحَ مُجَاهِدٌ أَلَمْ يَنْ أَنْ يَبْلُغَ الْمُهَلَّ الصَّدِي (٢)
 تَرَهَّدْتُ فِي وَصْلِ الْمَالِي جَمِيعَهَا وَمَنْ يَطْلُبَهَا كَاطِلَايَ يَزْهَدِي
 وَبِتُ تَسَاوَتْ فِي فُؤَادِي مَنَاهِجُ تُوَدِّي لِخَفْضٍ أَوْ تُوَدِّي لِسُودَدِي

(١) الدارات اراض واسعة بين جبال . والقرافة مكان بسفح المقصم في جوار

القاهرة (٢) الصدي العطشان وهو فاعل يبلغ

وَأَيَّ فِي يَتَدِ صَنِيرُ مُهَدَمِ
عَفَا اللَّهُ عَنْ قَوْمِ أَتَانِي عَدْرُهُمْ
وَكَمْ مِنْ نَفُوسٍ يَسْتَطِيلُ ضَلَالُهَا
فَيَارِيحُ إِنْ يَنْصِفُ بِي الشَّجْوُ سَكَنِي
وَيَا سَاكِنَاتِ الطَّيْرِ فِي دَوْلَةِ الدُّجَى
لَدَيَّ شِكَايَاتٌ وَأَنْتِ شَجِيَّةٌ
وَلَا تَخْشِي التَّمْلِيدُ يُذْهِبُ حُسْنَهَا
تَرَكْتُ الْغَنَى لَا عَاجِزًا عَنْ طَلَابِهِ
وَهَذِي بِحَمْدِ اللَّهِ مِنِّي بَرَاءَةٌ
كَأَنِّي فِي قَصْرِ كَبِيرٍ مُشِيدِ
قُرْبُ مُسِيءٍ لَمْ يُسَيِّ عَنْ تَعْمُدِ
وَلَكِنْ مَتَى مَا تُبْصِرِ النُّورَ تَهْتَدِ
وَيَا غَيْثُ إِنْ يُضِرْ مِنِّي الْوَجْدُ أَخْجِدِ
أَرَى إِنْ دَعَاكَ الصُّبْحُ أَلَا تُفَرِّدِي
فَإِنْ تَسْتَطِيعِي لِشَجْوِكَ أَنْشِدِي
فَكَمْ حَسَنَاتٍ قَدْ أَتَتْ مِنْ مُمْلِدِ
وَأُثِرْتُ نَفْسِي مِنْ مَنَازِلِ مَحْتَدِي
فَيَا أَفْقُ سَجِّلْهَا وَيَا أَنْجُمُ أَشْهَدِي

صدى اليأس

« من قصيدة لامين ناصر الدين »

آثَرُ الدَّهْرِ أَنْ أَعِيشَ كُنْيَا
تَنْجِي قَلْبِي الْهُمُومُ دِرَاكَا
حَسِبَ الدَّهْرُ أَنَّي مِنْ جَمَادِ
غَيْرَ أَنْ الْأَرْزَاءَ مَا أَفْقَدْتَنِي
ضَاعَ رَأْيِي فِي مَنْ أَرَى حِينَ أَمَسَتْ
نَارَةُ أَحْسَبُ الْحَيْبَ بَغِيضًا
بَيْنَ قَوْمِي وَفِي بِلَادِي غَرِيبَا
وَأَيَّ الْخُطُوبُ تُرْجِي الْخُطُوبَا
فَرَمَانِي بِالنَّائِبَاتِ ضَرْبَا
جَلَدًا رَاسِخًا وَعُودًا صَلِيبَا
أَلْسُنُ النَّاسِ لَا تُطِيعُ الْفُلُوبَا
وَزَمَانًا أَرَى الْبَغِيضَ حَيَا

وَلَكُمْ بِتُ رَاضِيَا عَنْ أَنَاسٍ
وَلَكُمْ قَدْ وَثَّقْتُ بِالْبَضْرِ لَكِنْ
يَتَحِينِي إِلَّا نَامُ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ
يَخْسُبُونَ الْجَمِيلَ أَسْوَأَ ضَنْعٍ
وَدَّ غَيْرِي دَوَامَ عَصْرِ شَبَابٍ
حَبَذَ الشَّيْبُ فِي دُجَى الشَّرِّ صُبْحًا
لَا تَظُنُّ أَنَّ فِي الْعَيْشِ طَيِّبًا
أَرْقَبُ النُّجْمِ فِي الدِّيَاجِي وَمَا مِنْ
غَيْرِ أَنِّي أَرَى لَهُنَّ خُفُوقًا
وَيَزِيدُ الْأَسِيمُ قَلْبِي حَرًّا
وَإِذَا مَا رَأَيْتُ إِشْرَاقَ شَمْسٍ
يَا هَزَارَ الْأَرَاكِ إِنَّكَ أَوْفَى
أَنْتَ تَسْدُو عَلَى الْغُصُونِ سُورًا
أَنْتَ تَبْنِي الْبَقَاءَ فِي ظِلِّ دَوْحٍ
لَكَ فِي الطَّيْرِ أَوْفَاءٌ وَإِنِّي
يَا هَزَارَ الْأَرَاكِ لَوْ كُنْتُ مِثْلِي
يَسَرَ مِنْ طَبْعِي الْكَاتِبَةُ لَكِنْ

حِينَ أَصْبَحْتُ غَادَرُونِي غَضُوبًا
قَدْ أَبَى الْخَبْرُ أَنْ أَكُونَ مُصِيبًا
وَمَتَى أَدْعُ لَا أَلَاقٍ مُجِيبًا
وَالسَّجَايَا الْمَكَمَلَاتِ عُيُوبًا
بَيْنَمَا جِئْتُ أَسْتَحِثُّ الشَّيْءَ
مُنْبَأً أَنْ لِلْحَيَاةِ غُرُوبًا
ضَلُّ مَنْ ظَنَّ فِي الْخَبَائِثِ طَيِّبًا
وَلَوْ بِتُ لِلنُّجُومِ رَقِيبًا
كَفُودٍ يُخَيِّ الظَّلَامَ طَرُوبًا
مِثْلَ نَارٍ بِالرَّيْحِ زَادَتْ لَهِيًا
قُلْتُ يَا لَيْتَهُ يَعُودُ مَغِيبًا
فِي أَمَّاذَاتٍ مِنْ سِوَاكَ نَصِيبًا
وَأَنَا أَجْعَلُ الْقَرِيضَ أَحِبًّا
وَمَا أَبْغِي أَهْنًا أَقْرَبًا
لَمْ أَجِدْ فِي الْأَنَامِ إِلَّا مَرِيبًا
لَا سَحَابَ الصَّدَاحِ مِنْكَ نَعِيبًا
أَثَرُ الدَّهْرِ أَنَّ عَيْشَ كَثِيبًا

أيها الأغنياء^(١)

« بقلم بشارة الحوري صاحب البرق »

رَجُلٌ ذُو مَرْوَةٍ وَسَخَاءٍ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ إِنْ كَانَ فِيكُمْ
تَبَتَّعِيهَا مَعَاشِرَ الْفُقَرَاءِ	فَلْيَبْرَهْنِ عَلَى الْمَرْوَةِ إِنَّا
بُدَّ هَذَا السَّخَاءِ فِي الْأَغْنِيَاءِ	وَلْيَبْرَهْنِ عَلَى السَّخَاءِ لِكَيْ نَهْ
قَامَ فِيكُمْ يُخَيِّ دَفِينَ الرَّجَاءِ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ أَيُّ مَسِيحٍ
لِصِفَارٍ بَاتُوا بِدُونِ عِشَاءِ	كَمْ فَهِيرٍ فِي اللَّيْلِ يَبْكِي دِمَاءَ
رَمَتِ أَجْهَشُوا لَهُ بِالْبُكَاءِ	لِصِفَارٍ أَبْوَهُمْ يَقْضُمُ الْجَمَّةَ
مَهْدٍ بَيْنَ الرَّغِيفِ وَالْأَحْشَاءِ	لِصِفَارٍ نَسُوا الرَّغِيفَ لَطُولِ أَلْ
لَا تَرَى فِي حَشَاهُمْ غَيْرَ مَاءِ	لِصِفَارٍ إِذَا شَقَّتْ حَشَاهُمْ
فِي اللَّيَالِي وَآمَشُوا عَلَى الْفُجَرَاءِ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ جُولُوا قَلِيلًا
سِ كَفَفْتُمْ مِنْ أَدْمَعِ الْبُؤْسَاءِ	عَلَّكُمْ إِنْ لَمَسْتُمْ الْبُؤْسَ فِي النَّأِ
كَمْ صَبِيٍّ يَنُوحُ كَمْ عَذْرَاءِ	كَمْ عَجُوزٍ بَيْنَ فَوْقَ عَصَاهُ
كَفَّ مُسْتَظِرٌّ نَدَى الْكُرْمَاءِ	لَسُوا اللَّيْلَ بِأَسْطِينِ وَرَأَهُ
نَقَرٌ لَا يُعَدُّ فِي الشُّرَفَاءِ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ عَفُوا قَبِيْكُمْ

(١) نظمت عام ١٩١٤ يوم انتشر الجراد في سماء بيروت وظهر جشع

الأغنياء باحتكار القوت والنور فاقضوا مضاجع الفقراء وزادوا في شقاء البؤساء

سَاعَدَ الْفَقْرَ وَالْجَرَادَ عَلَيْنَا
 أَيُّهَا ذَا الْجَرَادِ عُذْرُكَ مَقْبُولٌ
 إِهْطِ الْحَلَّ وَالنِّهْمَ مَا تَرَاهُ
 أَنْشُرَ الْمَوْتَ مَا اسْتَطَعْتَ فَلَا نَبْ
 أَيُّهَا ذَا الْجَرَادِ فِي النَّاسِ شَرٌّ
 يَقْتُلُونَ الْفَقِيرَ حُبًّا بِفَلْسٍ
 مَنَعُونَا الدَّقِيقَ وَهُوَ كَبِيرٌ
 مَنَعُونَا الضِّيَاءَ فَأَحْكَرُوا النَّوْ
 أَيُّ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعُوهُ عَلَيْنَا
 أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ إِنَّ غَنَاكُمْ
 الْقُصُورُ الَّتِي تُقِيمُونَ فِيهَا
 وَالْأَبْيَابُ الَّتِي تُبَاهُونَ فِيهَا
 وَالطَّعَامُ الَّذِي تَلَذُّونَ مِنْهُمُ
 وَالرِّيَاحِينَ فِي الْجَنَائِنِ مِنْهُمُ
 وَالْحَلِيبُ الَّذِي رَضَعْتُمْ صَغَارًا
 كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ هُمْ أَفْقَاعِلُوهُ

يَا لَهُمْ مِنْ ثَلَاثَةٍ أَعْدَاءُ
 فَاطْبِقْ بِالعُشْبَةِ الْخَضِرَاءِ
 وَأَنْشُرِ الْمَوْتَ فَهُوَ عَدْلُ جَزَاءِ
 مَيِّ وَلَا يَبْقَى بَعْدَنَا ذُو ثَرَاءِ
 مِنْكَ شَرٌّ مِنْ كَاسِرِ الْعَجَبَاءِ
 وَاحِدٍ يَخْزُونُهُ الْفُقَرَاءُ
 بَعْضُهُ يَا جَرَادُ مِلٌّ لِقَضَاءِ
 رَفِئًا لَيْلُ أَيْنَ عَيْنُ دُكَاةِ
 نَحْنُ نَحْيَا بِمُعْجَزَاتِ السَّمَاءِ
 شَيْدَتُهُ سَوَاعِدُ الْفُقَرَاءِ
 مَنْ بَنَاهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ
 مَنْ تَرَى حَاكِمًا سِوَى الْفُقَرَاءِ
 طَائِبُخُوهُ لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ
 غَارِسُوهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ
 كَانَ مِنْ صَدْرِ مُعْظَمِ الْفُقَرَاءِ
 فَادْكُرُوهُمْ لُطْفًا بِبَعْضِ الْجَزَاءِ

(١) الباء الداخلة على العشة بمعنى على أي طبقت على العشة الخضراء من
 طبقت الحمى عليه إذا دامت وكانت مطبقة فلم تغارقه

لَا تَقُولُوا وَسَاوِسُ مِنْ قَبِيرٍ . دَوَّخَتُهُ طَوَارِقُ الْأَزْزَادِ
إِنْ يَلْفَقِرُ ثَوْدَةٌ لَوْ عَلِمْتُمْ تَسْبَحُ النَّاسُ دُونَهَا فِي الدِّمَاءِ

اجل سمننا الهوانا^(١)

« للشاعر نفسه »

قَدْ سَمِنَّا أَجَلَ سَمِنَّا الْهَوَانَا	وَسَمِنَّا مِنْ أَجْلِهِ لُبْنَانَا
فَهَجَرْنَا تِلْكَ الرُّبُوعَ الْلَوَاتِي	تَخَذَتْهَا أَجْدَادُنَا أَوْطَانَا
أَرْبَعُ ثُنَيْتُ الذَّلِيلِ مِنَ النَّاسِ	سِ وَتَرَعَى اللَّيْمَ وَالْقَرْنَانَا
وَيَعِيشُ الْأَدِيبُ فِيهَا غَرِيبًا	وَيَظَلُّ الْأَيُّ فِيهَا هَامًا
وَبَيْتُ الضَّعِيفِ فِيهَا عَلَى الضَّيِّ	مِ . فَلَا يَأْلَفُ الْكَرَى الْأَجْنَانَا
حَالَةً نَسْتَمِيدُ بِالْعَدْلِ مِنْهَا	لَا سَلَامًا لَا غِبْطَةً لَا أَمَانَا
إِيَّاهُ لُبْنَانُ وَالْجَدَاوِلُ تَجْرِي	فِيكَ بَرْدًا فَتَمِشُ الظُّمَانَا
إِيَّاهُ لُبْنَانُ وَاللَّيْمُ عَلِيلًا	يَتَهَادَى فَيَمُطِفُ الْأَغْصَانَا
حَبْدًا السَّفْحُ مَعْبَدًا لِصِفَارِ الْأُ	طَيْرٍ تَشْدُو لِرَبِّهَا الْأَلْحَانَا
خَافَقَاتِ الْجَنَاحِ لِلشَّمْسِ أَنَا	خَافَقَاتِ الْفَوَادِ لِلْحُبِّ أَنَا

(١) نظمت سنة ١٩١١ على أثر الحوادث الدموية التي جرت ذلك العام في

شمالى لبنان وقد حمل الشاعر فيها على يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان

لذلك العهد

آمِنَاتٍ فِي السَّفْحِ كَاسِرَةِ الْجَسْرِ فَلَا تَأْتِلِي بِهِ طَيْرَانَا^(١)
 وَإِذَا الشَّمْسُ وَدَّعَتْ وَدَّعَتْ تِلْكَ السَّوَادِي وَالزَّهْرُ وَالْأَفْئَانَا
 وَاسْتَقَرَّتْ فِي وَكْرَهَا آمِنَاتٍ كُلُّ قَلْبَيْنِ يَخْفَقَانِ حَنَانَا
 مُطَبَّاتِ الْجُفُونِ يَحْفَظُهَا الْأَمْسُ كَمَا الْجَفْنُ يَحْفَظُ الْإِنْسَانَا
 أَيُّهَا ذِي الطُّيُورُ مَنْ قَسَمَ الْحِطُّ وَمَنْ قَالَ لِلشَّمَا كُنْ فَكَانَا
 أَيُّهَا ذِي الطُّيُورُ لَمْ نَعْتَدِ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلُ يَحْصُدُ الْحَيَوَانَا
 أَيُّهَا ذِي الطُّيُورُ حَسْبُكَ فِي السَّفْحِ أَنْطِلَاقًا جَوَائِحًا وَلِسَانَا
 أَتَجِدِينَهُ أَلْيَانَ عَلَى الْأَفْسَانِ وَالنَّاسُ لَا تَجِدُ أَلْيَانَا
 وَتَعِيشِينَ وَالرِّجَالُ يَلْبِنَا نَ يَمُوتُونَ شَفْوَةً وَهَوَانَا
 إِنْ كَفَّا تُفْصِلُ الثُّوبَ لِلْعُرِّ سِ لَكَفُّ تُفْصِلُ الْأَكْثَانَا
 رَحْمَةً بِالْقُلُوبِ يَا طَيْرُ غَنِي فَسَانَا نَسْلُو الشَّقَاءَ عَسَانَا
 وَاسْحَرِينَا بِمَا تُغْنِينِ حَتَّى لَا تَرَى مَصْرَعَ الْعُلَى عَيْنَانَا
 وَأُزْرِعِي طَوْقَكَ الْمُخَضَّبَ إِنَّا نَحْبُ الطُّوقَ خَضْبَتَهُ دِمَانَا
 نَحْنُ صِنَوَانِ يَا حَاهِمُ فِي الْبُؤْ سِ كِلَانَا مُطَوَّقَانِ كِلَانَا
 كَيْفَ حَالُ الشِّمَالِ مِنْ أَرْضِ لَبْنَا نَ أَمَا زَالَ يَقْذِفُ الْبِيرَانَا
 وَيُزِيْقُ أَلْفَتِي دِمَاءَ أَخِيهِ وَيَحُهُ كَانَ قَلْبُهُ صَوَانَا
 إِنْ مَنْ يَزْرَعُ الدِّمَاءَ بِأَرْضِ أَيُّهَا النَّاسُ يَحْصُدُ الْأَحْزَانَا

أَيُّهَا الْحَاكِمُ الَّذِي رَاحَ يَلْهُو إِنَّ فِي الْهَوَى لَوْ عَلِمْتَ شَقَانَا
فَبِهِ الْجَنَنَ مِنْ كَرَاكَ فَهَذَا مَتَّ نُسُورُ الْفَلَاحِ عَلَى قَتْلَانَا
أَرْبَعُ مِنْ سَنِيكَ مَاتَتْ وَلَوْ لَا أَمَلُ بِالرَّجُلِ مَاتَ دَجَانَا
مَا عَرَفْنَا وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ فِينَا أَمْلِكَا تَوَجَّتْ أَمَّ سُلْطَانَا
عَجَبًا كَيْفَ رَبُّ يَلْدِزْ يَنْحَطُّ وَيَعْلُو رَيْبُ يَلْدِزْ شَانَا
مِثْلُ عَبْدٍ الْحَمِيدِ عِنْدَكَ أَعْوَا نُّ وَلَكِنْ لَمْ يُخْلِصُوا أَعْوَانَا
مَنْحُوكِ اللِّسَانِ مِنْحَةً تَدْلِيْسُ وَلَكِنْ لَمْ يَنْحُوكِ الْجَنَانَا
فَإِذَا صَادَفَتْكَ دُهْمُ اللَّيَالِي وَتَطَلَّمتْ لَا تَرَى إِنْسَانَا

دمعة على الشرق

« من قصيدة للشاعر نفسه »

لَا أَلُومُ الزَّمَانَ يَا أَيُّهَا الشَّرُّ قُ عَلَى الدَّلِيلِ بَلْ أَلُومُ الرِّجَالَ
أَنْتَ كَالْغَرْبِ غَيْرَ أَنَّ رِجَالَ الْغَرْبِ أَمْضَى عَزْمًا وَأَمْضَى مَقَالًا
كُنْتَ لِلْغَرْبِ قُدْوَةٌ وَمِثَالًا فَقَدْ أَلْغَرْبُ قُدْوَةٌ وَمِثَالًا
كُنْتَ مَجْلَى الْأَنْوَارِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ فَعَبًّا لِحَالِهِ كَيْفَ حَالًا^(١)
عِزَّةٌ تَنْطَحُ السَّمَاءُ^(٢) وَمَجْدُ فِي جَيْنِ الْأَيَّامِ يَخْكِي الْهَلَالَ
وَرِجَالُ كَمَا تَشَاءُ الْعَالِي أَلْبَسُوا الشَّرْقَ رَوْقًا وَجَمَالًا

أَيْنَ تِلْكَ النُّفُوسُ أَخَذَهَا الْمَوْتُ تَرَى أَلَيْسَ وَالْجَنَى كَيْفَ ذَا لَا
 وَتَرَى عَرْشَ عِزِّهَا كَيْفَ تَذْكُرُ^(١) يَدُ الْفَاشِينَ^(٢) ظُلُمًا فَلَا
 فَتْدًا الْحَرُّ خَامِلًا^(٣) وَخُمُولُ الْحُسْرِ أَضْحَى فِي الشَّرْقِ شَيْنًا حَلَالًا
 فَإِذَا عَاشَ عَاشَ تَمُّ ذَلِيلًا وَإِذَا مَاتَ مَاتَ تَمُّ اغْتِيَالًا^(٤)
 أَهْيَا الشَّرْقُ أَيْنَ أَبْنَاؤُكَ الشَّمُّ^(٥) الْأَوَّلَى فِيكَ غَامَرُوا الْأَهْوَا
 وَالْأَوَّلَى يَبْدُلُونَ فِي مُسْبَلِ الْمَجْهَلِ بِدِ نَفُوسًا لِلذَّلِّ تَأْتِي أَحْتِمَالًا
 هَاجَرُوا خَوْفَ أَنْ يَنَالَهُمُ الظُّلْمُ وَحَطُّوا لَدَى سِوَاكَ الرِّحَالَا
 غَيْرَ أَنْ الْحَيْنَ لِلْوَطَنِ أَلَمَهُ بُوبِ كَالنَّارِ فِي الْقَوَادِ اشْتِمَالَا
 يَا سَمَا الشَّرْقِ أَيْنَ أَنْجَمُكَ الزُّهْمُ رُ الْبَيِّ قَدْ كَانَتْ لَنَا تَنَالَا
 أَتْرَاهَا حُنْتُ إِلَى الْغَرْبِ شَوْقًا أَمْ تَرَى أَنْتَ صِفْتَ عَنْهَا مَجَالَا
 فَأَذَلَّهُمُ الْآفَقُ الْجَبِيلُ غَدَاةً أَدَّ شَحَ الشَّرْقُ بِالْذَّجَى سِرْبَالَا^(٦)
 وَغَدَاً وَالشَّمَا مِلْهُ يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْ جَرَّ لِهَذَا أَذْيَالَا
 يَا بَنِي الشَّرْقِ أَيْنَ كُنْتُمْ سَلَامُ مِنْ مُجِبِّ يَذْكُرْكُمْ يَتَغَالَى^(٧)
 أَنْتُمْ الْقُوَّةُ الَّتِي نَسْتَرْجَى ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ تُنْعِشَ الْأَمَالَا
 أَنْتُمْ الْكَفُّ وَالْحَسَامُ فَشَلُّوا كُلُّ عُضْوٍ تَرَوْنَ فِيهِ اخْتِلَالَا
 وَأَنْبِذُوا^(٨) الْحِقْدَ وَالشَّأْفَرُ وَالْأَغَا رَاضٍ وَالْكَبْرِيَاءُ وَالْإِخْتِيَالَا

(١) هدمته (٢) الظالمين (٣) ساقطاً (٤) الاغتتيال القتل على غرة اي غيلة

(٥) جمع اسم وهو السيد الكريم ذو الانفة (٦) قيصاً (٧) يرتفع (٨) اطرحو

وَأَسْحَفُوا مَفْرَقَ^(١) الْبُعَاةِ وَذُوَسُوا
عُصَبَ^(٢) غَلَتِ^(٣) الْعُقُولَ وَوَيْلٌ
أَيُّهَا الْقَوْمُ حَسْبُكُمْ وَكَفَاكُمْ
أَيُّهَا الْقَوْمُ قَدْ مُنِحْنَا عُقُولًا
وَمُنِحْنَا حُرِّيَّةً وَإِخَاءً
نُصْرَاءَ الْتَصَبِ أَلَا تَذَلُّوْنَ
لِلَّذِي رَاحَ يَكْسِرُ الْأَغْلَالَ^(٤)
أَنْ مَكَّنَّا فِي أَسْرِكُمْ أَجْيَالًا
لَا تُبْقِي وَهْمًا وَلَا إَشْكَالًا
وَمُسَاوَاةً مِنْ لَدُنْهُ تَعَالَى

الامل الهاوي

« للشيخ ابراهيم منذر »

يَا دُرَّةَ الشَّامِ بَلْ يَا قِبْلَةَ الشَّامِ
يَا رُوحَ سُورِيَّةِ الْأَرَاقي وَسُودْدَهَا
دِمَشْقُ فِي صَفَحَاتِ الْمَجْدِ خَالِدَةٌ
كَانَ الْخَلِيفَةُ نُورًا فِي حِمَاكِ وَلَمْ
وَكَانَتْ أَلْفَةً أَلْفَضْحَى مُعَزَّزَةٌ
وَالْيَوْمَ لَا كَانَ هَذَا الْيَوْمَ لَسْتُ أَرَى
تَرَاظِنَ^(٥) الْقَوْمِ وَالْجِدَّانِ فَرَقَهُمْ
لَا أَلِمْ زَاهٍ وَلَا رَوْضَ الْحَمَى نُصِرُ
وَرَأَتْ أَلْفَةً أَلْفَضْحَى تَقُولُ لَنَا
« إِنْ كَانَ مَتَرِي لَتِي فِي الْحَبِّ عِنْدَكُمْ
كَمْ فِي سَمَائِكَ مِنْ وَحْيٍ وَالْهَامِ
الْبَاقِي وَبَدْرَسَنَاهَا السَّاطِعِ السَّامِي
ذِكْرُكَ تُرَوَّى بِإِجْلَالٍ وَإِعْظَامِ
يُصَبُّ بَنُوكَ بِإِرْهَاقٍ وَإِظْلَامِ
تَخْتَالُ عُجْبًا بِأَقْطَابِ وَأَعْلَامِ
فِي الشَّرْقِ إِلَّا الْفُؤَادَ الشَّامِي الدَّامِي
وَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَعْرَابٍ وَأَعْجَامِ
وَلَا كَرَامَةٍ لِأَبْنِ الشَّامِ فِي الشَّامِ
نَكَسْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَجْدِ أَعْلَامِي
مَا قَدْ رَأَيْتُ فَهَذَّ ضَيْعَتُ أَيَّامِي »

(١) المفرق وسط الرأس (٢) جماعات (٣) غله وضع الغل في يده او عنقه

(٤) جمع غل وهو طوق من حديد (٥) تراطن القوم تكلموا بالاعجية

. الشاعر والبورصة .

« بقلم الشيخ امين تقي الدين »

فَرَشُوهاَ لَا لِيَأْ وَنُضَارَا	ثُمَّ قَالُوا هُذِي الطَّرِيقُ فَسَارَا
لَا تَلُومُوهُ غَرَّهُ الْوَصْفُ حَتَّى	فَاتَهُ أَنْ قَضَى سِوَاهُ اغْتِرَارَا
رُبُّ سَعْدٍ يَجِيءُ لِلزَّهْرِ عَفْوَا	وَشَقَاءُ لَكِنْ يَجِيءُ اضْطِرَارَا
طَمَعُ فِي النُّفُوسِ أَنْ يَخْسَبَ الْمَرْءُ	طَرِيقَ الْغِنَى تَكُونُ اخْتِصَارَا
وَفَسَادُ فِي الرَّأْيِ أَنْ لَا يُرِينَا	أَلْوَهُمْ إِلَّا سَعَادَةً وَيَسَارَا
شَهِدُوهاَ فِي الْتَرَبِّ تَنَبُّيَ قُصُورَا	مَا رَأَوْهاَ فِي الْتَرَبِّ تَنَجِّيَ دِيَارَا
غَرَّهُمْ ظَاهِرُ الْبَهَا فَتَمَامُوا	عَنْ قَبِيحٍ تَحْتَ الْقَبِيحِ تَوَادَى
وَأَتَوْنَا بِهَا وَقَدْ غَرَبُوهَا	فَهَرَأْنَا فِيهَا الشَّقَا وَالْبَوَادَا
إِنْ فِي بَعْضٍ مَا اقْتَبَسْنَا مِنْ الْتَرَبِّ	بِ كَمَا لَا وَإِنْ فِي الْبَعْضِ عَارَا
فَخَلَعْنَا التَّمَذُّنَ الْحَقَّ عَنَّا	وَلَبِسْنَا التَّمَذُّنَ الْمُسْتَمَارَا
يَا ابْنَةَ الْتَرَبِّ حَبِّبِي وَجْهَكَ الْكَأْ	لِحَ عَنِّي وَأَوْسِعِي نِفَارَا
وَأَسْتَرِي ذَلِكَ الْجَمَالَ الْمُدَاجِي	وَأَمْنِي ذَلِكَ الْبَهَا الْفَرَارَا
قَبِّحَ اللَّهُ كُلَّ حُسْنٍ يُحْلِيكَ وَلَوْ كَانَ يُخْجِلُ الْأَقْمَارَا	
يَا ابْنَةَ الْتَرَبِّ مَلِّقِي النَّاسَ مَهْمَا	شِئْتَ وَأَسْتَوْفِي لَكَ الْأَنْظَارَا
فَصُعُودًا طَوْرًا وَطَوْرًا هُبُوطًا	لَعَنَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَسْمَارَا

رَبِّ هَلْ كَانَ مِثْلَ حَظِّيَ حَظُّ
أَفَأَسْمَى وَرَاءَ رِزْقِي دَهْرًا
لَيْسَ اللَّيْلَ فِي الْحَيَاةِ شِعَارًا
وَأَلَا فِي فِي لَحْظَتَيْنِ الدَّمَارَا
زَادَ شَيْخُوحَتِي الضُّعْفُ وَشَبَابِي
ضَاعَ لَكِنْ فِي الْقَلْبِ أَبْقَى شِرَارَا
طَارِرٌ كَانَ فِي يَمِينِي فَلَمَّا
مَلَّعُوهُ غَنَى قَلِيلًا وَطَارَا

أنقذوا الطفل

« من قصيدة لحافظ بك ابراهيم »

أَيُّهَا الْوَلَدُ لَا تَخَفْ عَنَّا اللَّهُ
قَيْضَ اللَّهِ لِلضَّعِيفِ نَفْسًا
وَلَا تَخْشَ عَادِيَاتِ اللَّيَالِي^(١)
تَعَشَّقُ الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْجَبَالِ
أَيُّ ذَوَاتِ الْجَبَالِ عِشْتُ لَّا
بِرٍّ وَمُتَّنٌ قُدْوَةٌ لِلرَّجَالِ
لَمْ يَكُونُوا يُدْرِكُوا الْمَجْدَ لَوْ لَا كُنَّا
أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
رَاعِنِي عَن نَّفْسِي كُنْ جَمَالُ
يَتَجَلَّى فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالِ
وَجَمَالُ النَّفْسِ وَالشَّعْرِ وَالْأَخْ
لَا قُ عِنْدِي أَسْمَى مَجَالِي الْجَمَالِ
قُمْنَ عَلِمْنَا الرُّوءَى وَالْعَطَا
فَعَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّوَالِ
قُمْنَ عَلِمْنَا الْهَنَانَ عَلَى الطِّفَّةِ
لِ شَرِيدَا فَرِيَسَةِ الْمُتَعَالِ
قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَ كُنْ وَجِئْنَا
نَسْأَلُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النَّوَالِ

(١) مراد الشاعر ان يقول : لا تخف ان يعتك الدهر اي ان يستزل بك

ما يستق عليك تحمله فاستعمل العنت بدلاً من التعنت فانقلب المعنى

لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ لَجَدْنَا
 أَنْقَذُوا الْبَطْلَ إِنَّ فِي شَوْءِ الْبَطْلِ
 إِنْ يَعِشَ بَأْسًا وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْ
 دُ بْ بُؤْسٍ يُخَيِّتُ^(١) النَّفْسَ حَتَّى
 أَنْقَذُوهُ قَرِيبًا كَانَ فِيهِ
 دُبًّا كَانَ تَحْتَ طَيْرِيهِ^(٢) عَزَمُ
 إِنْ جَهَدَ الْبَطْلَ حُسْنُ الْمَقَالِ
 لَ شَقَاءَ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ
 سُ يُعِشُ نَكْبَةً عَلَى الْأَجَالِ
 يَطْرَحُ الْمَرْءُ فِي هَاوِي الضَّلَالِ
 مُصْلِحٌ أَوْ مُغَايِرٌ لَا يُبَالِي
 ذُو مَضَاءٍ يَدُكُ شَمَّ الْجِبَالِ

على شاطئ النهر

« بقلم الياس ابي شبكة »

أَصْنِي فَلَأَمَوَاهُ فِي النَّهْرِ
 أَنَا لَمْ هَذَا الزَّفِيرُ أَمْ الْأَمُ
 النَّهْرُ يَا نَفْسِي إِذَا اضْطَرَبْتَ
 لَا شَكَّ يَفْهَمُ وَهُوَ مُصْطَخِبُ
 صَوْتُ يُشَابِهُ زَفْرَةَ الصَّدْرِ
 وَاجُ فِي مَدِي وَفِي جَزْرِ
 أَمَوَاهُ فِي قَعْرِ السَّرِي
 أَسْرَارَ مَدْمَعِكَ الَّذِي يَجْرِي

...

كَالنَّهْرِ يَا نَفْسُ نَهَايَتُنَا هُوَ لِلْجَارِ وَتَحْنُ لِلْقَبْرِ



(١) يقال أَخْبَتُهُ إِذَا أَفْسَدَهُ لَا خَبْثَهُ (٢) الطمر الثوب البالي

الباب الحادي عشر

في المدح والتهنئة

قال ابو فراس الحمداني من قصيدة يمدح بها سيف الدولة

وَلَمَّا لَمْ أَحِذْ إِلَّا فِرَادَا	أَشَدُّ مِنَ الْمَيْسَةِ أَوْ حِمَامَا
حَمَلْتُ عَلَى وَرُودِ الْمَوْتِ نَفْسِي	وَقُلْتُ لِصُحْبَتِي مُوتُوا كِرَامَا
وَهَلْ عُذِرْتُ وَسَيْفُ الدِّينِ رُكْنِي	إِذَا لَمْ أَرْكَبِ الْخُطَطَ ^(١) الْعِظَامَا
وَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ	وَحَسْبِي أَنْ أَكُونَ لَهُ غَلَامَا
أَرَانِي كَيْفَ أَكْتَسَبُ الْمَالِي	وَأَعْطَانِي عَلَى الدَّهْرِ الدِّمَامَا
وَرَبَّانِي قَهْتُ بِهِ الْبَرَايَا	وَأَنْشَانِي فَسَدْتُ بِهِ الْأَنَامَا
فَأَحْيَاهُ إِلَالَهُ لَنَا طَوِيلَا	وَزَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ دَوَامَا

وقال يمدح عدة الدولة اما تغلب بن ناصر الدولة

دَعَوْتُهُ فَاجَابَتْنِي مَكَارِمُهُ	وَلَوْ دَعَوْتُ سِوَى نُهَاهُ لَمْ تُجِبْ
لَوْ فَاتَهُ النَّسَبُ الْوَضَاحُ كَانَ لَهُ	مِنْ فَضْلِهِ نَسَبٌ يُغْنِي عَنِ النَّسَبِ
إِذَا دَعَتْهُ مُلُوكُ الْأَرْضِ سَيِّدَهَا	طَرًّا ^(٢) دَعَتْهُ الْمَالِي سَيِّدَ الْعَرَبِ

ومن قصيدة لبهاء الدين زهير في مدح الملك الناصر يوسف

ابن الملك العزيز بن ايوب لما ملك دمشق سنة ٦٤٨

وكان متغير المزاج ثم عوفي

لَكُمْ مِنِّي الْوُدُّ الَّذِي لَيْسَ يَبْرَحُ وَلِي فِيكُمْ الشُّوقُ الشَّدِيدُ الْمُبْرَحُ
وَكَمْ لِي مِنْ كُتُبٍ وَرُسُلٍ إِلَيْكُمْ وَلَكِنَّمَا عَنْ لَوْعَتِي لَيْسَ تُفْصَحُ
زَعَمْتُمْ بَأَنِّي قَدْ نَقَضْتُ عَهْدَكُمْ

لَقَدْ كَذَبَ الْوَائِي الَّذِي لَيْسَ يَنْصَحُ
خَلِقتُ وَفِيَّ لَا أَرَى الْقَدْرَ فِي الْهَوَى وَذَلِكَ خُلِقَ عَنْهُ لَا أَرْحَحُ
سَلُوا النَّاسَ غَيْرِي عَنْ وَقَائِي بِعَهْدِكُمْ فَإِنِّي أَرَى سُكْرِي لِنَفْسِي بَقُحُ
أَحْبَابَنَا حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى أَعْرِضْ بِالشُّكْوَى لَكُمْ وَأَصْرَحُ
حَيَاتِي وَصَبْرِي مُذْ هَجَرْتُمْ كِلَاهُمَا غَرِيبٌ وَدَمْعِي لِلْقَرِيبِينَ يَشْرَحُ
رَعَى اللَّهُ طَيْفًا مِنْكُمْ بَاتَ مُوْنِسِي وَمَا ضَرَّهُ إِذْ بَاتَ لَوْ كَانَ يُصْبِحُ
وَأَسْرَ أَمَا قَدُهُ فَهَوَ أَهَيْفُ رَشِيقٌ وَأَمَا وَجْهُهُ فَهَوَ أَصْبَحُ
كَأَنَّ الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالضِّيَاءِ تَدَاخَلَهُ زَهْوٌ^(١) بِهِ فَهَوَ يَبْرَحُ
كَأَنِّي قَدْ أَنْشَدْتُهُ مَدْحَ يُوسُفَ فَأَطْرَبَهُ حَتَّى أَنْشَى يَبْرَنْجُ^(٢)
وَإِنْ مَدِيحَ النَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ لِيَصْبُو إِلَيْهِ كُلُّ قَلْبٍ وَيَجْنَحُ^(٣)
وَلَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَى مَدْحٍ مَادِحٍ مَكَارِمُهُ تُثْنِي عَلَيْهِ وَتَمْدَحُ

وَكُلُّ فَصِيحٍ أَلَكْنٌ^(١) فِي مَدِيحِهِ
 وَقَدْ قَاسَ قَوْمٌ جُودَ يَمَنَاهُ بِالْحَيَا^(٢)
 فَلَوْ سُئِلَ الدُّنْيَا رَأَاهَا حَقِيرَةً
 كَثِيرٌ حَيَاءُ الْوَجْهِ يَقْطُرُ مَآوُهُ
 مَنَاقِبٌ قَدْ أَضْحَى بِهَا الدَّهْرُ حَالِيًا
 مِنَ التَّفَرُّعِ الْفَرِّ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ
 كَذَلِكَ بَنُو أَيُّوبَ مَا زَالَ مِنْهُمْ
 أَنَاسٌ هُمْ سَنُوا الطَّرِيقَ إِلَى الْعُلَى
 لِيَهْنِي دِمَشْقَ الْيَوْمِ صِحَّتَكَ أَلْيَ
 فَلَا زَهْرَ إِلَّا ضَاحِكٌ مُتَعَاطِفٌ^(٣)
 وَلَا غَضْنَ إِلَّا وَهُوَ نَشْوَانٌ دَاقِصٌ
 أَمْوَلَايَ سَامِعِي فَإِنَّكَ لَمْ تَرَلِ
 فَا كُلُّ لَفْظٍ فِي خَطَايِكَ يُرْتَضَى
 لَعَمْرُكَ كُلُّ النَّاسِ لَا شَكَّ نَاطِقٌ
 وَقَدْ يُخْسِنُ النَّاسُ الْكَلَامَ وَإِنَّمَا
 كَلَامٌ يَسُرُّ السَّامِعِينَ كَأَنَّمَا

لَأَنَّ لِسَانَ الْجُودِ بِالْمَدْحِ أَفْصَحُ
 وَقَدْ غَلِطُوا يَمَنَاهُ أَسْخَى وَأَسْمَحُ
 وَجَادَ بِهَا سِرًّا وَلَا يَتَجَبَّحُ^(٤)
 عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَأْسِهِ النَّارُ تَلْفَحُ^(٥)
 فَهَا عِظْمُهُ مِنْهَا مُوشِي مُوشِحُ
 مَصَابِيحُ فِي الظُّلُمَاءِ بَلْ هِيَ أَصْبَحُ
 عَظِيمٌ مُرْجَى أَوْ كَرِيمٌ مُمْدَحُ
 وَهُمْ أَعْرَبُوا عَنْهَا وَقَالُوا فَأَفْصَحُوا
 بِهَا فَرِحَتْ وَالْمَدَنُ كَالنَّاسِ تَفْرَحُ
 وَلَا دَوَّحَ إِلَّا مَائِسٌ مُتَرَنِّحُ
 وَلَا طَيْرٌ إِلَّا وَهُوَ فَرَحَانٌ يَصْدَحُ
 تُسَامِحُ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَتَسْمَحُ
 وَمَا كُلُّ مَعْنَى فِي مَدِيحِكَ يَصْلَحُ
 وَلَكِنْ ذَا يَلْفُو^(٦) وَهَذَا يُسَبِّحُ
 كَلَامِي هُوَ الدُّرُّ الْمُنْقَى الْمُنْتَحِ
 لِسَامِعِهِ فِيهِ الشَّرَابُ الْمُقَرَّحُ

(١) الا لكن الثقل اللسان (٢) المطر (٣) يريد بذلك انه لا يقتصر بجوده

(٤) تحرق (٥) متبختر (٦) لنا في قوله اخطأ وقال باطلا

ومن قصيدة لاسماعيل صبري باشا انشدها في الحفلة التي اقيمت في مصر
تكريماً لواصل بن بطرس باشا غالي الذي التي في باريس
المحاضرات والخطب الباهرة في آداب اللغة العربية

أَيُّ صَوْتٍ حَيَّتهُ بِالْأَمْسِ بِأَرِيْسُ مَقَرُّ الْعُلُومِ وَالْعُلَمَاءِ
مَنْ تَرَى ذَلِكَ الَّذِي جَمَلَتْهُ حِكْمَةُ الشَّيْبِ فِي رَيْعِ الْقَتَاءِ^(١)
ذَلِكَ الْأَسْمَرُ الَّذِي بَهَرَ أَلْ بَيْضُ^(٢) مُطَلَّاً مِنْ مُنْبَرِ الْخُطْبَاءِ
وَأَمَاطَ اللَّثَامَ^(٣) عَنْ أَدَبِ الْعُرُ بِ كِرَامِ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ
يَلْسَانِ^(٤) مَا أَعْتَادَ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَخْضَعَ إِلَّا لِأَهْلِهِ مِنْ إِبَاءِ
يَا سِجْلُ الْخُلُودِ فَسَحْ مَجَالاً لِأَسْمِهِ فِي صَحِيفَةِ الْقُضَلَاءِ
وَأَرِ الْأَعْصَرَ الْأَوَاتِيَّ أَنْ أَلْ ذِكْرُ عُمَرُ مُحَجَّلُ الْأَنَاءِ^(٥)
ذَلِكَ صَوْتُ ابْنِ بَطْرُسٍ قَدْ عَرَفْنَا هُ بِمَا هَاجَهُ مِنَ الْأَصْدَاءِ
أَلْقِ بِالسَّمْعِ^(٦) تَسْتَحِفُّكَ مِنْهُ نَفْسُهُ لَمْ تَكُنْ لِفَيْرِ الْوَفَاءِ
ذَلِكَ نَجْمُ أَطْلَعَتْهُ أَنْتِ يَا مِمْ رُ فَقَرِّي بِنَجْمِكَ الْوُضَاءِ
وَأَحْلِيهِ حَيْثُ تَقْتَعِدُ الْبَدْرَ رَعِيُونُ السَّرَاقَةِ فِي الظُّلَمَاءِ

(١) الفتوة (٢) اراد بالبيض الغربيين وكفى عن المدح بالاسمر نكونه
صرياً اسمر اللون (٣) اماط كشف واللثام ما تغطي به الشفة من ثوب وكفى
باماطة اللثام عن الكشف (٤) يريد به اللسان الفرنسي (٥) جمع الأنثى وهو
كل النهار والمجمل الابيض اي ان الذكر عمر ابيض الايام (٦) اتقى اليه السمع
أصغى اليه

كَمْ لَهُ دُونَ بَيْضَةِ الشَّرْقِ مِنْ غَضٍّ
 كَمْ لَهُ مِنْ مَوَاقِفٍ هَزَّ عِطْفَ الْأَ
 يِهِ يَا أَبْنَ الْأَمْجَادِ قُمْتَ بِأَعْبَةٍ
 وَأَرَيْتَ إِلَّا نَامَ بَرٌّ ذَوِي الْقُرْ
 فَاسْتَمِعْ مَا يُقَالُ حَوْلَكَ يَا وَآ
 إِنَّ مِنْ طَلِبِ الشَّاءِ لَزَهْرًا
 بِهٍ حُرٍّ وَكَمْ لَهُ مِنْ بَلَاءٍ^(١)
 حَقَّ فِيهَا بِالْحُجَّةِ الْبَيْضَاءِ
 أَوْ كِبَارِ وَالْمَجْدُ ذُو أَعْبَاءِ
 بِي وَرَأْيِ الْكَرِيمِ فِي الْكُرْمَاءِ
 صَفْ ذَا الْيَوْمِ مِنْ ضُرُوبِ الشَّاءِ
 تَجَنَّبِهِ مَسَامِعُ الْأَكْفَاءِ

وقال خليل بك مطران من قصيدة يهني فيها

أحمد شوقي بك بمرجانه

يَا بَاعِثَ الْمَجْدِ الْكَرِيمِ بِشَرِّهِ
 أَنْتَ الْأَمِيرُ وَمَنْ يَكُنْهُ بِالْحِجَى
 الْيَوْمَ عَيْدُكَ وَهُوَ عَيْدٌ شَامِلٌ
 عَيْدٌ بِهِ أَنْحَدَتْ قُلُوبٌ شُعُوبَهَا
 كَمْ رِيمٍ تَجْدِيدُهُ لِعَايِرِ مَجْدِهَا
 يَا مِصْرُ بَاهِي كُلِّ مِصْرٍ بِالْأَوَّلَى
 حَفَاؤُوا لِأَحْمَدَ حَفْلَةً مِمُونَةً
 مَا أَحْمَدُ إِلَّا لَوَاهُ بِلَادِهِ
 وَمُجَدِّدَ الْعَرِيَّةِ الْقَرَبَاءِ
 فَلَهُ بِهِ يَهُ عَلَى الْأَمْرَاءِ
 لِلضَّادِ فِي مُتَبَايِنِ الْأَرْجَاءِ
 وَلَقَدْ تَكُونُ كَثِيرَةً الْأَنْهَوَاءِ
 فَجَنَى عَلَيْهِ تَشَبُّهُ الْآرَاءِ
 أَنْجَبَتْ مِنْ أَبْنَائِكَ الْعُظَمَاءِ
 لَمْ تَأْتِ فِي نَبَاٍ مِنَ الْأَنْبَاءِ
 فِي الشَّرْقِ يَخْفِقُ فَوْقَ كُلِّ لَوَاهٍ

(١) البيضة الناحية والبلاء اظهار البأس

عَظُمَتْ مَوَاهِبُهُ وَأَحْرَزَ مَا أَشْتَمَى
 إِنْ تَلَقَّاهُ تَلَقَّ النَّبُوعَ مُثَلَا
 فِي نَظْمِهِ الدُّرُّ الْفَيْسُ وَإِنَّمَا
 أَعْظَمُ بِشَوْقِي ذَائِدًا عَنْ قَوْمِهِ
 تَكَادُ تَسْمَعُ مِنْ صَرِيرِ بَدَاعِهِ
 فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ قَرِيضِهِ
 أَمَّا جَزَالَتُهُ فَنَائِيَةٌ مَا أَتَمَّتْ
 وَتَكَادُ رِقَّتُهُ تَسِيلُ بِلَفْظِهِ
 لَوْ لَا الْجَدِيدُ مِنَ الْحَلِيِّ فِي نَظْمِهِ
 نَاهِيكَ بِالْوُثْيِ الْأَنِيقِ وَقَدْ زَهَا
 يَسْرِي نَسِيمُ اللَّطْفِ فِي زِينَاتِهَا
 هَتَكَتْ قَرِيحَتُهُ السُّجُوفَ وَأَقْبَلَتْ
 فِي شَدْوِهِ وَنَوَاحِيهِ رَجْعُ لَمَّا
 يُشْجِي قَدِيمُ كَلَامِهِ كَجَدِيدِهِ
 فَمِنْ الْكَلَامِ مُعْتَقُ إِنْ ذُقَّتْهُ
 لِلَّهِ شَوْقِي فِي طَرَائِقِ أَخْذِهِ
 فِي بَرِّهِ بِبِلَادِهِ وَهِيَامِهِ

مِنْ فِطْنَةٍ خَلَابِيَةٍ وَذَكَاءٍ
 فِي صُورَةٍ لَمَاحَةٍ أَلَلَاءٍ^(١)
 تَضْطَّادُهُ الْأَسْمَاعُ بِالْإِضْغَاءِ
 وَبِلَادِهِ فِي الْأَزْمَةِ التَّكْرَاهِ
 زَادًا كَزَادِ الْأَسَدِ فِي الْهَيْجَاءِ
 مَا زَالَ فَوْقَ مَطَامِعِ النُّظْرَاءِ
 شَرَفًا إِلَيْهِ جَزَالَةُ الْفَضَاءِ
 فِي الْمُهْجَةِ الطَّمَأَى مَسِيلَ الْمَاءِ
 لَمْ تَعَزْهُ إِلَّا إِلَى الْقُدَمَاءِ
 مَا شَاءَ فِي الدِّيَابِجَةِ الْحَسَنَاءِ^(٢)
 مَسَرَى الصَّبَا فِي الرُّوضَةِ الْقَنَاءِ
 تَسْبِي خَبَايَا النَّفْسِ كُلِّ سِبَاءِ
 طَوَّيَتْ عَلَيْهِ سَرَائِرُ الْأَحْيَاءِ
 وَأَرَى الْقَدِيمَ يَزِيدُ فِي الْأَشْجَاءِ
 الْقَتِيئَةُ كَمُعْتَقِ الصَّهْبَاءِ
 بِطَرَائِقِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْيَاءِ
 بِجَمَالِ تِلْكَ الْأَجْنَةِ الْفَيْحَاءِ

فِي وَصْفِهِ أَلْتَمَّ أَلَّتِي خُصَّتْ بِهَا
 فِي فَخْرِهِ يَنْهَوِضُهَا حَيْثُ أَلْدَى
 فِي شُكْرِهِ لِلْمَانِعِينَ حِيَاضَهَا
 فِي وَصْفِهِ أَلَا يَاتِ مِمَّا أَبْدَعَتْ
 وَصَفُ تَقَنَّنَ فِيهِ يُغْرِى قَوْمَهُ
 لَمْ يُبْقَ مِنْ عَجَبٍ عَجَابٍ خَافِيَا
 بَلَقَتْ خِلَالَ الْعَبْرِيَّةِ تَمَّهَا^(١)
 فَإِذَا عَيْتُ وَلَمْ أَقْمِ يَحْضُوقَهَا
 مِنْ حُسْنٍ مُرْتَبِعٍ وَطِيبٍ هَوَاءٍ
 يَهْوِي بِهَامٍ شَبَابِهَا الشُّبَّاءِ
 وَحُمَاةٍ بَيَضَتَهَا مِنَ الشُّهْدَاءِ
 أُمُّ يَقْظَنَ وَنَحْنُ فِي إِغْفَاءٍ
 بِأَلَا خَذَعْنَاهَا أَشْرَفَ الْأَغْرَاءِ
 فِي بَطْنِ أَرْضٍ أَوْ يَظْهَرُ سَمَاءٍ
 فِيهِ وَجَازَتْ شَاوُ كُلِّ فَنَاءٍ
 فَلَقَدْ يَقُومُ الْمَذْدُ بِأَلَا بِلَاءٍ

وقال امين بك تقي الدين من قصيدة يعنى بها استاذہ

الشيخ عبد الله البستاني بيوبيله الذهبي

شَجَاهَا^(٢) أَنْ تَرِيدَ أَلْعِيدَ جَاهَا
 أَنَا مَنْ تَعْلَمِينَ فَتَى الْقَوَائِي
 أَجِلُّ « أَلْحِكْمَةُ الْقُرَاءِ » أُمَّا
 عَذِيرِي أَنْ أَبَاهِي فِي بَيَانِي
 أَنَا مِنْ أُمَّةٍ أَطْلَفَتْ مِنْهَا
 وَإِنَّكَ خَيْرُ مَنْ رَكَنْتَ إِلَيْهِ
 فَنَادَتْ نِي فَلَبَّاهَا فَتَاهَا
 إِذَا أَطْرَأْتُ أَسْتَاذِي أَبَاهَا
 وَأَكْرَمُ « شَيْخَاهَا » أَلْبَانِي عُلاَهَا
 فَمَنْ أَدْبَتَ يُعْذَرُ إِنْ تَبَاهَى
 هُدَى حَقًّا وَأَقْلَامًا زُرَاهَا^(٣)
 فَكَادَ جُنُودَهَا وَحَمَى لَوَاهَا

(١) تمامها (٢) اطربها والضمير يعود الى مدرسة الحكمة (٣) جمع تزيه

أَخَذْنَا عَنْكَ عَاطِرَةَ الْمَآئِي
وَتَفْسُكَ وَهِيَ لَمْ تَبْرَحْ هُدَانَا
أَلَسْتَ إِمَامَ مَنْ نَظَمَ الْقَوَائِي
غَوَانٍ فِي كِسَاءِ جَاهِلِيَّةٍ
أَعَارَتْهَا أَلْبَدَاوَةُ كُلُّ حُسْنٍ
لَيْسَتْ عِبَادَةُ الْعَرَبِيِّ تُرْهِى
وَوَشْنَهَا عُلُومُ الْيَوْمِ وَشَيْءٌ
وَقَدْ أَجِيتَ لَنَا الْغَصْرُ الْخَوَالِي
كَأَنَّكَ كُنْتَ «رَافَائِيلُ» فَنَّا
رَأَى فَأَجَادَهَا صُورًا وَمَعْنَى

وَفَرَّقْنَا عَلَى الدُّنْيَا شَذَاهَا
أَضَانَا كُلُّ قَطْرِ مِنْ هُدَاهَا
فَارْقِصَتِ النُّفُوسُ عَلَى صَدَاهَا
يُرُوحِي الْيَوْمَ عَصْرِيًّا كَسَاهَا
وَزَادَتْهَا الْحَضَارَةُ مِنْ سَنَاهَا
بِهَا حَتَّى بَدَذَتْ مِنْ أَرْتَدَاهَا
كَأَنَّ سَنَاءَهُ مِنْ كَهْرَبَاهَا
رَوَايَاتُ أَجْلِكَ مَنْ رَوَاهَا
تُضِيفُ لِقَتِهِ لُفَّةً وَقَاهَا
وَأَسْتَاذِي أَجَادَ وَمَا رَاهَا

وقال وديع عقل احد خريجه من قصيدة

يهته فيها باليوبيل نفسه

أُمِّعِلِمَ الْفُصْحَى وَرَبِّ يَيَانِيَا
وَقَدُّوا وَهُمْ أُمَرَاؤُهَا وَشُيُوخُهَا
نَادَوْا بِعَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ «زِيَادِهَا»^(١)
نَادَوْا بِهِ مَلِكَ الْبَلَاغَةِ فَاسْتَوَى

هَذَا مَقَامُكَ فِي بَيْتِي قَهْطَانِيَا
لِيَايَعُولُ وَأَنْتَ قَرْدُ زَمَانِيَا
يَخْمِي مَفَاخِرَهَا وَعِزَّةَ شَانِيَا
فِي الْكِبَرِ الْمُرُوثِ عَنْ «ذِيَانِيَا»

(١) اسم التابعة الذيباني

هَذِي عُكَاطُ وَسُوفَهَا مَعْقُودَةٌ «وَالشَّيْخُ» رَاحَتُهُ عَلَى مِيزَانِهَا
لَوْ لَمْ تَجِدْهُ الضَّادُ حُجَّتْهَا لَمَّا نَقَلْتُ عُكَاطُ إِلَى حَمِي مِطْرَانِهَا^(١)

وقال حافظ بك ابراهيم في حفلة كلية البنات الاميركية

يخاطب الاميركيين

أَيُّ رِجَالِ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ هَؤُلَاءِ قَدْ شَأَوْتُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ الرِّجَالَا^(٢)
وَفَهِمْتُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ فَأَرْصَدْتُمْ عَلَيْهَا لِكُلِّ نَفْسٍ كَمَا لَا^(٣)
وَحَرَضْتُمْ عَلَى الْعُقُولِ فَحَرَرْتُمْ ثُمَّ عَصِيرًا يَرَاهُ قَوْمٌ حَلَالًا
وَقَدَّرْتُمْ دَقِيقَةَ الْعِلْمِ حِرْصًا وَسَوَاكُمْ لَا يَقْدُرُ الْأَجْيَالَا^(٤)
كَمْ أَحَالُوا عَلَى غَدٍ كُلِّ أَمْرٍ وَالْمُحِيلُ الْأُمُورَ يَنْبَغِي الْمُحَالَا^(٥)
قَدْ تَعَدَّيْتُمْ الْمُنِيَّةَ حَتَّى هُمْ أَنْ يَغْلِبَ الْبَقَاءُ الزَّوَالَا^(٦)
وَطَوَّيْتُمْ فَرَاسِخَ الْأَرْضِ طَيًّا وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْهَوَاءِ اخْتِيَالَا
ثُمَّ سَخَّرْتُمْ الرِّيَّاحَ فَسُسْتُمْ حَيْثُ شِئْتُمْ جُنُوبَهَا وَالشِّمَالَا
تُسْرِجُونَ الْهَوَاءَ إِنْ رُمْتُمْ السَّيِّ رَوِي الْأَرْضُ مَنْ يَشْدُ الرِّجَالَا^(٧)
وَتَخَذْتُمْ مَوْجَ الْأَثِيرِ بَرِيدًا حِينَ خَلْتُمْ أَنْ الْبُرُوقَ كَسَالَا^(٨)

(١) اي الى مدرسة الحكمة (٢) شأوتهم سبقتم (٣) ارصدتم اعددتهم

(٤) قدرتم عظمتم (٥) احاله عليه صرفه اليه او جعله مقصوراً عليه مطلوباً به

(٦) تحداه باراه في فعل ونازعه الغلبة (٧) شد الرحال اوثقها وقواها وهو كتابة

عن السفر (٨) الاثير الفلك التاسع

ثُمَّ حَادَثْتُمْ أَلَكَلَامَ مَعَ النِّجْمِ فَحَمَلْتُمْ أَلشَّمَاعَ مَقَالَا
 وَمَحَا «فُورْدُ» آيَةَ أَلشَّيِّ حَتَّى شَرَعَ أَلنَّاسُ يَنْذُونِ أَلْعَمَالَا
 وَأَنْتَرَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَظْهَرُ أَلْأَرْضِ أَوْ بَاطِنُهَا أَلْمُحَبِّ مَالَا
 وَأَقَمْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحًا تَنْطَحُ أَلشُّجْبُ شَامِخَاتٍ طَوَالَا
 وَغَرَسْتُمْ لِلْعِلْمِ رَوْضًا أَيْنِقًا فَوْقَ دُنْيَا أَلْوَرَى يَبْدُ أَلظَّلَالَا
 وَحَلَلْتُمْ بِأَرْضِنَا فَعَرَفْنَا كَيْفَ تُنُونُ بَيْنَنَا أَلْأَطْقَالَا
 وَرَأَيْنَا أَلْبَنَاتِ كَيْفَ يُتَّقَفْنَ يَعْلَمُ بِرَيْدُهُنَّ جَمَالَا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرَ فِي حِمَى أَللَّهِ تُنِتُ أَلْأَبْطَالَا
 وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عِلْمًا وَوُثْبًا إِلَى أَلْعُلَى وَرِضَالَا
 قَدْ نَفَضْنَا عَنَّا أَلْكَرَى وَأَبْتَدَرْنَا فُرْصَ أَلْعِيشِ وَأَنْتَقَلَا أَنْتَقَالَا^(١)
 وَعَلَيْنَا بِأَنَّ غَفْلَةً يَوْمٍ تَحْرِمُ أَلْمَرْءَ سَعِيَهُ أَحْوَالَا^(٢)
 فَشَقَقْنَا إِلَى أَلْحَيَاةِ طَرِيقًا وَأَصْبْنَا عَلَى أَلرِّحَامِ مَجَالَا
 وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ «فُؤَادِ» وَرَفَعْنَا بِعَهْدِهِ بَمَثَالَا
 قَدْ أَبَى أَللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى أَلنَّاسِ وَإِنْ ضَاقَتِ أَلْأُجُوهُ عِيَالَا



الباب الثاني عشر

في التعازي والمرثي

من مرثاة لبهاء الدين زهير يرثي بها بعض اودائه

نَهاكَ عَنِ الْفَوَايِدِ مَا نَهاكَ وَذُفَّتَ مِنَ الصَّبَابَةِ مَا كَفَاكَ
وَطَالَ سُراكَ^(١) فِي لَيْلِ التَّصَايِي وَقَدْ أَصْبَحْتَ لَمْ تَحْمَدْ سُراكَ
فَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي وَقُلْ لِي إِنْ جَزَعْتَ فَاَعْسَاكَ
أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْراً طَوِيلاً وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
عَهْدُكَ^(٢) لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهاكَ
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَّاكَ^(٣)
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتُ غَدراً فَكُلُّ النَّاسِ تَفْدُرُ مَا خَلَاكَ
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعاً وَلَكِنْ دَهاكَ مِنَ الْيَأْسِ مَا دَهاكَ
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكاكَ
لَقَدْ حَكَمْتُ بِفِرْقَتَيِ اللَّيَالِي وَلَمْ يَكْ عَنْ رِضَايَ وَلَا رِضاكَ
فَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَمْفٍ حَالِي وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِداكَ

(١) السرى سيرة عامة الليل (٢) عرفتك (٣) صرفك

أَفْتِشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
 شِمَائِلَكَ أَلْبِلَاحَ وَلَا حِلَاكَ
 وَلَيْسَ بَزَالٍ مَخْتُومًا هُنَاكَ
 وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
 وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
 وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
 وَحَقٌّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
 وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خُطْبِ أَنَاكَ
 وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدِّ تَبَاكِي^(١)
 مَتَى قُلْ لِي رُجُوعَكَ مِنْ نَوَاكَ
 وَأَعْلَمْ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَ
 حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي زُرَاكَ
 فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَهَّكَ
 يَرُفُ مَعَ اللَّسِيمِ عَلَى ذَرَاكَ^(٢)

يَعْرِ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
 وَلَمْ أَرْ فِي سِوَاكَ وَلَا أَرَاهُ
 خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
 لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
 فَوَا أَسْفِي لِحْسَمِكَ كَيْفَ يَبْلَى
 وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي
 تَمُوتُ وَلَا أُمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
 وَيَا خَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ
 أَرَى أَلْبَا كَيْنَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا
 فَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا
 جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ
 فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي
 سَقَاكَ الْغَيْثُ هَتَانَا^(٣) وَإِلَا
 وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي



(١) تكلف البكاء. (٢) الهتان الكثير الانسكاب. (٣) التدرى واداء

المداد ونواحيها ويريد به هنا القبر

ولاي السعادات الحسيني النحوي يرثي صديقاً له

كُلُّ حَيٍّ إِلَى الْفَنَاءِ يُؤُولُ قَرَوْدٌ إِنَّ الْمَقَامَ قَلِيلُ
 نَحْنُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ كُلُّ يَوْمٍ يَتَقَضَّى جِيلٌ وَيَخْذُثُ جِيلٌ^(١)
 وَكَأَنَّا فِي ذَاكَ رُكْبَانُ رَكْبٍ مُزْمِعُ رَحْلَةٍ وَرَكْبٌ قَقُولُ^(٢)
 فَأَلْيَالِي فِي صَرَفِهَا تَتَلَاوُفًا نَا بِنَصْحٍ لَوْ أَنَّهُ مَقْبُولُ
 كَيْفَ أَنْجُو مِنَ الْمُنِيَّةِ وَالشَّيْبِ بِفَوْدِي صَارِمٌ مَسْلُولُ^(٣)
 أَيْنَ رَبُّ الْأَيَّوَانِ بِحَسْرَى أَنْوِشِرْ وَأَنْ مَلِكُ الْمُلُوكِ غَالَتُهُ غُولُ^(٤)
 أَيْنَ مَنْ طَبَّقَتْ صَوَاهِلُهُ الْأَرْضَ وَكَادَتْ لَهَا الْجِبَالُ تَرُولُ
 قَشَعَتُهُمْ رَبِّبُ الْتُونِ عَنِ الْأَرْضِ ضَرِكَا تَقْشَعُ الْفَنَاءِ السُّيُولُ^(٥)
 وَلَقَدْ قَطَعَ الْقُلُوبَ وَأَذْرَى مِنْ مَصُونِ الدُّمُوعِ رُزْزُ جَلِيلُ^(٦)
 نَابَنَا فَهَوَ فِي الْعَيُونِ سُهَادٌ دَائِمٌ وَهُوَ فِي الْقُلُوبِ غَلِيلُ^(٧)
 مَنْ يَكُنْ صَبْرُهُ جَمِيلًا فَمَا صَبْرِي عَلَيْهِ يَا صَاحِبِي جَمِيلُ
 وَعَجِيبُ أَنِّي أَعْزِي مُحِيسِهِ وَحَظِّي مِنَ الْمُصَابِ جَزِيلُ

(١) الجيل الصنف من الناس ويطلق على اهل الزمان الواحد (٢) ازمع

الامر اراده . والقول الراجع من السفر (٣) فودي مثني فود وهو معظم شعر
 الرأس مما يلي الاذن (٤) غاله اهلكه واخذه من حيث لا يدري . والقول
 الحسية (٥) قشعه فرقعه وكشفه . والغناء البالي من ورق الشجر المخاط زبد

السيل (٦) اذرى الدمع صبه (٧) الغليل حرارة الحزن

صلى مصر

« من مرثاة لحافظ ابراهيم »

أَيَا قَبْرُ هَذَا الضَّيْفُ آمَالُ أُمَةٍ . فَكَبَّرَ وَهَلَّلَ . وَأَلْقَ ضَيْفَكَ جَائِيًا
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى فِيكَ مُصْطَفَى شَهِيدَ الْمَلَا فِي زَهْرَةِ الْعُمَرِ ذَاوِيَا^(١)
وَيَا قَبْرُ لَوْ أَنَا قَدَدْنَاهُ وَحْدَهُ . لَكَانَ التَّلَاقِي مِنْ جَوَى الْحُزَنِ شَافِيًا
وَلَكِنْ قَدَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِفَقْدِهِ . وَهَيْهَاتَ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ الدَّهْرُ ثَانِيًا
فَيَا سَائِلِي أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالْوَفَا . وَأَيْنَ الْحَبَى وَالرَّأْيُ وَيَحْكُهَا هِيَا
هَيْنًا لَهُمْ فَلْيَأْمِنُوا كُلَّ صَانِحٍ . قَدَدْنَا سَكْتَ الصَّوْتِ الَّذِي كَانَ عَالِيَا
وَمَاتَ الَّذِي أَحْيَا الشُّعُورَ وَسَاقَهُ . إِلَى الْمَجْدِ فَاسْتَحْيَا النَّفُوسَ الْبَوَاقِيَا
مَدَحْتُكَ لَمَّا كُنْتَ حَيًّا فَلَمْ أَجِدْ . وَإِنِّي أَجِيدُ الْيَوْمَ فِيكَ الْمَرَاثِيَا
يَمُوتُ الْمَدَاوِي لِلنَّفُوسِ وَلَا يَرَى . لَمَّا فِيهِ مِنْ دَاءِ النَّفُوسِ مُدَاوِيَا
شَهِيدَ أَعْلَى مَا زَالَ صَوْتُكَ بَيْنَنَا . يَرِنُ كَمَا قَدْ كَانَ بِالْأَنْسِ دَاوِيَا
يُهِيبُ بِنَا^(٢) هَذَا بِنَاءُ أَقْمَتِهِ . فَلَا تَهْدُمُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُ بَانِيَا
فَرُوحِي فِي هَذَا الْمَقَامِ مُطْلَّةٌ . تُشَاهِدُكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ بَالِيَا
فَلَا تُحْزِنُونَهَا بِالْخِلَافِ فَإِنِّي . أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي الْخِلَافِ الدَّوَاهِيَا

أَجَلْ أَتَيْهَا الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ إِنَّا
 ثَنَّاؤُكَ مَحْفُوظٌ وَطَيْفُكَ مَائِلٌ
 عَهْدُكَ لَا تَبْكِي وَتُشْكِرُ أَنْ يَرَى
 فَرَحُ خَصِّنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَدٍ
 فَيَا نَيْلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَقَاتِهِ
 وَيَا أَهْلَ مِصْرَ إِنْ جِئْتُمْ مُصَابِكُمْ
 عَلَى الْهَدْيِ مَا ذُئِمْنَا فَتَمَّ أَنْتَ هَانِيَا
 وَصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ وَإِنْ كُنْتَ نَائِيَا
 أَخُو الْبَاسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بَاكِيًا
 تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيَا
 دَمًا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَا نَيْلُ جَارِيَا
 ثَقُوبًا أَنْ نَجْمَ السَّعْدِ قَدْ غَارَ^(١) هَاوِيَا

ومن مرثاة لاسماعيل صبري باشا رثى بها اسماعيل ماهر بك
 القاضي في المحكمة المختلطة

أَنَاعِي مَاهِرٍ لَمْ تَدْرِ مَاذَا أَثَرَتْ مِنَ الشُّجُونِ الْكَامِنَاتِ
 نَعَيْتَ إِلَيَّ أَيَّامًا تَقَضَّتْ بِإِسْمَاعِيلَ غُرًّا صَافِيَاتِ
 أَلَا مَنْ لِلضَّعِيفِ إِذَا تَقَاضَى وَلَمْ يَرِ شَخْصَهُ بَيْنَ الْقَضَاةِ
 وَمَنْ لِلْعَدْلِ إِنْ رَفَعَتْ بُنَاةٌ دَعَائِمُهُ وَلَمْ يَكُ فِي الْبُنَاةِ
 فَمَا لِي وَالْأَنَاءَةُ مِلَاكُ نَفْسِي هَلَيْتُ وَلَمْ تُجَمِّلَنِي أَنَا نِي^(٢)
 وَمَا لِي إِنْ أُرِيتُ بِبَعْضِ صَبْرِ رَأَيْتُ الصَّبْرَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ
 أَمَاهِرُ كُنْتُ فِي مَا مَرَّ أَنْسِي فَمَنْ لِي فِي اللَّيَالِي الْبَاقِيَاتِ
 وَكُنْتُ إِذَا شَكُوتُ تَبَيْتُ وَجَدًا تُرِدُّ مَا يُرِيكَ مِنْ شَكَائِي^(٣)

(١) عرب (٢) المللك قوام الامر . وهلع جزع (٣) ارايه زعجه

وَتَسْأَلُ سَارِي السَّمَاتِ عَنِّي خُؤًا وَالْبُرُوقِ الْوَامِضَاتِ
وَمَنْ يَفْقِدُ شَبِيهَكَ بَيْنَكَ دُنْيَا تَوَلَّتْ بِالْمُودَّةِ وَالْعِقَابِ
كَذَّبْتُكَ لَوْ صَدَقْتُكَ بَعْضُ وَدِّي لَهْدَ جَوَانِبِي صَوْتُ النُّعَاةِ
يُرْغِمِي أَنْ تَقْلُسَ مِنْكَ ظِلٌّ وَقَانِي حِقْبَةً لَفَحَ الْحَيَاةِ^(١)
وَأَنْ نَضَبْتَ خِلَالَ كُنْتُ مِنْهَا أَعْبُ لَدَيْكَ فِي عَذَابِ فُرَاتِ^(٢)
أَخِي مَا حِيلَتِي إِلَّا سَلَامٌ يَزُورُكَ فِي الْمَاءِ وَفِي الْقَدَاةِ
وَالْأَلَمِ أَنْتَرُهُ عَقِيقًا^(٣) عَلَى ذِكْرِي حِلَاكَ الْغَائِبَاتِ
قَضَيْتَ فَكُنْتَ أَسْرَعَنَا مَسِيرًا إِلَى غُرَفِ الْجَنَانِ الْمَالِيَاتِ

« وله من مرثاة يعزي بها سابا باشا عن فقد ولده فريد »

سَابَا أَتَقَرُّ إِلَهَ وَخَلَّ الْأَسَى لِجَاهِلٍ يُعْذَرُ فِي جَهْلِهِ
لَا تَكْثُرُ بِالرُّزْءِ وَأَنْهَضَ بِهِ فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ فِي حَبْلِهِ
مِثْلَكَ مَنْ يَلْجَأُ إِنْ رَاعَهُ يَوْمٌ بِمَكْرُوهِهْ إِنْ عَشِيهِ
قَضَى فَرِيدٌ وَهُوَ غَضُّ الصَّبَا وَخَلَفَ الْحَسْرَةَ فِي أَهْلِهِ
وَقَابَلْتُهُ فِي الْجَنَانِ الْعُلَى مَلَانِكَ لِلَّهِ فِي شَكْلِهِ
وَاهَا لَهُ مِنْ غُصْنٍ مَا نَمَّا حَتَّى ذَوَى وَاجْتَثَ مِنْ أَصْلِهِ^(٤)

(١) تقلص الظل انزوى وانضم ضداً امتد . والحقبة المدة . من الدهر . واللفح

الاحراق (٢) نضب غار في الارض وذهب . وعبَّ شرب . والفُرَات العذب

جداً (٣) اي احمر كالعقيق (٤) ذوى ذبل . واجتث الشجر قطعه واقتلعه . من اصله

سَابَا أَبَاكَ لَكِنْ كَالْحَكِيمِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُطْعَنَ فِي نُتْلِهِ^(١)
وَأَصِيرَ فَكَمْ مِنْ جَزَعٍ آكَلَ
فَالْتَيْتُ لَا تُنْسِيهِ أَحْزَانُهُ مِنْ صِحَّةِ الْمَرْءِ وَمِنْ فَضْلِهِ
مَقَامُهُ إِنْ ضَمِ^(٢) فِي شَيْلِهِ

« ومن قصيدة لخليل مطران يعرّبه بها أيضاً عن ولده »

مَا فِي الْأَسَى مِنْ تَقَتِّ الْكَدِ مِثْلُ أَسَى وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كَمْ بَطَلَ عَاشَ وَهُوَ ذُو صَيْدٍ فَرَدَّهُ الْكُلُّ غَيْرَ ذِي صَيْدٍ^(٣)
أَهْوَنُ مِنْ رُزْئِهِ عَلَيْهِ أَدَى كِفَاحُ جَيْشٍ أَوْ مُلْتَقَى أَسَدٍ
سَابَا لَكَ اللَّهُ وَهُوَ الْطَفُّ مَنْ يَأْسُو^(٤) جَرِيحاً وَأَنْتَ ذُو رَشَدٍ
إِنَّ قُلُوباً مُحِيطَةً بِكَ مِنْ كَرَامَةِ سَاهَمَتِكَ^(٥) فِي الْكَدِ
لَهْنِي عَلَى ذَلِكَ الْحَبِيبِ ذَوِي مُنْهَصِرِ الْفُضْرِ لَمْ يُنَلْ يَدِ
فِي عِزِّ مُلْكِ الصَّبَا وَحَاشِيَةِ مِنْ غُرِّ آمَالِهِ بِلَا عَدَدٍ

وقال الياس بك فياض يرثي « فتحي وصادقاً » الطيارين

العثمانيين في حفلة أقيمت لهما في يروت

رُوحِي فَقِيدَتَنَا السَّلَامُ عَلَيْكُمَا أَبَدًا جَوَانِحُنَا تَحْنُ إِلَيْكُمَا
رَوْعَتُنَا بَعْدَ السُّرُورِ قُلُوبُنَا اللَّهُ فِي فَرْحٍ تَحَوَّلَ مَاتَمَا
نَبَأَ أَمْضٍ^(٦) الشَّامَ وَقَعَ مُصَابِهِ وَغَدًا يَفِيضُ النَّيْلُ مِنْهُ تَالَمَا

(١) النبل الفضل (٢) ظلم (٣) الكل فقدان الولد والصيد الكبيراء

(٤) أساه عزاه (٥) شاركك (٦) اوجع واحرق

فَبَدَّلِي مِنْهُ أَلْهَاءَ مُنَظَّمَا
 حَمَلَا إِلَيْكَ مَعَ الصَّبَارُوحَيْنِمَا
 ذِكْرًا وَحَسْبُ الْمَجْدِ أَنْ خُلِدْتُمَا
 جَزَعًا تُسَائِلُ أَيُّ طَيْرٍ أَنْتُمَا
 فَتَدَّتْ تَصِيحُ وَتَسْتَفِثُ الْأَنْجُمَا
 حَتَّى رَأَيْنَا مَشْهَدًا مَا أَعْظَمَا
 عَطَفَ الْهَلَالُ عَلَى الْهَلَالِ مُسَلِّمًا^(١)
 وَفَتَحْنَا فَتْحًا أَجَلُ وَأَكْرَمَا
 فَاخْتَرْتُمَا كَيْدَ أَلْمَلَى قَبْرَيْنِكُمَا
 مَنْ قَالَ إِنَّا أُمَّةٌ لَنْ تُقَدِّمَنَا
 لَا يَسْتَطِيعُ مَعَ الشُّعُوبِ تَقَدُّمًا
 عَهْدًا سَيْئَسِي عَهْدَهُ أَلْمُتَصِّرَمَا
 كَانَتْ تَرَاقُ عَلَى الْمَظَالِمِ قَبْلَمَا
 وَلِيَمْحُ طَيْبُ دِمَائِنَا ذَلِكَ الْأَدَمَا
 أَقْدَمْتُمَا لِنَتَّالَ مَا قَدْ نَلْتُمَا
 عِظَةُ الزَّمَانِ فَهَلْ لَنَا أَنْ نَعْلَمَا
 هَيْهَاتَ يَعْرِفُ أَنْ يَعِيشَ مُكْرَمًا

يَا مِصْرُ قَدْ صُنِفَ الشَّاءُ مُنَظَّمًا^(٢)
 إِنْ حَالَ صَرْفُ الدَّهْرِ دُونَهُمَا فَقَدْ
 يَا أَيُّهَا الْبَطْلَانِ حَسْبُكُمَا أَلْمَلَى
 حَلَقْتُمَا حَتَّى أَلْتُورُ جَوَافِلُ
 وَرَحِمْتُمَا يَا لِمَنَاكِ زَحْمَةٌ
 وَعَلَوْتُمَا وَعَلَوْتُمَا وَعَلَوْتُمَا
 قَمَرَانِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ تَلَاقِيَا
 أَحْرَزْتُمَا لِلْجَيْشِ فَخْرًا بَاقِيَا
 وَأَيُّنَا مَوْتًا كَمَا مَاتَ أَلْوَرَى
 فَخِي أَطْلُ مِنَ أَلْمَلَاءِ مُكْذِبَا
 مَنْ قَالَ إِنْ أَلْشَّرَقُ شَعْبٌ غَافِلُ
 فَالْيَوْمَ قَدْ جَدَدْتُمَا لِسَابِيَه
 وَأَرْقُتُمَا لِلْعِلْمِ أَكْرَمَ نُهْجَةٍ
 فَلْيَنْدُ مَوْتُكُمَا حَيَاةَ شُعُوبِنَا
 وَتَقْدِيرُ مَنْ عَلَى أَلْمَعَالِي مِثْلَمَا
 هَذَا هُوَ الدَّرْسُ أَلْمُفِيدُ وَهَذِهِ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ أَنْ يَمُوتَ مُكْرَمًا

(١) يشير الى الخفلة التي اعدتها مصر لاستقبالها (٢) يريد الهلال العماني والقمري

رثاء سعد باشا زغلول

« قال خليل بك مطران من قصيدة »

لِيَنْتَشِرَ بَعْدَ طَيِّدِ ذَلِكَ الْعَلَمُ وَلِيَنْتَشِرَ أَمَلٌ يَكْبُو بِهِ الْأَلَمُ
لَا خَطْبَ أَكْبَرُ مِمَّا رَاعَ اثْبَتَكُمْ لَكِنْ أُعِيدُكُمْ أَنْ تَضَعُفَ الْهَمُّ
ذَلِكَ أَلِوَاهُ الَّذِي لَفَّ الرِّيسُ بِهِ زِيدَتْ لَهُ الْيَوْمَ فِي أَعْنَاقِنَا ذِمُّ
وَعَادَ أَوَّلِي بِإِجْلَالٍ وَتَقْدِيرَةٍ مِنْ حَيْثُ أُدْرِجَ فِيهِ الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
لَا تَأْخُذِ الْغَنَمُ الْكُبْرَى مَاخِذَهَا مِنْكُمْ وَإِنْ صَغُرَتْ تَلْقَاءُهَا الْغَنَمُ
أَمَاتَ سَعْدٌ وَرُوحُ الشَّعْبِ بَاقِيَةٌ وَالرَّأْيُ مُوْتَلَفٌ وَالشَّمْلُ مُلْتَمِمْ
وَالرَّمْزُ نَاقِيٌ وَذَلِكَ الصَّوْتُ نَسَمُهُ مَهْمَا تَنَوَّعَتِ الْأَصْوَاتُ وَالْكَلِمُ
يَا مَصْرُ خُطْبِكَ خُطْبُ الشَّرْقِ أَجْمَعِ عَلَى اخْتِلَافِ بَيْنِهِ وَالْأَسَى عَمُّ
تَلْجَلَجَ الْبَرْقُ إِذْ طَارَ النَّعِيُّ بِهِ وَاسْتَشْعَرَتْ وَفَرَهُ الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ^(١)
لَمْ تَشْهَدْ الْعَرَبُ يَوْمًا فِي فَوَاحِيهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ مَشْهُودًا وَلَا الْعَجَمُ
قَضَى الَّذِي كَانَ نَادِيهِ وَمَحْضَرُهُ قِلَادَةَ لِكْرَامِ النَّاسِ تَنْظِمُ
إِذَا تَحَدَّثَ أَصْنَتْ كُلُّ جَارِحَةٍ إِلَيْهِ لَا الْكَذُّ يَنْفِيهَا وَلَا السَّامُ

(١) اي النياق الوحادة وهي مسرعة الخطو . والرسم جمع الرسوم وهي

لناقة التي توتر خفافها في الارض من شدة الوطء

حَدَّثَ عَنْ أَلْبَلَسَ الشَّافِي يَمُرُّ بِهِ عَلَى الْجِرَاحِ قَدْ اسْتَشْرَتْ فَتَلْتَمِ
حَدَّثَ عَنْ أَلْبَلَلِ الْغَرِيدِ مَخْتَلِفًا بَيْنَ الْأَفَانِينَ مِنْ تَطْرِيهِ النَّعْمِ
يَسُوسُ كُلًّا بِأَجْدَى مَا يَسَاسُ بِهِ وَيَبْقَى جُهْدُهُ أَنْ تُقَطَعَ الرَّجْمُ
وَمَا يَفُضُّ عَنْ الْمَلُوفِ نَازِرُهُ وَمَا بِهِ عَنْ نِدَاءِ الْمُعْظِي صَمَّ^(١)
مَنْ لِلرُّقِيِّ بِنَهَاضٍ كَنَهَضِهِ مَاضِي الْعَزِيمَةِ لَا تَكْبُورُهُ قَدَمُ
تُرْعَى لَهُ حُرْمَةٌ فِي كُلِّ مَنَزَلَةٍ سَمَا إِلَيْهَا وَتُرْعَى عِنْدَهُ الْحُرْمُ
أَعْدَاءُ أَوْطَانِهِ أَعْدَاؤُهُ جَهِلُوا عَلَيْهِ فِي وَقَفَاتِ الصِّدْقِ أَوْ حَلُمُوا
إِنْ عَاهَدُوهُ بِإِنْصَافٍ فَذَلِكَ وَإِنْ أَبَوْا فَمَا أَمْرُهُ مِنْ أَمْرِهِمْ أَمَّ^(٢)
تَضُّهُ وَالرِّفَاقَ الْمُتَقِدِّينَ بِهِ عُرَى يَبْقِينَ مَتِينَةً لَيْسَ تَنْقَصُ
وَمَا صَحَابَتُهُ إِلَّا شُيُوخُ نَهَى

إِنْ سُوهُوا فِي مَجَالَاتٍ أَلْتَلَى سَهْمُوا^(٣)

وَفِيَّةٌ نُجِبُ صِيَابَةٌ غُلِبُ^(٤) وَأَفُونُ إِنْ وَعَدُوا مَاضُونَ إِنْ عَزُمُوا
بَرُّوا بِمَا أَقْسَمُوا طَوْعًا لَا نَفْسِهِمْ فَكَانَ آيَةً فَتَحَ ذَلِكَ أَلْتَسَمُ
سَادَرُوا بِأَمْرِيهِ وَالْحَقُّ رَانِدُهُمْ فَأَيُّرَى وَكُلُّ فِيهِمْ وَلَا يَرَمُ^(٥)
رَأَوْا بِهِ أَلْتَلَّ الْأَعْلَى بِأَبْعَدَمَا سَمَتْ إِلَى شَأُوهِ الْأَبْطَالُ وَأُجْهِمُ^(٦)

(١) اعتفاه اتاه يطلب معروفه (٢) قريب (٣) ساهمه قارعه ويريد المساهمة
هنا السابقة وسهمه غلبه في المساهمة (٤) صيابة القوم خيارهم والغلب جمع الاعلب
وهو الاسد حرك عينه هنا للضرورة (٥) الوكل العاجز الذي يكل موره الى غيره
والبرم الضجر (٦) جمع البهمة وهو الشجاع الذي لا يدرى من اين يوتى لشدة بأسه

أَعْظَمَ بِهِ إِذْ تَوَلَّى الْأَمْرَ أَجْمَعَهُ وَرَأَيْتُ فِيهِ مَاضٍ مَا بِهِ ثَلَمٌ
وَيَوْمَ رُدَّتْ عَلَى الدُّشُورِ هَيْئَتُهُ بِفَضْلِهِ وَاسْتَعَادَتْ شَأْنَهَا النُّظَمُ
دَعَاهُ دَاعِيهِ بِالشَّيْخِ الْجَلِيلِ وَمَا وَاللَّهُ أَدْرَكَهُ فِي الْهِمَّةِ الْهَرَمُ
بَيْنَنَا بِهِ سَقَمٌ يُوهِي عَزِيمَتَهُ إِذَا الْعَزِيمَةُ صَحَّتْ وَأَنْفَى السَّقَمُ
بِالْأَمْسِ أُمَّتُهُ مِنْ بَيْنِهِ اتَّخَذَتْ بَيْنَنَا بِهِ تَلْقَى آتَا وَتَمْتَصِمُ
وَالْيَوْمَ شَادَتْ لَهُ قَبْرًا بِجَانِبِهِ فَجَاوَرَ الرُّوضَةَ الْقُدْسِيَّةَ الْحَرَمُ
تَنَافَسَ النَّسَائِبُونَ الْقَائِمُونَ بِهِ

حَتَّى أَزْدَرَى كُلَّ صَرَحٍ ذَلِكَ الرَّجَمُ^(١)

وَلَوْ أَطَاعُوا هَوَاهُمْ فِي تَجَلَّتِهِ لَكَانَ دُونَ الَّذِي يَبْنُونَهُ الْهَرَمُ
مَا مِنْ عَظِيمٍ سِوَى سَعْدٍ أُتِيحَ لَهُ فِي النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا ذَلِكَ الْعِظَمُ

وقال اشاره عبدالله الحوري « صاحب البرق » من قصيدة في رثائه

قَالُوا دَهَتْ مِصْرَ دَهْيًا؛ فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ غَضَّ النَّيْلُ أَمْ هَلْ زُلْزِلَ الْهَرَمُ
قَالُوا أَشَدُّ وَأَدَهَى قُلْتُ وَيَحْكُمُ إِذَا لَقْدَمَاتِ سَعْدٍ وَأَنْطَوَى الْعِلْمُ
لَمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْعَرَبَ قَاطِبَةٌ تَيْتَمُّوا كَانَ زَغْلُولُ آبَا لَهُمْ
لَمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْعَرَبَ مُضْطَرِبٌ لَمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الشَّرْقَ مُضْطَرِمٌ
عَذَرْتُكُمْ كَانَ مِلًّا أَلْكَونَ صَاحِبَكُمْ فَكَيْفَ تَمَلُّ أُذُنَ السَّامِعِ الْكَلِمُ

جَاءَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ فَمَا لَا مَوْءَا
وَجَاءَ سَعْدُ فَشَلَّ الشَّرْقُ مُلْتَمِمْ
يَطْوِي الضَّلُوعَ عَلَى جُرْحٍ إِذَا نَكَبَتْ
إِحْدَى حَوَاشِيهِ عَمَّ الْمَشْرِقُ الْأَلَمُ
كَانَ سِلْكَاً مِنَ الْكَهْرَابِ يُنْسِكُهُ
سَعْدٌ عَلَى طَرَفِهِ الْغَرْبُ وَالْجَمُّ
إِنْ أَنْ أَنْتَ لَهُ بَفْدَادُ وَأَنْخَلَتْ
لَهُ دِمَشْقُ وَرَاحَ الْبَيْتُ يَلْتَطِمُ
الْقَائِلُ الْحَقُّ لَا تُشْنَى عَزَائِمُهُ
وَالْوَاحِدُ الْقَرْدُ فِي أَثْوَابِهِ أُمُّ
رِجَالٍ مِصْرٍ شَفِيعِي إِنْ عَتَبْتُكُمْ
أَنْ الْمَحَبَّ لَدَيْكُمْ لَيْسَ يُتَمُّ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي تَحْزِينِكُمْ
أَنْ تَنْصُرُوا الْخَصْمَ وَهُوَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ
تَوَحَّدُوا بِأَسْمِ مِصْرٍ فِي تَجَهُّبِهَا
وَطَالِعُوا ثَغَرَ مِصْرٍ كَيْفَ يَنْتَسِمُ
سَعْدٌ أَرَادَكُمْ حِلْفًا فَلَا قُسِمَتْ
أَجْزَاؤُكُمْ حُبُّ مِصْرٍ لَيْسَ يَنْتَقِسِمُ

أَوْطَانُكُمْ وَهِيَ أَعْرَاضُ مُطَهَّرَةٌ
 فَخَيَّرُوا «الْقَوْمَ» عَنْهَا إِنَّهَا حَرَمٌ
 وَلَقَيْنُونَا جِهَادَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا
 (فَإِنْ أَمَرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمُّ^(١))
 مَنْ مُبْلَغٌ مِصْرَ عَنَّا مَا نُكَادُهُ
 إِنَّ الرُّؤْبَةَ فِيمَا بَيْنَنَا ذِمَّةٌ
 دُكَّتَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُقْصَمْ عُرَى لَهَا
 هُمْ نَحْنُ إِنْ دُرِيتْ يَوْمًا وَنَحْنُ هُمْ
 فِي قَلْبِ لُبْنَانَ جُرْحٌ لَا أُنْدِمَالَهُ
 لَكِنَّهُ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ يَعْتَصِمُ



الباب الثالث عشر

﴿ في اللغة ﴾

مقتطف من كتاب نعمة الرائد وشرعة الوارد

في العلم والعلماء

يُقَالُ : فَلَانٌ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ . وَمِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ . وَمِنْ أُولَى الْعِرْفَانِ وَأَهْلِ التَّحْصِيلِ .

وَأَنَّهُ لَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ وَمِنْ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ . وَمِنْ ذَوِي الْبَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ وَذَوِي الْعِلْمِ الْوَاسِعِ .

وَهُوَ عَالِمٌ أُمِّيٌّ وَعَالِمٌ عَصْرِيٌّ وَأَوْحَدُ زَمَانِيٍّ
وَهُوَ قُطْبُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَعَمِيدُهُمْ وَرَئِيسُهُمْ وَإِمَامُهُمْ
وَتَقُولُ : فَلَانٌ بَعْرُ الْعِلْمِ الزَّائِرُ وَبَدْرُ الْعُلَمَاءِ الزَّاهِرُ ، وَالَّذِي يُدْجَعُ

إِلَيْهِ فِي الْمُسْكَلاتِ وَيُسْتَضَحُّ بِضَوْئِهِ فِي الْمُغْضَلَاتِ .

وَيُقَالُ : تَضَلَّعَ فَلَانٌ مِنَ الْعِلْمِ وَتَبَجَّرَ فِيهِ وَاسْتَبَجَرَ وَتَعَمَّقَ وَتَبَسَّطَ وَأَوْغَلَ فِي الْبَحْثِ وَأَمَعَنَ فِي التَّنْقِيبِ وَتَقَصَّى فِي التَّدْقِيقِ .

وَقَدْ اسْتَبْطَنَ دَخَائِلَ الْعِلْمِ وَاسْتَجَلَى غَوَامِضَهُ وَخَاضَ عُجَابَهُ وَغَاصَ عَلَى أَسْرَارِهِ وَأَحْصَى مَسَائِلَهُ وَاسْتَقْرَى دَقَائِقَهُ وَاسْتَخْرَجَ مُجَبَّاتِهِ وَمَخَصَّصَ حَقَائِقَهُ وَوَقَفَ عَلَى أَغْرَاضِهِ وَجَمَعَ أَشْنَاتَهُ وَاسْتَقَصَى أَطْرَافَهُ وَأَحَاطَ بِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ

وَهُوَ حُجَّةٌ فِي عِلْمٍ كَذَا وَهُوَ عَالِمٌ فِيهِ وَوَاحِدٌ فِيهِ . وَقَدْ انْتَهَتْ إِلَيْهِ
الرَّئِيسَةُ فِي عِلْمٍ كَذَا . وَهُوَ فِيهِ رَاسِخٌ الْقَدَمُ طَوِيلُ الْبَاعِ غَزِيرُ الْمَادَّةِ
وَاسِعُ الْإِطْلَاعِ . وَإِنَّهُ لَبَحْرٌ لَا يُسْبَرُ غَوْزُهُ

وَيُقَالُ : فَلَانٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَمَنْ انْقَطَعَ لَطَلَبِهِ وَتَحَلَّى لَهُ وَقَصَرَ
عَلَيْهِ نَفْسَهُ وَوَقَفَ عَلَيْهِ جَهْدُهُ وَأَتَقَى أَوْقَاتَهُ عَلَى طَلَبِهِ

وَيُقَالُ : قَدْ حَذَقَ عِلْمَ كَذَا وَمَهَرَ فِيهِ وَأَتَقَنَهُ وَأَحْكَمَهُ وَمَلَكَ عِنَانَهُ
وَمَلَكَ قِيَادَهُ وَتَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَوْضِعًا جَلِيلًا . وَأَصْبَحَ مِنْ يَشَارِ
إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ

وَتَقُولُ : طَلَبْتُ الْعِلْمَ عَلَى فَلَانٍ وَدَرَسْتُهُ عَلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ عَنْهُ وَأَقْبَسْتُهُ
عَنْهُ وَتَلَقَّيْتُهُ عَنْهُ وَتَلَفَّيْتُهُ مِنْهُ . وَقَدْ تَأَدَّبْتُ عَلَيْهِ وَتَعَرَّجْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا خَرِيجُهُ
وَيُقَالُ : شَدَا فَلَانٌ فِي عِلْمٍ كَذَا وَشَدَا شَيْئًا مِنْ الْعِلْمِ إِذَا أَخَذَ
طَرَفًا مِنْهُ

وَتَقُولُ : فَلَانٌ فَتُهُ عِلْمٌ كَذَا إِذَا كَانَ الْعِلْمُ الَّذِي أَنْصَرَفَ إِلَيْهِ
وَأَحْكَمَهُ . وَهُوَ مُشَارِكٌ فِي عِلْمٍ كَذَا إِذَا كَانَ لَهُ إِطْلَاعٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْ
مَبَاحِثِهِ وَأَصُولِهِ عِلَاقَةٌ عَلَى فِيهِ الْمُخْصُوصِ بِهِ . وَلَهُ إِنْجَامٌ بِقَنٍ كَذَا وَهُوَ
الْعِلْمُ الْيَسِيرُ بِشَيْءٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِهِ .

في التأليف

تَقُولُ : هَذَا كِتَابٌ غَزِيرُ الْمَادَّةِ جَزِيلُ الْمَبَاحِثِ جَمُّ الْقَوَائِدِ سَدِيدُ
الْمَنْهَجِ قَرِيبُ التَّنَالِ سَهْلُ الْأَسْلُوبِ عَذْبُ الْمَوْرِدِ . وَقَدْ تَصَفَّحْتُ مُؤَلَّفَ
كَذَا فَإِذَا هُوَ كِتَابٌ أَرِيقٌ حَسَنُ الدِّيْبَاجَةِ مُحْكَمُ الْوَضْعِ مُتَنَاسِقُ التَّبْوِيبِ

وَقَدْ طَوِيَ عَلَى كَذَا بَابًا وَكُسِرَ عَلَى كَذَا بَابًا

وَهُوَ كِتَابٌ فَرِيدٌ فِي قِتْسِهِ جَامِعٌ لِشَيْتِ الْفَوَائِدِ وَمَنْشُورٌ الْمَسَائِلِ .
قَدْ اسْتَوْعَبَ أَصُولَ هَذَا الْعِلْمِ وَأَحَاطَ بِفُرُوعِهِ . لَمْ يُصَنَّفْ فِي بَابِهِ أَجْعُ
مِنْهُ وَلَا أَرَصَفُ تَعْدِيًّا . وَقَدْ نَزَّهَ عَنِ التَّعْقِيدِ وَالْإِسْكَالِ وَالْإِبْهَامِ وَاللَّبْسِ
وَالْخَلَلِ وَاللُّغْرِ وَالْخَشْوِ وَالرَّكَاهَةِ

وَتَقُولُ : هَذَا مُؤَلَّفٌ مُخْتَصَرٌ وَجِيزٌ وَمَوْجُزٌ جَزُلٌ التَّعْمِيرُ حَسَنُ التَّفْرِيعِ
بِالْمَسَائِلِ مُتَابِعُ النَّسَقِ . وَقَدْ لَحِظْتَ فِيهِ قَوَاعِدُ الْعِلْمِ أَحْسَنَ تَلْخِصٍ
وَحَرَّاتِ مَسَائِلِهِ أَحْسَنَ تَحْرِيرٍ . وَعَلَيْهِ شَرْحٌ لَطِيفٌ كَافِلٌ بَيِّنَانٍ غَامِضِهِ
وَلِيضَاحٌ مُبْهِمٍ وَتَفْصِيلٌ مُجْتَمِلٌ وَبَسَطٌ مُوجِزٌ وَتَغْرِيبٌ بَعِيدٌ

في الفصاحة

تَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ فَصِيحٌ مُجَبَّرٌ مُهَذَّبٌ اللَّفْظُ مُنْعَقٌ الْبَيَارَةُ مُنْكَمٌ
السَّبْكُ . لَمْ تَعْلُقْ بِهِ رَكَكَةً وَلَا ظِلَّ عَلَيْهِ لِلْإِتِّدَالِ
وَهَذَا كَلَامٌ عَلَيْهِ طَابَعُ الْقَصَاحَةِ وَعَلَيْهِ مِثْمُ الْقَصَاحَةِ وَرَوْنُقُ الْقَصَاحَةِ
وَقَدْ خَلَقَتْ عَلَيْهِ الْقَصَاحَةُ زُخْرُفَهَا . وَقَدْ أَفْرَغَ فِي قَالِبِ الْقَصَاحَةِ وَنَسَجَ
عَلَى مِثْوَالِ الْقَصَاحَةِ وَطَبَعَ عَلَى غِرَارِ الْقَصَاحَةِ
وَتَقُولُ : فَلَانٌ مَطْبُوعٌ عَلَى جَزَالَةِ الْأَلْفَاظِ وَفَحَامَةِ الْأَسَايِبِ . وَهَذَا
كَلَامٌ رَقِيقٌ رَشِيقٌ سَلِسٌ مَسْنُونٌ رَخِيمٌ رَقِيقٌ أَخَوَاشِي حَسَنٌ لَا يَسْجَامُ
عَذَبُ الْمَوْرِدِ سَائِغُ الْمَوْرِدِ يَقَعْلُ بِالْأَلْبَابِ فَضْلُ السَّلَافِ

وَتَقُولُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ : هَذَا كَلَامٌ نَافِرٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَيْهِ جَفْوَةُ الْأَعْرَابِ
وُخْشُونَةُ أَجْلَاهِيَّةِ . وَلِأَنَّهُ لِكَلَامٍ فِجٌّ عَلَى الدُّوْقِ ثَقِيلٌ عَلَى السَّنْعِ ثَقِيلٌ

عَلَى الْأَلِينَةِ . وَإِنَّ تَسْجُجَ الْأَسْمَاعِ وَتَنْبُو عَنْهُ الْأَسْمَاعُ وَتَسْتَكُ مِنْهُ الْأَذَانُ .
 قَدْ تَجَاوَى عَنْ مَصَاجِعِ الرِّقَّةِ وَمَذَاهِبِ السَّلَاسَةِ
 وَتَقُولُ : هَذِهِ لُغَةٌ مَهْجُورَةٌ وَلُغَةٌ وَحْشِيَّةٌ
 وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ رَكِيكٌ سَخِيفٌ سَقِيطٌ مُبْتَذَلٌ عَامِيٌّ الْأَلْفَاظِ
 سُوقِي الْأَلْفَاظِ

وَإِنَّ لِكَلَامِ تَنْفِيهِ الْأَذَانُ وَتَسْجُجِ الْأَذْوَاقِ السَّيِّئَةِ . وَإِنَّ لِمَا يَدُلُّ
 عَلَى خِفَّةِ الْبِضَاعَةِ وَتَرَادُفِ الْمَادَّةِ . وَلِذَا هُوَ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ .
 وَتَقُولُ فِي وَصْفِ الْمُتَكَلِّمِ : رَجُلٌ لَسَنٌ وَمِلْسَانٌ وَمِنْطِقٌ وَمَقْوَةٌ .
 فَصِيحُ اللَّفْظِ فَصِيحُ الْلَهْجَةِ فَصِيحُ الْمَنْطِقِ . طَلِيقُ الْإِسَانِ حَدِيدُ الْإِسَانِ
 ذَلِيقُ الْإِسَانِ ذَرْبُ الْإِسَانِ عَضْبُ الْإِسَانِ . حُرُّ الْمَنْطِقِ حُرُّ الْكَلَامِ . بَيِّنُ
 الْلَهْجَةِ حَسَنُ السَّبْكِ أُنِيقُ اللَّفْظِ سَلِيمُ الْمَلَكَةِ سَلِيمُ الذَّوْقِ لَطِيفُ الذَّوْقِ
 بَصِيرٌ بِاخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ عَلِيمٌ بِمَوَاقِعِ الْكَلِمِ .
 وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : هُوَ رَجُلٌ كَلِيلُ الْإِسَانِ بَطِيءُ الْمَنْطِقِ .
 وَقَدْ احْتَبَسَ لِسَانُهُ عَنِ النَّطْقِ وَأَعْتَمَلَ عَنِ الْكَلَامِ . وَفِي مَنْطِقِهِ حُبْسَةٌ
 وَعَقْلُهُ وَعُقْدَةٌ .

فِي الْبَلَاغَةِ

يُقَالُ : فَلَانٌ قَدْ قَبَضَ عَلَى أَرْمَةِ الْبَلَاغَةِ وَمَلَكَ أَعْنَاقَ الْعَمَائِي
 وَسَخِرَتْ لَهُ الْأَلْفَاظُ وَوُتِيَ فَضْلُ الْخِطَابِ وَأُوتِيَ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَتَوَابِعُ
 الْخِلْمِ . وَهُوَ مِنْ أَمْرَاءِ الْكَلَامِ ، وَإِنْ كَلَامُهُ يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ ،
 وَإِنْ كَلَامُهُ أَخْزَرُ أَوْ أَعَذَبُ وَإِنْ بَيَانُهُ أُنْتَحَرُ أَوْ أَغْرَبُ . وَإِنَّ لَأَيَّةٍ مِنْ

آيَاتِ اللَّهِ فِي بَلَاغَةِ التَّعْبِيرِ .

وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : فَلَنْ عَمِيُّ اللِّسَانِ حَصِرُ اللِّسَانِ كَلِيلُ الدِّهْنِ .
يَلِيدُ الطَّبَعِ مِتُّ الْحَسْرَ جَامِدُ الْقَرِيحَةِ حَامِدُ الْفِكْرَةِ وَهَوَّغْتُ الْكَلَامِ .
سَقِمُ الْأَدَاءُ مُنْخَطَّ عَنْ مَقَامَاتِ الْبَلَاءِ . قَدْ مَلَكَتْ لِسَانَهُ الرُّكَاكَةُ وَمَلَكَ
ذَهَبُهُ الْعَمِي .

في الخطابة

يُقَالُ : فَلَنْ خَطِيبٌ مَضْمَعٌ قَوِيٌّ الْعَارِضَةُ رَجِيبُ السَّجَالِ بَعِيدُ الْغَايَةِ
بَعِيدُ الْأَمَدِ مَضْفُوءُ الْخَاطِرِ سَنَحُ الْقَرِيحَةِ حَسَنُ الْبَيَانِ عَذْبُ الْمَنْطِقِ .
كُنْدِي الصَّوْتِ

وَأِنَّهُ لَسَرِيعُ الْخَاطِرِ حَاضِرُ الدِّهْنِ لَا يَتَلَمَّحُ وَلَا يَتَوَقَّفُ . إِذَا تَكَلَّمَ
مَلَأَ الْأَسْمَاعَ وَالْقُلُوبَ

وَأِنْ فَلَانًا لَمُحَدِّثٌ بِمَا فِي الْقُلُوبِ صَادِقُ الْفِرَاسَةِ بِمَا فِي الصُّمَانِ كَأَنَّهُ
كُوْشِفَ بَعْغِيَّاتِ الصُّدُورِ وَأَطْلَعَ عَلَى مَا تَكُنُّ أَهْنَاءُ الْخَوَارِجِ وَكَأَنَّهُ
يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِتْرِ رَقِيقٍ . وَقَدْ فَجَّرَ اللَّهُ يَتَابِيعَ أَجْنَمَتِهِ عَلَى لِسَانِهِ
وَتَدَقَّقَتْ سُيُورُ الْبَلَاغَةِ عَلَى لِسَانِهِ . إِذَا أَقَاضَ فِي كَلَامِهِ مَسَكٌ عَسِيَّةُ
الْقُلُوبِ وَرَدَّ شَارِدَ الْأَهْوَاءِ وَقَادَ حُرُونَ الشَّهَوَاتِ وَقَوْمٌ زَيْعُ النُّفُوسِ .
وَحَشَعَتْ لَهُ الْأَبْصَارُ وَسَكَنَتِ الْجَوَارِحُ وَخَفَّتِ الْأَقْفِدَةُ

وَيُقَالُ : خَطَبَ فَلَانٌ فِي الْقَوْمِ وَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا . وَقَدْ أَرْتَجَلَ الْخُصْبَةَ
وَأَقْضَبَهَا وَأَبْنَدَهَا إِذَا قَالَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُهَيَّيَهَا

وَيُقَالُ : قَدْ أَطَالَ عِنَانُ الْقَوْلِ وَأَمْتَدَّ بِهِ نَفْسُ الْكَلَامِ .

وَيُقَالُ : صَعِدَ فُلَانٌ الْيَنْبَرَ فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ إِذَا اسْتَقْلَقَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ
وَيُقَالُ فِي الذَّمِّ : فُلَانٌ مُتَشَدِّقٌ ثَرَاءٌ مَهْدَارٌ عَثُ الْمُنْطِقِ تَفَهُ الْكَلَامِ
وَإِنَّهُ لَيَسْلَأُ قَاهُ بِالْهَذَرِ وَيَنْتَطِعُ بِفُضُولِ الْقَوْلِ . إِذَا تَكَلَّمَ أَنْصَرَفَتْ عَنْهُ
الْوُجُوهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ الْقُلُوبُ وَأَنْقَبَضَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ وَسَسِئَتْهُ النَّفُوسُ

في الكتابة والانشاء

يُقَالُ : فُلَانٌ رَشِيقُ اللَّفْظِ مُنْتَقٍ الْعِبَارَةِ بَدِيعُ الْإِنْشَاءِ صَحِيحُ
الدَّرِيَاغَةِ حَسَنُ التَّخْيِيرِ حَسَنُ التَّرْسُلِ
وَهُوَ مِنْ صَاغَةِ الْكَلَامِ . وَإِنَّهُ لَجَيِّدُ السَّبكِ حَسَنُ الصِّيَاغَةِ مَفْضُولُ
الْعِبَارَةِ حُرُّ اللَّفْظِ سَهْلُ الْأَسْلُوبِ مُنْسَجِمُ التَّرَاكِيِبِ مُهْدَبُ الْعِبَارَةِ مَطْبُوعٌ
عَلَى الْيَمَانِ لَطِيفُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخَارِجِ . قَدْ أَتَرَلَتِ الْفَصَاحَةُ عَلَى قَلْبِهِ
وَإِنَّهُ لَيَنْ أَغْزَرَ الْكُتَّابِ مَادَّةً وَأَطْوَلَهُمْ بَاعًا وَأَوْسَعَهُمْ مَجَالًا
وَأَسْرَعَهُمْ خَاطِرًا

وَإِنَّ فُلَانًا لَيَنْ أَكَابِرَ الْكُتَّابِ وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْمُتَرَسِّلِينَ وَمِنْ نُجَبَةِ
الْكِتَابِ الْمُجِيدِينَ . وَهُوَ مُجَلِّي هَذِهِ الْخَلْبَةِ وَهُوَ مُحِيطٌ بِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ
مُسَبِّحٌ فِي ضُرُوبِ الْإِنْشَاءِ . لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ طَرَائِفِ الْكَلَامِ
وَلَطَائِفِهِ وَنَوَادِيرِهِ وَنِكَاتِهِ . مُسَبِّحٌ فِي مَعْرِفَةِ مُفْرَدَاتِ اللَّغَةِ عَارِفٌ بِفَصِيحِيهَا
وَرَكِيكِيهَا وَمَأْنُوسِيهَا وَغَرِيبِيهَا

وَإِنَّهُ يَتَهَدَّدُ كَلَامُهُ وَيُبَالِغُ فِي تَنْتِيجِهِ وَتَضَحِيحِهِ وَتَخْيِيرِهِ وَتَحْيِيرِهِ
وَتَهْذِيبِهِ . لَا تَرَى فِي كَلَامِهِ رِكَازَةً وَلَا عَثَاثَةً وَلَا سَحَابَةً وَلَا قَلَقًا وَلَا
تَعَسُّفًا وَلَا تَكَلُّفًا وَلَا مُنَافَرَةً

وَيُقَالُ فِي النَّهْمِ : فُلَانٌ مِنْ ضَعْفِ الْكِتَابِ سَقِمُ الْبَيَارَةِ سَخِيفُ
السَّكَّامِ . مُتَقَلِّبٌ عَلَى مَوَائِدِ الْكِتَبَةِ مُنْخَطَعٌ عَنْ طَبَقَةِ الْمُجِيدِينَ بَعِيدٌ
عَنْ مَذَاهِبِ الْبَلَاءِ . مُتَبَذِّلُ اللَّفْظِ مُتَبَذِّلُ الْأَرَاكِبِ يَعُومُ حَوْلَ الْمَتَانِي
الْمَطْرُوقَةِ ضَعِيفُ التَّنْذِيرِ . لَمْ يَرْتَضِعْ أَخْلَافَ الْقَصَاحَةِ . وَقَدْ أَلِفَ مَضَاجِعَ
الرَّكَائِكَةِ . جُلُّ بِضَاعَتِهِ مَا يَنْسَحُهُ مِنْ كَلَامِ الْفَصَحَاءِ وَيَنْسَحُهُ مِنَ الْقَطَائِرِ
مُتَقَدِّمِي الْكِتَابِ يُفَرِّغُهُ فِي قَالِبٍ مِنْ أَسْلُوبِهِ تَتَعَاوَرُهُ الرَّكَائِكَةُ وَيُسَوِّهُهُ
الْلَّحْنُ وَلَا يَرْجِعُ إِلَى ذَوْقٍ وَلَا يُسَحِّصُهُ نَقْدٌ .

في الشعر

يُقَالُ : فُلَانٌ شَاعِرٌ مُتَقَنَّتٌ مُفْلِقٌ بَلِيغٌ غَزِيذُ الْمَذْهَبِ بَعِيدُ الْقَايَةِ رَفِيعُ
الطَّبَقَةِ مُتَصَرِّفٌ فِي قُنُونِ الشِّعْرِ . وَهُوَ أَشْعَرُ أَهْلِ عَصْرِهِ . وَهُوَ شَاعِرٌ
بِالطَّبْعِ وَشَاعِرٌ مَطْبُوعٌ رَصِينُ الشِّعْرِ جَيِّدُ النِّظْمِ جَيِّدُ الْعَبَكِ صَمِيمُ
السَّبَكِ مَلِيحُ الدِّيَابَجَةِ حَسَنُ الْوَشْيِ شَانِقُ اللَّفْظِ رَشِيقُ الْمَعْنَى دَقِيقُ
الْمَعْنَى دَقِيقُ الْفِكْرِ لَطِيفُ التَّحِيلِ نَبِيهُ الْأَغْرَاضِ شَرِيفُ الْمَتَانِي وَاضِحُ
الْمَتْنَحِ سَدِيدُ الْمَسْلَكِ . لَيْسَ فِي شِعْرِهِ تَكَلُّفٌ وَلَا تَعَثُّلٌ وَلَا أَرْبَابُكُ
وَلَا تَعْقِيدٌ وَلَا غُمُوضٌ وَلَا أَلْبَاسٌ . وَلَيْسَ فِيهِ حَشْوٌ وَلَا تَوُّ . وَلَا تَرَى
فِي قَوَائِمِهِ قَلَقًا وَلَا ضَعْفًا وَلَا نَفُورًا

وَفُلَانٌ مِنْ حَاكَةِ الشِّعْرِ وَصَافَةِ الشِّعْرِ وَصَافَةُ الْقَرِيضِ وَرَوَّاضِ
الْقَوَائِي . وَإِنَّ لَهُ شِعْرًا كَثِيرَ الطَّلَاوَةِ كَثِيرَ الْأَطَايِبِ وَالْبَلْعِ وَالنَّكْتِ
وَالْبَدَائِعِ وَالْأَطْرَفِ . وَإِنَّ شِعْرَهُ يَتَدَقَّقُ طَبْعًا وَسَلَاسَةً . حَسَنُ الْأَعْطَالِعِ
وَالْمَقَاطِعِ لَطِيفُ الْكِتَابَاتِ بَدِيعُ الْإِسْتِعَارَاتِ

وإنه لبروض القوافي الصعبة ويغوص على المعنى القريب وأثكنة
 النادرة . ولا يزال يأتي بالنت الثاثير والمثل السائر والحكمة اللينة
 والمعنى البديع . وإنه ليترك المعاني ويستنطها ويخترعها ويبتدعها
 وهذا المعنى من مبتكرات فلان ومن بنات أفكاره ومن أبحار
 مخترعاته . وهذا معنى لم يسبق إليه ولم يسبق إليه سابق ولم ينازع فيه
 متنازع ولم يتمثل في لوح خاطر ولم يحكم عليه طائر فكرر
 وإن فلانا لينظم الآلى وينظم العود ويشتف الأنساع ويكر
 الأبواب ويسحر القول ويخطب القلوب

وإن شجرة هو السهل المنتبع القريب البعيد . وإنه لشعر حري
 بأن يكتب على جبهة الدهر ويعلق في كعبة الفجر
 وهذا شعر من فرائد فلان ومن نفاثه وغرره . وهو من حسناته
 الصدودة وبدائعه المشهورة وبراعته الماثورة وأبياته السائرة وقلائده
 المروية .

ويقال : نبغ فلان في الشعر وهو نابغة عصره . وقد جاش الشعر في
 خاطره وجاش في صدره . واستنشأته قصيدة في كذا فأنشأها لي
 وإنه ليرتجل الشعر ويتدعه ويقوله على لبيده وعلى البديع . لا
 يسهر عليه جفنا ولا يكذب فيه طبعاً . وقد قال هذه الأبيات وهي من
 فيض خاطر وفيض القريحة . وإني أرحض منه ذهننا ولا أسرع
 خاطراً ولا أوسع خاطراً

وتقول في الذم : شعر سخي أنظم مهلهل الشعر . وهو من ساقه
 هل الشعر . لا ملكة عنده للنظم . وأيس في سلقته الشعر . وإنه سقيم

الْحَاطِرُ نَاصِبُ الْقَرِيحَةِ حَامِدُ الْبَدِيحَةِ رَثُ الْأَلْقَاطِ قَلْبُ الْأَسَالِيِبِ مُبْتَذَلُ
الْعَمَانِي مُسَوِّشُ الْقَوَائِبِ ضَعِيفُ التَّنْقِدِ كَثِيرُ التَّكْلِيفِ شَدِيدُ التَّعَثُّلِ
وَلَمَّا هُوَ وَزَّانٌ لَا شَاعِرٌ.

في النقد

يُقَالُ : نَقَدْتُ الْكَلَامَ وَأَنْتَقَدْتُهُ وَنَظَرْتُ فِيهِ وَتَبَّتْ فِيهِ وَأَعْمَلْتُ
فِيهِ النَّظَرَ وَكَلَبْتُ فِيهِ النَّظَرَ وَأَنْعَمْتُ فِيهِ النَّظَرَ
وَقُلَانُ نَقَادٌ بَصِيرٌ خَيْرٌ جَهْدٌ وَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ أَهْلِ التَّنْقِدِ وَمِنْ جِهَانِدَةٍ
أَهْلُ الْعِلْمِ وَمِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ النَّافِذَةِ . صَحِيحُ التَّنْقِدِ صَانِبُ الْفِكْرِ
ثَابِتُ الْفِكْرِ ثَابِتُ الرُّوْيَةِ ثَابِتُ النَّظَرِ دَقِيقُ النَّظَرِ صَادِقُ النَّظَرِ بَعِيدُ مَرَمَى
النَّظَرِ ، مُدَقِّقٌ شَدِيدُ التَّنْقِيْبِ دَقِيقُ الْبَحْثِ بَعِيدُ الْقَوْرِ ، يَغُوصُ عَلَى الْحَقَائِقِ
وَيُبَيِّرُ الدَّفَائِنَ وَيَكْشِفُ عَنْ الْقَوَامِضِ . عَارِفٌ بِتَوَارِدِ الْكَلَامِ وَمَصَادِيرِهِ
خَيْرٌ بِمَحَاسِنِهِ وَمَسَاوِيهِ عِلْمٌ بِصَحِيحِهِ وَقَاسِدِهِ
وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ لَا يَثْبُتُ عَلَى التَّنْقِدِ . وَإِنَّ فِيهِ لَمَطْعَنَا وَمَغْمَرًا
وَمَنْقَعًا وَمَأْخِذًا . وَلَمَّا هُوَ مَجَالٌ نَظَرٌ وَمَحَلُّ نَظَرٍ ، وَفِيهِ نَظَرٌ وَفِيهِ مَوْضِعٌ
لِلْقَوْلِ وَمَوْضِعٌ لِلتَّنْقِدِ وَمَوْضِعٌ لِلنَّكِيرِ
وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يُرْزَقْ حَظُّهُ مِنَ التَّنَبُّتِ وَلَمْ يَصُدْرَ مِنْ عِلْمٍ
رَاسِخٍ وَلَمْ يُنْبَلِ عِلْمٌ صَحِيحٌ ، وَلَمَّا هُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَّخَرُّصِ وَضَرْبٌ مِنَ
الْخُطْبِ . بَعِيدٌ عَنْ مَرَمَى السَّدَادِ . وَقَدْ كَانَ الْوَجْهَ أَنْ يُقَالَ كَذَا . وَلَوْ
قِيلَ فِي مَوْضِعِهِ كَذَا لَكَانَ أَسْلَمَ وَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ وَكَانَ هُوَ
الْوَجْهَ وَهُوَ الصَّوَابُ
وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ لَا غَبَارَ عَلَيْهِ وَلَا نَكِيرَ فِيهِ وَلَا وَجْهَ فِيهِ لِلِاعْتِرَاضِ .

وَلَا مُسْتَهَنَّةٌ فِيهِ لِإِظْهِرَ وَلَا مَطْعَنَ فِيهِ لِتَأَيُّزِهِ وَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِ لِأَخْذِهِ وَلَا عَائِبَ
وَلَا مُنْكَرَ وَلَا مُعْتَرِضَ وَلَا مُتَعَقِّبَ وَلَا مُنَاقِشَ وَلَا مُزَيِّفَ وَلَا مُقْسِدَ
وَلَا مُتَنَزِّدَ وَلَا مُسَوِّدَ وَلَا مُحْطَى وَلَا طَائِعَ وَلَا قَادِحَ .

في الجدل

يُقَالُ : فَلَانٌ مَتِينُ الْحُجَّةِ قَوِيُّ الْحُجَّةِ سَدِيدُ الْبُرْهَانِ نَاصِعُ الْبُرْهَانِ
حَاضِرُ الدَّلِيلِ حَسَنُ الْإِسْتِدْلَالِ بَصِيرٌ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ بَصِيرٌ بِاسْتِنْبَاطِ الْأَدِلَّةِ .
وَإِنَّهُ لِنْ مَشَاهِيرِ الْجَدَلَيْنِ وَجَلَّةِ أَهْلِ النَّظَرِ .

وَيُقَالُ : قَدْ أَدْلَى بِحُجَّتِهِ وَصَدَعَ بِحُجَّتِهِ وَأَحْتَجَّ عَلَى خُصْمِهِ بِحُجَّةٍ سَهَاءَ
وَحُجَّةٍ دَائِمَةٍ . وَجَاءَ بِالدَّلِيلِ الْمُنْجِمِ ، وَأَيَّدَ قَوْلَهُ بِالْحُجَجِ الْقَوَائِمِ
وَاللِّبَاتِ النَّوَاصِعِ . وَالْأَدِلَّةِ الْوَامِعِ وَالْبُرَاهِينَ السَّوَاطِعِ . وَاثْبَتَ رَأْيَهُ
بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ وَالْحُجَجِ الْوَالِلَةِ وَاللِّبَاتِ الْمُسْلِمَةِ وَالْحُجَجِ الْمُلْزِمَةِ .
وَأَيَّدَ مَذْهَبَهُ بِشَوَاهِدِ الْمَقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَأَوْرَدَ عَلَى قَوْلِهِ النُّصُوصَ الصَّرِيحَةَ ،
وَوَجَّهَ مِنْ عَهْدَةٍ مَا قَالَهُ وَخَرَجَ مِنْ عَهْدَةٍ مَا أَخَذَ عَلَيْهِ ^(١) . وَقَدْ أَبْكَمَ
خُصْمَهُ وَأَفْجَعَهُ وَقَطَعَهُ وَجَّهَهُ وَقَوَّعَهُ بِالْحَقِّ وَدَحَضَ حُجَّتَهُ وَدَفَعَ قَوْلَهُ
وَزَيَّفَ بُرْهَانَهُ وَرَدَّ حُجَّتَهُ عَلَيْهِ

وَإِنَّهُ سَدِيدُ الْعَارِضَةِ طَوِيلُ النَّفْسِ فِي الْبَحْثِ بَعِيدُ غَوْرِ الْحُجَّةِ
وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : فَلَانٌ ضَعِيفُ الْحُجَّةِ سَقِيمُ الْبُرْهَانِ رَكِيكُ
الْبُرْهَانِ وَاهِنُ الدَّلِيلِ ضَعِيفُ التَّصْيِيرَةِ بَلِيدُ الْفِكْرِ خَامِدُ الذَّهْنِ . وَهَذَا
قَوْلٌ مَدْفُوعٌ وَقَوْلٌ مَرْدُودٌ . وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَقُومُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَلَا تُؤَيِّدُهُ حُجَّةٌ
وَلَا يَثْبُتُ عَلَى النَّظَرِ

وَهَذِهِ حُجَّةٌ وَاهِيَةٌ وَوَاهِنَةٌ ، وَإِنْ حُجَّتَهُ لَأَوْهَى مِنْ بَيِّنِ الْعَتَبُوتِ .

الباب الرابع عشر

في المفات

﴿ وصايا صحية ﴾

- بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي -

١

كلام في البصر

الانسان يدرك بالحواس الظاهرة ما في العالم من الكائنات ويهتدي بها الى معرفة ما يتفهم وما يضره من الموجودات . وذلك يستلزم ان تكون الاعضاء التي تقوم بها هذه الحواس سليمة . ولما كان البصر اكثرها استعمالاً واوفرها نفعا واشدها تأثراً وانفعالاً احببنا ان نورد في هذه التبذة الوجيزة اهم الاحكام الصحية المتعلقة به فنقول

لا يخفى ان البصر الذي ندرك به صور المراتب ومقاديرها وسائر كيفياتها انما يقوم بالعين التي هي ابداع ما ركب الله تعالى في الانسان وذلك بان تنكسر اشعة النور عن سطوح المراتب وتدخل العين من القرنية الشفافة فتترسم صورها في الطبقة المعروفة بالشبكية جريباً على احكام مقررة في الفلسفة الطبيعية وفي علم منافع الاعضاء (الفسيولوجيا) - ليس من غرضنا ان نتعرض لها هنا ولكننا نقصر على بيان فعل النور والالوان بالعين ثم نستطرد الى ذكر القواعد الصحية على قدر ما يقتضيه المقام

اذا تعرض الانسان للنور القوي مدةً اصابته اعراض تتفاوت في الخفة والشدة تبعاً للعمر والاستعداد المرضي وحالة الصحة والمرض والنقص والعادة وغيرها . وتختلف بحسب المادة التي يصدر النور عنها فتنبه الشبكية تنبهاً قوياً

وتنقبض الحدقة ويتقلص الجفنان وينطبقان وتظهر على الوجه علامت الانقباض والاشترار كما يظهر فيمن نظر الى قرص الشمس او انعكست على عينه الاشعة عن مرآة او غشيه سنى البرق ليلاً فحساً بصره . وكثيراً ما يحدث من ذلك سدرٌ وضعف في البصر يبقيان حيناً من الدهر . فاذا كان ذلك حادثاً من النظر الى قرص الشمس انطبعت في العين صورة حمراء مستديرة يراها الراي في جميع الاشياء حواليه ، وقد يكف البصر تماماً اذا اكثرتحديقته في النور القوي اضطراراً او جهلاً كما حدث غير مرة

وقد تحدث اعراض من هذا القبيل لبعض اصحاب الحرف ممن يستعملون النار القوية لصهر المعادن كالصاغة والحدادين ويسبق حدوثها فيهم غالباً التهابات في ملتحة العين والقزحية والشبكية . وقال بوشردا انهم كثيراً ما يصابون بعلّة ازدواج البصر والكمسة والترف في الشبكية وان النور المستمر يبعث الرمذ على انواعه كما يرى في الزجاجين والطباخين . واذا استقصيت احوال الذين يحدقون ببصرهم كثيراً كطلبة العلم والكتبة والمؤلفين والمصورين والنقاشين والجوهريين وصانعي الساعات وسائر الذين يمدنون النظر في الاشياء الدقيقة وجدتهم حسر الابصار من قبل زيادة الانكباب وادمان التحديق فيما تقتضيه صنائعهم من العمل ولاسيا في الليل

وترى امراض العين كثيرة في البلاد الحارة الكثيرة الوهج البيضاء التربة او الرمليتها كداخلية افريقيا ومصر وفي البلاد التي لا ينقطع عنها الثلج وذلك لقوة انكسار النور عنها وشدة الحرارة الواصلة الى العين بالاشعة المنكسرة . وبخلاف ذلك ترى الظلام الدامس يزيد في حسن العين ولكنه يضر بها فتسع حدقتها فاذا فوجئت بالنور حينئذ حسأت ونبت . واذا منع النور عن العين منعاً تاماً اصابها حالة تعرف بالجهر من شأنها تقوية الشعور بالمرئيات في الظلام حتى يصير المصاب بها قادراً على تمييز الاشياء الدقيقة في ظلمة الليل البهيم كما عيذها الصحيح البصر في الضوء الواضح ، ويظهر ذلك في الذين طال حبسهم في

السجون المظلمة وربما آل بهم الامر الى الحسر والكثرة وتعدد الحدة قدداً مستمراً
اما تأثير الالوان في العين فلا يكون مضرًا على الاطلاق ولكن بعضها
نافع في الغاية كالازرق والاخضر وهما اكثر الالوان شيوعاً في الطبيعة واحسن
ما ترتاح اليه وتقر به الابصار قال ابن سينا :

وانفع الالوان للابصار . ا اسوداً او ما كان ذا اخضرار
والبيض والصفر اذا ما تشرق ضرواً فان نورها يفرق
على ان سائر الالوان ولاسيا الحمراء والبنفسجية مضره بالبصر ولاسيا اذا
كانت العين ضعيفة

والعين نفسها لا تكون على قياس واحد من جهة البصر في جميع الافراد
فان بعضهم يتأثرون بالضوء ولو كان قليلاً ولا يطيقون النظر الى الاشياء الدقيقة .
وهذا الخلل يصلح بالزجاجات المسطحة الملونة باللون الازرق او الاخضر وهي
تلائم الناقمين من امراض العين . وبعضهم يكون بصرهم قصيراً لزيادة
تحدب الجليدية (البلورية) وهي احدي الرطوبات المكسرة للنور في العين
فيكون مجتمع الاشعة فيها اقرب مما ينبغي ولذلك لا يبصر اصحاب هذه العلة
الاشياء الا عن قرب وهذا الخلل يسمى بالحسر وهو يصلح بالزجاجات المقعرة
وبعضهم لا يبصرون الاشياء الا عن بعد لان الجليدية فيهم مسطحة فيقع مجتمع
الاشعة ابعد مما يلزم في الحالة الصحية، وهذا الخلل يصلح بالزجاجات المحدبة وهو
من الخصائص المتعلقة بالمر فاكثر ما يرى في الشيخوخ

ويتأثر الصغار بالنور تأثراً زائداً فاذا كان قوياً احصوا بالم شديد يستدل
عليه بالبكاء والاضطراب وقد تهيج ادمعتهم به فيصابون بالحصى والتشنج
الثقيلة . وهذه الاعراض ترى بالخصوص في اولاد ذوي الثروة الذين يتربون في
حجر الترف والنعمة ويتعرضون للسهر في البيوت الفسيحة الكثيرة الانوار .
وكثيراً ما يكف بصر الاطفال الذين يعرضون على النور القوي فجأة . وقد
يصيبهم القمل اي الحول الجانبي اذا كانت اسرته موضوعة تجاه نافذة يدخل

منها الضوء فتتجه ابصارهم اليه فيكون ذلك سبباً لحدوث الخلل المذكور .
وفي كثير من العلل كالالتهابات والحميات وامراض الدماغ يرتاح المريض الى
الظلام فيجب ان يمنع عنه النور القوي ما امكن اجتناباً لما يحدث عنه من
التهيج . على ان بعضاً من العلل الضعيفة كالانيميا والحنازير يلائمها التعرض لنور
الشمس تعرضاً لطيفاً محتملاً

ويجب على طبيب الصحة ان لا يتغافل عن تأثير المزاج في العين فانها تكون
كثيرة الانفعال في اصحاب الامزجة العصبية وضعيفة سهلة التهيج في اصحاب
الامزجة البلغمية (الصفراوية) ومائلة للاحتقانات في اصحاب الامزجة الدمية
ولا ينكر فعل العادة فيمن اعتاد تثبيت نظره في الاشياء الدقيقة وادمان
التحديق اليها بدون اذية كما يرى في الكلبة والنقاشين وغيرهم ممن يتعودون
اعمال البصر منذ صغرهم فيتقوى به تدريجاً حتى يصير قادراً على احتمال ما لا
يحملة غير المعتاد الا بمشقة وخطر وبذلك يمتاز الواحد عن الآخر من اصحاب
الصنعة الواحدة ويظهر فضل المجتهد المواظب على العمل
اما القواعد الصحية التي آثرنا تقريرها فهي :

اولاً - لا يجوز اعمال العينين بعد الاكل ترواً وادمان التحديق بهما ولا سيما
في النور الصناعي الخفيف الذي تكل في العين ويفضي الى شلل الشبكة
وكف البصر . وينبغي لمن يدرس الاشغال البصرية ان ينقطع عنها طلباً للراحة
كل ساعتين مرة مسرّحاً نظره في الفضاء الفسيح مشرفاً على مناظر النبات
الاخضر والجو الازرق وغير ذلك من المناظر الطبيعية النافعة . وينبغي لطلبة
العلم ان لا ينكبوا على المطالعة في الضوء الضعيف وان يتجنبوا وضع الكتاب
وراء ضوء المصباح حذراً من انعكاس اشعته بقوة الى العين وان لا يقربوه من
اعينهم كثيراً بحيث تكون مسافة بعده عنها اقل من ٣٥ او ٣٠ سنتيمتراً

ثانياً - لا يجوز استعمال الآلات التي يقوى بها البصر في النور الصناعي
القوي حذراً من تجمع الاشعة بواسطتها على هيئة مخروط ينغذ العين فيحدث

ضعف البصر على التآدي . ولا يجوز النظر في الادوكة والغرف التي ينفذها
النور منعكساً عن الزجاج الملون بالالوان الصناعية ولاسيا الاحمر والابيض
ويستحب ان يطفئ ضوء المصابيح باغشية زرق او خضر تتركب عليها فتتمنع
وصول اشعتها الى العين رأساً . ويستحسن تلطيف النور بالستائر الخضر توضع
تجاه نوافذ الغرف الكثيرة النور ويفيد فرش هذه الغرف ايضاً ببسط خضر

ثالثاً - كثيراً ما يلعب الهواء بنور المصباح فيضطرب ويرقص وهذا يضر
بالبصر كثيراً فيجب ان يمنع بقدر الامكان ويحتمل الشغل فيه . ومجاري
الهواء اذا اصابت العين فقد تهيج بها الملتحمة فيحدث فيها زكام فيجب ان
يتحاشى الجلوس تجاه النوافذ في مجاري الهواء وكذلك النوم وهي مفتوحة في
ليالي الصيف كما يفعله كثيرون . ولا يحسن الجلوس بقرب ضوء المصباح لان
طبقات الهواء القريبة منه تسخن به كثيراً ولاسيا اذا كان الضوء قوياً فتتهيج
به العين تهيجاً يقضي الى حدوث الرمد

رابعاً - لا يجوز ان يعرض الاطفال بعد ولادتهم للنور فجأة ولا ان
يوضعوا في الغرف الكثيرة النور حذراً من حدوث الاعراض المذكورة آنفاً
وينبغي ان لا يعرضوا على نور المصابيح القوية وان يعرّضوا الضوء اللطيف
شيئاً فشيئاً

خامساً - لا يجوز غسل بالماء البارد والعيان مفتوحتان كما يفعله بعض
الناس ثلاث تهيج به الملتحمة . فاذا غسل الوجه صباحاً بالماء البارد وكانت
العيان صحيحتين يجب اغماض الجفون واذا كانتا متهيجتين اسبب ما او اذا
كانتا مطبقتين بالرّمص يستحسن غسلهما بالماء الفاتر مضافاً اليه قطرات قليلة من
خلاصة زحل . ولا يجوز ترطيبهما بالملاب عند القيام من النوم كما يفعل البعض
لئلا يحدث من ذلك علة في القناة الدمعية . وكذلك لا يجوز فركهما بالاصابع
حذراً من دخول بعض الاهداب الساقطة اليها فتحدث فيها تهيجاً
اما استعمال الزجاج اذا كان البصر احمر او ضعيفاً فلا بأس به ولا سيما اذا

كان هناك هباء يتحامي سقوطه في العين ولكن ينبغي ان تتخلل استعماله قترات
تستريح بها العين وحين لا يكون لاستعماله داع. فتركه اولى وانفع

٢

مجاورة النبات

لا يخفى ان التنفس هو من اعظم اسباب الحياة في الحيوان والنبات جميعاً
لانه به يتهيأ تبادل الغازات ودفع السم. منها المضر بالبيئة واستنشاق الصالح
النافع لقيامها وبقائها. وهو يتم بالحيوان بواسطة الرئتين فانهما تدفعا الحامض
الكربونيك وهو مادة سامة تلتصق في الجسم من احتراق الجواهر الآلية بفعل
الحرارة الحيوية وتستمدان الاكسجين الذي به يتطهر الدم ويصير صالحاً لبناء
الاعضاء وتعويض ما هلك منها بفعل الحياة ويتم في النبات بواسطة الاوراق التي
هي بمثابة الرئتين في الحيوان فتحمله الى عنصره الكربون والاكسجين اما
الكربون فتمثله اعضاؤه غذاء لها واما الاكسجين فتطلقه لانه يضر بها مع انه
العنصر المتوقع عليه تطهير الدم في الحيوان كما سبق

وهذا التحليل انما يتم بفعل اشعة الشمس وبه تحفظ الموازنة في هذا التبادل
الذي هو علة الحياة النباتية والحيوانية ولذلك اذا غابت الشمس يبطل التحليل
المذكور فتطلق عامة النبات حامض الكربونيك ويطلق المائي. منه الاكسجين
والحامض الكربونيك واكسيد الكربون الذي هو اسم من الحامض الكربونيك
يفسد الهواء بالغازين المذكورين فساداً محدوداً يؤدي الى الصداع والدوار
والاغماء واذا اشتد فساد الهواء بها اورث الاختناق كما يحدث في اعقق الآبار
وفي الاماكن التي يوقد فيها الفحم وتغلق منافذها على من فيها. ولذلك لا يجوز
المكث والنوم ليلاً في الاماكن الكثيرة النبات او في الغرف التي يوضع فيها
النبات والازهار للزينة ولا سيما ان الازهار مع امتصاصها الاكسجين واطلاقها
الحامض الكربونيك تفوح بالروائح العطرية التي تؤثر في الجهاز العصبي

تأثيراً شديداً فيكون ضررها اشد فينبغي ان يجتنب وضعها في غرف النوم البتة

ومن النبات ما يفسد الهواء بمجاورته كالتين والصبير وسائر الاشجار العريضة الورق، ومنه ما يصلح الهواء كالارز والصنوبر واليو كالبتس لانها تكسب الهواء رائحة عطرية مفرحة . وقال بعضهم ان اليو كالبتس يطلق 'الاوزون' وهو ضرب من الاكسيجين، قيل انه يمنع تولد المواد الرييلة وسنذكره في غير هذا الموضع ان شاء الله، فيمنع تولد الامراض الناتجة عن المتصعدات الضمكية . وذكر المحققون من علماء الصحة ان هذا الشجر بما هو عليه من سرعة النمو يمتص من الماء في كل ٢٤ ساعة ما يعادل ثقله عشر مرات فيترح ماء المستنقعات ويجففها وانه يطلق في الهواء رائحة عطرية كافورية مضادة للغفونة وعلى الجملة فان استنشاق الهواء بجوار هذه الاشجار ينقي الدم وينفع المصدورين والضعفاء المصابين بالحيات المزمنة وغير ذلك

اما الروائح المتضوعة عن الازهار والرياحين وسائر انواع الطيوب فتؤثر في الدماغ والاعصاب تأثيراً لطيفاً نافعاً بشرط ان لا تكون قوية كثيرة الفوحان والا فهي مضرّة ولاسيما باصحاب الامزجة العصبية . على ان للعادة والاستعداد الشخصي تأثيراً في ذلك فمن الناس من يألف الروائح الكريهة المضرّة كاخزارين والمشرحين فلا يعود يبالي بها ولا يرتاح الى الروائح العطرية . ومنهم من يألف التضخم بالطيوب فلا يشعر بقوتها كما يشعر غير المعتاد لها . ومن الناس من يتأذى ببعض الروائح الطيبة فقد شوهده من يصاب بصداع اذا شم المضعف ونحوه من ازهار الفصيلة الزنبقية . وذكروا ان فتاة كانت تتأذى من رائحة المسك حتى ينقطع صوتها عند شمه ، وان امرأة كان يغشى عليها من شم بعض الروائح التي لا تضر عادة كرائحة قيعم بزر الكتان ، واخرى كان يصيها مثل ذلك اذا شمت رائحة الورد حتى قيل انها في احد الايام زارتها صديقة لها ركان في وسطها زهرة ورد صناعية فلما رائها سقطت مغشية عليها بمجرد الوهم .

والحكايات من مثل ذلك كثيرة وهي غير بعيدة عن الصحة وان كان بعضها لا يخلو عن مبالغة كما لا يخفى
(عن مجلة الطبيب)

الجنون فنون « له ايضاً »

من المعلوم ان الانسان متى اصابه اختلال في العقل كان مجنوناً لا يدرك العواقب ولا يميز بين الامور الحسنة والقيحة ، فلذلك يعتبر الشخص اما عاقلاً او مجنوناً مع انك اذا دقت النظر وجدت بين العقل والجنون مسافة واسعة الاكتناف بعيدة الاطراف يظنها الناظر اليها في بادى الرأي قفراً وهي في الحقيقة مقر الوف من الحالات المتوسطة بين هذين الطرفين مما تتفاوت بحسبه مراتب الناس في اعمالهم وطرق معاشهم وكيفية سلوكهم . ومن نظر بعين البصيرة في احوال الناس بوجه العموم من حيث اختلاف العقول ليميز بين صحيحها وفاسدها وقف من دونها حائر الطرف لا يجد للحكم مساعاً ولا للرأي سبيلاً بل لو شاء المتبصر اللبيب ان يضع حداً بين العقل والجنون لاصابه العجز والقصور . لانك كثيراً ما ترى من هم بحسب الظاهر اصحاء العقول فاذا تعمقت في معاشرتهم وسبرت غور اطوارهم لم تكدر تجد فيهم خالياً من جنة والجنون كما قيل فنون وما يحسن سوقه هنا ما جاء في امثال بعض الحكماء . قال : ان احد الامراء اضاع عقله فاستاء لذلك صديق له واهتم بارجاعه اليه ، فبينما كان في احد الايام غائصاً في بحار التأمل هبطت عليه الرويا منبثة بان عقل الامير موجود ضمن قارورة موضوعة في غار بعيد بموضع كذا . فنهض الرجل لساعته وجد في طلب الغار حتى ادركه فوجد على بابه حارساً مهيباً طاعناً في السن فاستأذنه في دخول الغار للبحث عن عقل صديقه فاذن له ، وكان في الغار قوارير كثيرة لا يعلم عددها الا الله وهي مصفوفة صفوفاً على الترتيب وعلى كل منها عنوان الشخص المختصة به ، فأخذ الرجل يبحث عن القارورة المختصة بالامير وبينما هو يقرب طرفه بين

القوارير وجد واحدة منها مختصة به وقد كتب عليها اسمه فاخذته لذلك الحيرة والدهش لانه وجد نفسه في عداد المجانين ولم يمالك ان يرجع الى جهة الشيخ وقال له : يا مولاي ارى احدى هذه القوارير معنونة باسمي وما كنت مجنوناً قط فلم كان ذلك . فقال له الشيخ : رويدك يا هذا فقد ساعدك المقدور افتح القارورة واستنشق ما فيها فاطاع الرجل وحينئذ عاد اليه عقله فتبين له ان اكثر اعماله السابقة لم يكن الا مجنوناً

ولا يخفى ان كثيراً من اعمال الناس بالنظر اليها من حيث الاداب لا تنطبق على مقياس علم الاخلاق فالخلل المتعلق بها خارج عن موضوع كلامنا الا ان كثيراً من اعمال بعضهم بادية الاختلال واضحة الخطاء في الصواب فهم لذلك معروفون بالحنون مغرورون عن هيئة الاجتماع غير مكلفين بشيء مما يوجبه الشرع على سائر اعضاء المجتمع البشري وليسوا في شيء من غرضنا في هذا الموضوع . وانما كلامنا في ذوي الاختلال بمن بقي اختلاصهم خافياً على اعين الناظرين لوقوفهم على ذروة عالية من المجد او وراء نور ساطع من العلم فلم تنلهم ابصار الناقدين ومن هؤلاء اكثر الذين رفعوا منار الانسانية وسنوا الاحكام العادلة ووضعوا نظام الممالك وجاهدوا في سبيل العدل ورفعوا بناء العلم واحكموا تدبير السياسة فاختلال هؤلاء قلما يظهر في اقوالهم ولكنه قد يظهر في بعض افعالهم ولا يعرف الا بعد طول الاختبار وامعان النظر

واول انواع الاختلال المشار اليه الوسواس وهو حانة يكون بحسبها الشخص مصاباً بخلل في ارادته قد يفضي به الى ركوب المنكرات مع انه لا يحصى في الحكم ولا يعتسف محجة الصواب في القول . وهو اما ان يكون صادر عن تصورات صيانية لا تقضي الى الضرر ومنه ما يحكى عن الدكتور جنسن الانكليزي وهو من مشاهير كتاب القرن الاخير انه كان لا يمر مرة في اسواق لندن الا يحس كل علم من اعلام الطريق فان اعقل واحداً منها سهواً رجع على خطواته حتى يحسه . وقريب من هذا النوع ما يحدث لكثير من ارباب

الكياسة والادب فان منهم من ينطق بالكلام القبيح عن غير روية وانتباه كما ان بعضاً من الاتقياء تجري على ألسنتهم الشتائم وهم ينفرون منها وينهون عنها وقد كان الاسقف بلطر المولف الانكليزي الشهيد مصاباً بهذا الخلل فلم يكن يستطيع ان يضبط نفسه الا بعناء عظيم . وقد تكون الوسواس من هذا النوع جالبة للضرر . فمضية الى الخطر على حياة الشخص وغيره . فن ذلك ان شاباً من الادباء ذوي الوجهة خطب فتاة بديعة الجمال كثيرة الغنى وكان لا يستطيع ركوب سكة الحديد لوسواس عرض له ، وكانت الفتاة ساكنة في داخلية البلاد فلما حان زمن الاقتران اضطرب بالرجل لانه لا يستطيع الذهاب الى خطيبته على عادتهم فاستشار طبيبه في ذلك فاجتهد الطبيب في اقناعه بان لا خطر عليه من السفر في سكة الحديد وبعد العناء وطول المراجعة اجاب . الا انه بقي طول سفرته مضطرباً ومضطرباً ان يتوقف في بعض المحطات ، وكثيراً ما حاول ان يرمي بنفسه من باب القطار خوفاً من الخطر ولم يكن الخطر الا في وسواسه . والامثلة على الوسواس من هذا النوع كثيرة جداً وهي قد تكون تارة داعية الى الانتحار وان لم يحصل منها اختلاط في العقل فتدفع صاحبها الى اهلاك نفسه لاسباب لا طائل تحتها لانه يفقد الميل الى حب البقاء .

ومن انواع الجنون الخفي ما يسمى مجنون السرقة وهو يظهر غالباً على هيئة الدناءة والحسة في ذوي المراتب العليا ممن يزهون عن الحشائس بعلو المقام وشرف السؤدد . فقد ذكر ان رجلاً من مشاهير رجال السياسة كان يتناول طعام الظهر في فنادق المدينة فكان كلما دخل فندقاً يسرق . وصلت اليه يده من الآنية الفضية ويدفعه الى خادمه ليحمله الى بيته على ان كثيراً من المصابين بهذه العلة لا يسرقون الا اشياء وقع عليها اختيارهم مما لا حاجة لهم به فيستدل بذلك على جنونهم . ومن ذلك ان رجلاً شهوداً له بالتقى كان من عادته سرقة التوراة فأغضى عنه مراراً ولما تآدى على ذلك وضع تحت المحاكمة وشهر . وذكر ان رجلاً من المصابين بهذه العلة اعتاد سرقة مراكن الصالات فكان يجمعها

عنده وهو لا يدري لها منفعة

ومن انواع اختلال العقل المخالطة وهي حالة يظهر فيها الاختلال بوساوس تعرض للمخاطر فتقوى عليه الاوهام وتدفعه الى تكرار الكلام الذي وقع من سمعه موقعاً منكراً وتكثر عليه الاخيلة المضيقة . فمن ذلك ان فتى من طلبة العلم سمع بعض اصحابه يتمازحون في دعوى الشؤم المنسوب الى العدد الثالث عشر فخرط من ساعته واخذ يردد في عقله هذا اللفظ حتى اضطرته الحال الى الانقطاع عن الدرس . وذكر عن رجل انه لم يكن يدخل غرفة الا اخذ في عد كل ما رآه فيها حتى تنتهي به الحال الى عد ازرار صدره محاطبه . ولهذا النوع من الاختلال اتصال بما يعرف بجنون الشك ، ومن امثلته ان شاباً مهذباً كان مستخدماً عند احد الصيارف وكانت اعماله واحواله تدل على صحة عقل وسلامة فكر الا انه كان مع ذلك قد داخله الشك في وجوده وفي حقائق الاشياء الخارجية حتى افضى به ذلك الى عذاب اليم وهمّ بدخول المستشفي طالباً للعلاج وهذا دليل على انه كان عالماً باختلاله

ومن الانواع المشار اليها الخبال وهو يشتمل على كثير من الحالات التي يصاب فيها المختل باضطراب وحيرة وخوف من اشياء وهمية ، ومن امثلته ما ذكره الدكتور قباداي عن رجل معروف بالحدق والذكاء وسعة العقل وطول الباع في ادارة مصالحه الكثيرة والكياسة في محاضراته . وجد يوماً غير قادر على لاضطلاع ببعض الاعمال التي كان يتعاطاها فصار اذا وقف في عتبة الباب لا يتخطاها ان لم يدفعه آخر من ورائه ، ولا ينهض عن كرسيه ان لم يسكه آخر بذراعه واذا مرّ في السوق تصور ما يصده عن التقدم فيحجم ثم يقدم مراراً كثيرة . على انه كان متى احسّ بوجود من يتقد ذلك عليه اجتهد في اخفائه بتلطف وحنق كأن يتظاهر بانه يطلب شيئاً وقع منه . قيل انه طلب مرة للعسكرية فسأل ضييه ان يريجه منها فسعى طبيبه في ذلك لدى اطباء العسكرية ودعاهم لتناول الطعام عنده مع الرجل المذكور فرأوا من حذقه وكياسته ما رفع منزلته في اعينهم .

وعند انصرافه انكروا على طبيبه ما اخبرهم من امره فدعاهم الى نافذة تشرف على الطريق التي يمر فيها فشاهدوه في حالة الاضطراب الغريب بين احجام واقدام خوقاً من ظل الاحجار والاشجار والبيوت . ولا يخفى ان هذه الحالة تقرب من السوداء التي تفضي في اكثر الاحيان الى الجنون المطبق وبقيت هناك ضروب أخرى من الاختلال اضر بنا عن ذكرها من نحو الدخول والحرف والهيام والتوله وغيرها مما يطول الكلام عليه وكلها تعتبر من الجنون اولاً ما يسترها من سائر احوال اربابها التي تدخلهم في عداد العقلاء وهي على الغالب تكون معقولة عند المصابين بها اي انهم يشعرون من انفسهم بانهم يخرجون بها عن طور العقل ولكنهم لا يستطيعون مخالفتها وهذا هو الحد بين اصحاب هذه الاحوال والمجانين حقيقة لان من استولى عليه الجنون المطبق يفقد الحكم ولا يعود ينكر على نفسه شيئاً . وعلى ذلك فاذا اشتدت احدي هذه الاحوال بصاحبها حتى يعتقد ما يدخل عليه من الاوهام دخل حيثئذ في طور الجنون . ولا يظن ان اصحاب الاحوال المشار اليها هم عدد يسير من الخلق وانما هم السواد الكبير بين الناس واكثرهم من ذوي المراتب العليا والعقول الحاذقة بل العقول الواقعة عند حدود الجنون هي اكثر خفاء وافر حذقاً من العقول التي لا يحاطها شيء من ذلك لسرعة تهيجها وكثرة عملها والله اعلم (عن مجلة الطبيب)

الكوخ والقصر

« بقلم مصطفى لطفي المنفلوطي »

أنا ان كنت حاسداً احداً على نعمة فاني أحمد صاحب الكوخ على كونه قبل ان احمد صاحب القصر على قصره . ولولا ان للاوهام سلطاناً على النفوس لما سجد الفقراء بين ايدي الاغنياء ، ولا ورم انف الاغنياء ان يتخذهم الفقراء رباباً من دون الله

انا لا اغبط الغني على غناه الا في موطن واحد من مواطنه . فاغبطه ان رأيت
يشبع الجائع ويواسي الفقير ويعود بالفضل من ماله على اليتيم الذي سلبه الدهر
اباه والارملة التي خفها القدر في عائلها ويمسح بيده دمة البائس والمحزون . ثم ارثي
له بعد ذلك في جميع مواطنه الاخرى . ارثي له ان رأيت يتربص بالفقير وقوع
الضائقة به ليدخل عليه مدخل الشيطان فيستص الثالة الباقية له من ماله ليسد في
وجهه باب الامل . وارثي له ان رأيت يعتقد ان المال هو منتهى الكمال الانساني
فيرغب عن الفضائل والكمالات لانه يظن انه قد كفي مؤونة السعي اليها .
وارثي له وابكي على عقله ان مشى الحياء وطاول بعنقه السماء وسلم بإياء الطرف
واشارة الكف ومشى على طريقه يحذر عينه خزراً ليرى هل سجد الناس لمشيته
او صعدوا من هيبته . وارحمه الرحمة كلها ان عاش شحيحاً مقتراً على نفسه وعياله
بغياً الى قومه واهله ينقمون عليه حياته ويستبطنون أجله

اما الفقير فهو عندي اسعد الناس عيشاً واروحهم نالاً الا اذا كان جاهلاً
ضعيفاً فاني اراه وقد ملك الوهم عليه مشاعره فظن ان الغني اسعد منه حظاً وارغد
عيشاً واثلج صدرأ فحسده على تلك السعادة التي يزعمها له فجلس في كسر بيته
جلسة الكتيب المحزون يصعد الزفرة فالزفرة ويرسل الدمة اثر الدمة . ولولا
جهله وضعف قلبه لعلم ان رباً قصر يتمنى صاحبه كوخ الفقير وعيشه ويرى ان
ذلك السراج من الزيت اسطع ذناً واكثر لآلاء من انوار الشموع وباقات
الكهرباء التي تأتلق بين يديه وان تلك الحشية من الاديب او الور انعم ملمساً
والين مضجماً من وسائد الحرير ونضائد الديباج

تقد بلغ التسفل وضعف النفس بكثير من الناس انهم يحفلون بشأن الاغنياء
لانهم اغنياء وان كانوا لا ينالون منهم ما يبيل علة او يسيف غصة . وليت شعري
ان كان لا بد لهم من اجلال المال وإعظامه لذاته فما لهم لا يقبلون ايدي الصيارفة
ولا ينهضون اجلالاً للكلاب المطوقة اعناقها بالذهب وهم يعلمون ألا فرق
بين هؤلاء وهؤلاء .

لو عامل الفقراء بمخلاء الاغنياء بما يجب ان يعاملوا به لوجدوا انفسهم في وحشة من انفسهم واموالهم . ولشعروا ان بدرات الذهب اداهم ملتفة على ارجلهم واغلال آخذة باعناقهم . ولعلموا ان الشرف في كمال الادب لا في رنين الذهب وفي جلائل الاعمال لا في احوال المال

الكأس الاولى

« له ايضاً »

كان لي صديق احبه واحب منه سلامة قلبه وصفاً سريره وصدق ووفاء . في حالي بعده وقربه، وغضبه وحلمه، وسخطه ورضاه . ففرق الدهر بيني وبينه فراق حياة لا فراق ممات . فانا اليوم ابكيه حياً اكثر مما كنت ابكيه لو مات ميتاً . . . بل انا لا ابكي إلا حياته . ولا أتني الاممات . فهل سمعت بأعجب من هذه الحلة الغريبة في طبائع النفوس

علقت جبالي بمجالي برهة من الزمان عرفته فيها وعرفني، ثم سلك سبيلاً غير سبيله فأنكرته وأنكرني حتى ما أمر بباله لأن الكأس التي علي بها لم تدع في قلبه فراغاً يسع غيرها وغير العالقين بها . وربما كان يدفعني عن مخيلته دفعاً اذا حاولت المرور بها لأنه اذا ذكرني ذكر معي تلك الكلمات المرة التي كنت ألقاه بها في فاتحة حياته الجديدة . وما كان له وهو يهيم في فضاء سعادته التي يتخيلها ان يكدر على نفسه، بمثل هذه الذكرى، صفاً هذا الخيال

ثم لم أعد أعلم من أمره بعد ذلك شيئاً جديداً، لان حياة المدمتين حياة متشابهة متائلة لا فرق بين صباحها ومساءها، وأمسها وغدها . ذهاب الى الحانات فتراب^(١) فخير^(٢) فنوم فذهاب . كالحلقة المفرغة لا يُدري أين طرفاها . والمنظر المتكرر لا يلفت النظر ولا يشغل الذهن، حتى أن بعض من ينسام على دورة الرحى يستيقظ عند سكونها، وكان أخرى أن يوقظه دورانها

لذلك لم يشغل هذا المسكين محلاً من قلبي إلا بعد أن سكنت دورته
وهدأت حركته ، فلم أعد اراه معربداً في الحانات ولا مطروحاً في مدارج الطرق
ولا معتقلاً في ايدي الشرط^(١) هنالك سألت عنه فقيل لي انه مريض ، فلم اعجب
من شي . كنت أعد له الايام والاعوام ، كما يعد الفلكي الساعات والدقائق
لكسوف الشمس واصطدام الكواكب

دخلت عليه أعوده فلم اجد عنده طبيباً ولا عائداً لانه فقير والاطباء يظهر
الرحمة بالفقراء ، ويبطنون حب الصفراء والبيضاء . والاصدقاء يخافون عدوى
المرض وعدوى الفقر . فلا يعودون المريض ولا يزورون الفقير

دخلت منزله فلم اجد المنزل ولا صاحبه ، لاني لم أجد فيه ذلك الروح العالي
الذي كان يوفرف بأجنحته في غرفه وقاعاته . ولم أر دخان المطبخ ، ولم اسمع
ضوضاء الخدم ، ولا بكاء الاطفال ، ولا رنين الاجراس فكانني دخلت القبر
أرور الميت ، لا المنزل أعود الحي

ثم تقدمت الى سرير المريض فكشفت استاره البالية عن خيال لم يبق منه
الا إهاب^(٢) لاصق بعظم ناعل . فقلت ايها الخيال الشاخص ببصره الى السماء قد
كان لي في إهابك هذا صديق محبوب فهل لك ان تدلني عليه ؟ فبعد لأي^(٣) ما
حرّك شفّتي وقال : هل اسمع صوت فلان . قلت نعم ، ممّ تشكو ؟ . فزفر
زفرة كادت تتساقط لها اضلاعه واجاب : اشكو الكأس الاولى قلت اي
كأس تريد . قال أريد الكأس التي اودعتها مالي وعقلي وصحتي وشرفي ، وها
انا ذا اليوم اودعها حيايتي . قلت ، قد كنت نصحتك ووعظتك وأنذرتك بهذا
المصير الذي انت فيه اليوم فما اجديت عليك شيئاً . قال ما كنت تعلم حين نصحتني
من غوائل هذا العيش النكد اكثر مما كنت اعلم ، ولكنني كنت شربت الكأس
الاولى فخرج الامر من يدي . كل كأس شربتها جتتها عليّ الكأس الاولى .

(١) الشرط أعوان الامير ومفرده شُرْطِي (٢) الاهداب الجلد (٣) ية ل فله

بعد لاي أي بعد ابطاء وما زائدة

اما هي فلم يجنّها عليّ غير ضمني وقصور عقلي عن ادراك خداع الاصدقاء والخطأ .
 لم تكن شهوة الشراب مركبة في الانسان كبقية الشهوات فيعذر في الانقياد
 اليها كما يعذر في الانقياد الى غيرها من الشهوات الغريزية ، فلا سلطان لها عليه
 إلا بعد ان يتناول الكأس الاولى ، فلم يتناولها ؟ يتناولها لان الخونة الكاذبين
 من خلّانه وعثرائه خدعوه عن نفسه في امرها ليستكملوا بانضمامه اليهم لذتهم
 التي لا تتم إلا بقراع الكؤوس وضوضاء الاجتماع . ولو علمت كيف خدعوه
 وزينوا له الخروج عن طبعه وهألوفه . واي ذريعة تذرعوها بها الى ذلك لتحقق
 انه أبله الى النهاية من البلاهة . وضعف الى الغاية التي ليس وراءها غاية
 انا ذلك الابله وذلك الضعيف فاسمع كيف خدعني الاصدقاء وزينوا لي ما
 يؤينه الشيطان للانسان

قالوا ان حياتك حياة هموم واكدار . ولا دواء لهذه الادواء الا الشراب .
 وقالوا ان الشراب يزيد رونق اللحم ويبعث نشاطه وانه يفتق اللسان . ويعلم
 الانسان البيان . وانه يشجع الجبان ويبعث في القلب الجرأة والاقدام . . . هذا
 ما سمعته فصدّقته وخدعت به . صدقت ان في الشراب أربع مزايا : السعادة
 والصحة والفصاحة والاقدام . فوجدت فيه اربع رزايا : الفقر والمرض والسقوط
 والجنون . . .

عرّهم من الصحة ذلك اللون الاحمر الذي يتركه الشراب وراءه في الاعضاء
 وهو يتغلغل في الاحشاء . ومن الفصاحة الهنر والهديان . وهجر^(١) القول وبذاءة
 اللسان . ومن الاقدام المريضة التي لا تسكن الا في غرفة السجن . ومن السعادة
 اللحظات القليلة التي يغنى فيها على عقل الشارب فيعمى عن رؤية ما يحيط به
 من الاشياء كما هي فتعكس في نظره الحقائق حتى يتخيّل الشم طرفة^(٢) والصنع
 تحية فيضحكه من ذلك ما يضحك الاطفال والمرورين^(٣)

(١) المحرر العجس (٢) الطرفة المحجة المستحسة (٣) المرور الذي هاجت

مرته ويطلق على المحنون

أي سرور لمن يعيش في منزل لا يزور الابتسام ثغراً من ثغور ساكنيه ؟ أي سرور لمن يودعه اهله كل يوم في صباحه بالحشرات ، ويستقبلونه في مساكنه بالزفوفات . أي سعادة لمن يعيش دائماً في طريقه متلوياً متبعجاً يتسرب في المعاطف والازقة ويعوذ بألواذ^(١) الجذور والاسوار فراراً من نظرات الجزار؛ وتهكمات المطارد، وصرخات الحمار

ولقد كنت ارى هؤلاء الاشقياء في فاتحة حياتي التبعة فكان يمر بجناظري ما يمر بجناظر امثالي ان هؤلاء قتلوا ادمان لا قتلى الشرب . وكنت اقدر لنفسي القصد فيه ان قدر لي في امره شيء حتى لا ابلغ مبلغهم ولا انزل منزلتهم فلما شربت أخطأ العدّ وضاع الحساب ، وفسد التدبير ، واختلف التقدير . وغلبت على أمري كما يغلب على امره كل مخدوع مثلي بمثل ما خدعت به ولولا الكأس الاولى ما هلكت . ولا شكوت الذي شكوت . ولولاها ما عافني الاصدقاء ، ولا زهد في الاقرباء . فكن انت وحدك صديق السراء والضراء . فعاهدته على ذلك ثم تركته في حالة :

نصم السميع وتعمي البصير ويُسأل من مثلها العافيه

أهنأ أم عزاء

« له ايضاً »

فارق مصرَ على اثر الدستور العثماني كثير من فضلاء السوريين بعد ما عمروا هذه البلاد بفضائلهم ومآثرهم وصيروها جنة زاخرة بالعلوم والآداب ولقنوا المصريين تلك الدروس العالية في الصحافة والتأليف والترجمة . وبعدما كانوا فينا سفراء خير بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية ، يأخذون من كمال الاولى ليتعلموا ما نقص من الاخرى . وبعد ما علّموا المصري كيف ينشط للعمل وكيف يجد

(١) يقال اعتم بِلَوْدِ الجبل اي يجانه والجمع ألواد

ويجتهد في سبيل العيش وكيف يثبت ويتجدد في معركة الحياة .
 قضوا بيتنا تلك البرهة من الزمان يُحسنون إلينا قسبي . اليهم ، ويعطفون
 علينا فنسبهم تارة دخلاء . واخرى ثقلاء . كلما كنا نحسب أنهم قوم من سُذَّاء
 الآفاق او نفايات الامم جاؤوا إلينا يصادروننا في ارضاقتنا ، ويتطفلون على
 « واثدنا . ولو انصفناهم لعرفناهم وعرفنا ان اكثرهم من بيوتات المجد والشرف
 وانما ضاقت بهم حكومة الاستبداد ذوعاً وكذلك شأن كل حكومة مستبدة
 مع احرار النفوس وأبادة الضيم فأخرجت صدورهم ، وضيق عليهم مذاهبهم .
 ففروا من الظلم تاركين وراءهم شرقاً ينعيهم ، ومجداً يبكي عليهم . وتزلوا بيننا
 ضيوفاً كراماً ، واساندة كباراً . فما احسناً ضيافتهم ولا شكرنا لهم نعمتهم .
 وبعد فقد مضى ذلك الزمن بخيره او شره . واصبحنا اليوم كلما ذكرناهم
 خفقت افتدنتنا مخافة ان يلحق باقيهم بماضيتهم فلا نعلم أنشكر للدستور ان فرج
 عنهم كربتهم ، وأمنهم على انفسهم ورددهم الى اوطانهم . أم نقيم منه ان كان
 سبباً في حرماننا منهم بعد أنسنا بهم ، واعتباطنا بحسن عشرتهم ، وجيل مودتهم
 ولا ندرى هل نحن بين يدي هذا النظام العثماني الجديد في هناء ام في غزاء
 فيا ايها القوم المودعون والكرام الكاتبون

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا
 واذكرونا صبأ اذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

زيد وعمرو

« له ايضاً »

اراد داود باشا احد الوزراء السابقين في الدولة العثمانية ان يتعلم اللغة العربية
 فأحضر احد علمائها وانشأ يتلقى عليه دروساً عهداً طويلاً فكانت نتيجة علمه
 ما ستراه :

سأل شيخه يوماً : الذي جنّاه عمرو من الذنوب حتى استحق ان يضربه زيد

كل يوم ويقبّله تقيلاً ويدّرح به هذا التبريح المولم . وهل بلغ عمرو من الذل والعجز منزلة من يضعف عن الانتقام لنفسه ، وضرب ضاربه ضربة تقضي عليه القضاء الاخير

سأل شيخه هذا السؤال وهو يتحرق غيظاً وحنقاً ويضرب الارض باقدامه فأجابه الشيخ ليس هناك ضارب ولا مضروب وانما هي امثلة يأتي بها النحاة لتقريب القواعد من اذهان المتعلمين . فلم يعجبه هذا الجواب واكبر ان يعجز مثل هذا الشيخ عن معرفة الحقيقة في هذه القضية فغضب عليه وامر بسجنه . ثم ارسل الى تحوي آخر فسأله كما سأل الاول فأجابه بنحو جوابه فسجنه كذلك . ثم ما زال يأتي بهم واحداً بعد واحد حتى امتلأت السجون واقفرت المدارس واصبحت هذه القضية المشوومة الشغل الشاغل له عن جميع قضايا الدولة ومصالحها . ثم بدا له ان يستوفد علماء بغداد فأمر باحضارهم فحضروا وقد علموا قبل الوصول اليه ماذا يُراد بهم . وكان رئيس هؤلاء العلماء بكاتبة من الفضل والخلق والبصر بمراد الامور ومصادرها . فلما اجتمعوا في حضرة الوزير أعاد عليهم ذلك السؤال بعينه فأجابه الرئيس : ان الجناية التي جناها عمرو يا مولاي يستحق ان ينال لاجلها من العقوبة اكثر مما نال . فانبسطت نفسه قليلاً وبرقت اسارير وجهه واقبل على محدثه يسأله ما هي جنائته . فقال له انه هجم على اسم مولانا الوزير واعتصب منه الواو فسلط النحويون عليه زيداً يضربه كل يوم جزاء وقاحته وفضوله « يشير الى زيادة وار عمرو واسقاط الواو الثانية من داود في الرسم » فأعجب الوزير بهذا الجواب كل الاعجاب . وقال لرئيس العلماء انت أعلم من أقاته القبراء وأظلمته الخضراء فاقترح عليّ ما تشاء . فلم يقترح عليه الا اطلاق سبيل العلماء المسجونين . فأمر باطلاقهم وانعم عليهم وعلى علماء بغداد بالجوائز والصلوات

احسن داود في الاولى واساء في الاخرى . واو كنت مكانه لما اطلقت سبيل هؤلاء النحاة من سجنهم حتى أخذ عليهم عهداً وثيقاً ان يتركوا هذه الامثلة البالية الى امثلة جديدة مستطرفة تؤنس نفوس المتعلمين وتذهب بوحتهم

وتحول بينهم وبين النفور من منظر هذه الحوادث الدموية بين زيد وعمرو ،
وخالد وبكر

لا ينال المتعلم حفظه من العلم الا اذا استطاع مطابقته على العمل والانتفاع
به في موطنه ومواقفه التي وضع لاجلها . ولن يستطيع ذلك الا اذا استكثر له
معلمه من الامثلة والشواهد الملائمة لقواعد ذلك العلم وافتنَّ له في ايادها اقتنائاً
يقرب الى ذهنه تلك الصلة بين العلم والعمل ويسهل له الوصول الى القدرة على تلك
المطابقة . وان اكثر المتعلمين في مدرسة الازهر ابعد الناس عن القدرة على المطابقة
لما حال بينهم وبين ذلك من الوقوف عند المثل الواحد لكل قاعدة من قواعد
العلم . فلو انك اردت احدهم على ان يخرج في المنطق عن الحيوانية والناطقة ،
وفي النحو عن ضرب زيد وعمراً وقتل خالد بكراً ، وفي البيان عن تشبيه زيد
بالبدر واستعارة الاظافر للسنية ، وفي الصرف عن فعلل وافعول . لوجدت في
نفسه الجهد والمشقة وفي لسانه من المي والحصر ما يجزئك على اعوام طوال قضائها
بين المحابر والدفاتر ثم لم يحصل من بعدها على طائل

علام يتعلم الطالب النحو والصرف ان عجز عن ان يقرأ صحيحاً في كل
كتاب وكل صحيفة . وعلام يتعلم علوم البلاغة ان عجز عن معرفة اسرار الكلام
واوجه بلاغته وفهم المراد من مختلفات اساليبه وعن البيان بياناً فصيحاً يضمنه
ما يشاء من اغراضه ومقاصده . وعلام يتعلم المنطق ان عجز عن التمييز بين فاسد
القضايا وصحيحها في كل مناحيه ومذاهبه . وإن لم يكن الموضوع الانسان ولا
المحمول الحيوان الناطق

عجيب جداً ان يفهم الصانع الامي ان العلم للعمل فلا يتعلم التجارة الا
ليصنع الابواب والصناديق . ولا الحدادة الا ليصنع الاقفال والمفاتيح . وان
يجهل المتعلم هذه القضية الضرورية فلا يسه من العلم الا الاستكثار من المعلومات
والقواعد وان عجز بعد ذلك عن التصرف فيها والانتفاع بها في موطنها
ما دامت مدرسة الازهر على هذه الحال من اسلوب التعليم المقيم فليس يتبدور

لها في مستقبل الايام ان يُفْنِغَ منها العلماء الذين تستطيع ان تتفجع بهم الامة
انتفاع امثالها بأمثالهم في مشارق الارض ومغاربها . فويل للعلم من العلماء

العصامي خيرٌ من العظامي

« للغوري بطرس البستاني »

« من كتابه السنايل »

اذا نشأت في بيت خيم عليه الخيول وأحدثت به الفاقة من جميع جنباته فلا
تحمِلَنَّ ضعةً نسبك على الونية والقتور ، ولا تدعنَّ اليأس يُنْشِبَ فيك مضالبه
الحادة حتى يترزع من صدرك الهمة ومن فؤادك النشاط والمضاء ، بل انظر الى
الذين نبغوا في الدنيا من قبلك ، فان اكثرهم قد نشأوا مثلك في الاكواخ الوضيعة
لا يتسمن الى جدٍ أثيل ولا الى أبٍ اصيل ، ولا يتباهون بالعمومة والخيونة بل
عولوا على ما آثرهم به الله من توقد الذهن وشهامة الخاطر وحدة العزيمة ، فسابقوا
العظماء في حِلَّات المعارف وكانوا من المبدعين

نحن لا نشكر أن المرء اذا كان من لدومة عريقة في الثُّبُل والثراء والشرف
والإباء تتوفر لديه ذرائعُ النبوغ ويكونُ اقرب الى النجاح ممن يتفرع عن اصل
وضيع خامل ، ولكن اكثر الموسرين يعتمدون في الغالب على ما هم التليد فلا
ينصبون على اقتباس العلوم وحذق الفنون ليزيدوا أسرهم سنى ونباهة ، فتظل
مواهبهم العقلية مدفونة فيهم ، فلا هم يتفنون بها ولا ينفعون ، شأن من يئس
كثرةً من الذهب ولا تنهض به همته الى استخراجهِ من معدنه ، فتضيعُ قوائدهُ
عليه وعلى سواه

وأما ابناء الاكواخ فلا تقع عيونهم منذ يصرون النور إلا على الشقاء فاغراً
فاهُ لازدرادهم . فاذا أرادوا الهجر لا يرون لهم سوى اخضيش مضجعا ، ولولا
أن يتغلب عليهم سلطان الكرى لنبت جتوبهم عن مراقبدهم الخسنة وأحيوا
لياليم شهداء . واذا برَّح بهم الجوع لا يظفرون إلا بنخبِ قفر فاذا اكلوه مرةً

مأدوماً حسبوه قرصَ شهيد وسهل مدخله في حلوقهم كأنه ماء ورد . واذا نظروا الى اجسامهم لا يرون عليها إلا اسماً . وأما اقدائهم فكما برأها الله لم تألف الخفاف ولم تتعل الا الارض . وبعد هذا أفستغربون ان ينشط بنو الخصاصة الى العمل للإفلات من براثن النعس ومناسر الإعدام والإتراب ، وان تكون أطباء البشرية المتألمة من الطبقة التي هي اشعر بالألم وادري بالنكبات !

لاتيأسن أيها المعلم من ادبار الدنيا عنك ولا يُحجِّلَنَّكَ انك من ابوين خاملين مُتربين ، بل جرد ما فيك من قوة وعزم وانزل الى معتزك الجهاد معتمداً على ساعديك المقتولين ؛ متكللاً على ما اختصك به المولى من نضارة العافية ، وهي من اسنى الآلاء ، ثم تاجر بما جاد به عليك سبحانه وتعالى من مواهب الذكاء والفظانة والثقافة ، وتحلّ بالصدق والاستقامة والامانة والاخلاص ، حتى اذا عرفك الناسُ بهذه الخلال الفريدة وثقوا بك كل الثقة ، وكان لك من هذه الثقة اكبر رأس مالٍ بل خير وسيلة للتقدم والشهرة

و! أبهج يوماً تستوي فيه على عرش العترة وفي يدك صولجان العمل الذهبي ومن حولك نطاقٌ من ابصار المعجبين بتفوقك وشهرتك . وما اسعد يوماً ترى فيه العزَّ ضارباً قبابه فوق ربمك ، والمجد رافعاً اعلاؤه الخفاقة على مشارف صرحك . و! المجد ساعة تنشر فيها ثواقب العلا وشهب الشرف في سماء أسرتك ، مبدداً بانوارك النقية سقاءها المكفهر وذها المدهم ونحوها الدامس . و! أعزَّ أنَّا تقفُ فيه الى جانب العظامي وقد بذّر ثروة آبائه بإسرافه ، وذلك معالم مجده بطارق تهتكه واستهتاره ، وأقصدُ سُمعة أسرتك بما اقترفه من الفواحش و! اجتريه من المخازي والدنايا ، حتى ألبسها من العار ثوباً صفيقاً وأرخصي على محياها من الهوان سداً كثيفاً

أيها العظامي السابح في بحار ملاذه ، المنهك في اهوائه ، المطلق الاعنة لنفسه الهوجاء ؛ اربأ بنفسك ان تلطّخه في ردغات النذالة ، وبشرفك ان تدنس باقذار الحساسة . وياك ان ترددي بمن حرّمهم الله ما اسبغه عليك من

تعم الثراء والملاء ، قرب بانس هو اشرف منك خلقاً وارفع نفساً وأتعب ذهناً
والإنسان إنما هو انسان بأصغريه ، لا بفزارة نسبته ولا بشرف نسبه . فاذا رأيت
ولداً ضرب عليه الفقر مضارباً وتقرست فيه خيراً قأنق على تعليمه من بعض
ديعك تغم أجره وتقدم لوطنك عضواً ينفعه ، فيكتب اسمك في عداد المحسنين
الى قومك المتوفرين على إناهض بلادك ، الدائبين في نشر المعارف بين فئة منكودة
الخط ، ألقى الله على عرائق المثرين امر الاهتمام بها ، واثارة بصارتها المتسكة
في دياجير الغباوة والجهالة . ولكم يكون مبلغ سعدك اذا نهضت بهذا المفترض
القدس بدلاً من ان تنفق اموالك بما يهبط ظهره من أعباء التبعات ، ويطلق
الالسة في ذمك وهجوكم

ولكم تقر عينك وينبسط فؤادك يوم يشب هذا الولد البائس ، وهو
حامل ثمرات العلم الشهية متحلّ بجلى الآداب الرائعة ، ويوم يزين المحافل بخطبه
البدیعة ويدبج الصحف بمقالاته الاثيرة ، واذا أصبح حصيف الرأي لطيف التدبير
دامغ الحجة بعيد النظر ، بحيث يرجع اليه في معضلات المشاكل ومغلقات المسائل
فينادي القوم اذ ذاك أنه من غراس عينك ومن نشأوا على مهاد عوارفك وغرفوا
من بحر فضلك ، وتغياؤا عنايتك ورعايتك ، فيرعون لك اكبر جميل وينظرون
اليك بعين الاعجاب ، وينوّهون بفضلك في كل منتدى

واما ذلك البائس الذي اقلته عثرته وانقضته من هاوية الضعة والحمول فאלله
اعلم ما يكون من عرفانه لاحسانك وشعوره بحسن صنيعك بعد اذ ابلغته هذا
المدى من السعادة ، وكحلت عينه بانوار الهدى والسداد ، ورصت صدره بفرائد
المعارف ، وجعلته رجلاً اي رجل بين ابناء موطنه الذين اصبحوا يتباهون به في
محاضرهم ويتفاخرون بآثره ومحامده كذلك يفعل ابناء اليسر والسعة في
البلاد التي يتنافس فيها المحسنون في المبرات واذا امسك احدهم يده عن
بذل شيء من ماله في سبيل البر اغارت عليه الصحف غارات شعواء واندفعت
الالسة في ميدان هجائه ، وتلست سمعته وحطت من قدره ، وشدد قومه عليه

التكبر وسوأوا عليه بخله وعيروه ألدع تعير : حتى يضطروه الى ان يجود بقسم مما تملكه يداه على من هم في حاجة الى الامداد ، او يجعلوه على الاقل عبدة من بعده للاغنياء الاشقاء فيتعاشون عن ان يقفوا في وهدته او يوصوا بوصته

على ان اغنياءنا المسكين يحمدون الله على انهم في بلاد لا يسمعون فيها الا عبارات الاطراء الكذاب . من كل فم ملأق خداع ، فلا يحشون مذمة ولا يحدون ان يشدخ مسامعهم تنديد جارج او انتقاد أليم لذاع ، ولذلك يمضون مضاهم في مسالك الاستشثار وينطلقون في مضمار الاهواء بدون ان يوجسوا خيفة او يتوقعوا محذوراً . وانما يشجعهم على الاستهتار كون اولاد الميسرة والاثراء مقدوراً قدرهم في هذه الانحاء . الشقية بأهلها بحيث تريد قيمة المرء ما زادت امواله وهي الضلالة بعينها . فلو كان الاهلون هنا ينظرون الى المرء من جهة ما يعمل لا من جهة ما يملك من حطام الدنيا وزخارفها الوهمية لكانت قيمته ما يحسنه من الاعمال لا ما لا يجمعه من الاموال بطرق ربما كانت محظورة او مشوبة بشي . بل باشياء من الطمع والغبن ، وكان اهل الثراء يقومون ويقعدون كلما انقلب عليهم الجمهور وسلقهم بلواذع لسانه وقوارص كلامه ، وألجأهم الحال الى ان يتبرعوا على أندية البر بقسم مما اكتسبوه طمعاً في حسن الاحدثة او فراراً من الطعن والتثريب

وأخلق بالحكومة اذا شاءت ان تتدارك حشاشات الملقين وتصلح من شئون المدقين وتحقق جيش التسولين ان ترصد في كل سنة مبلغاً من المال تبذره في سبيل تعليمهم مهناً تغنيهم عن التسول والتكفف والتكدية والاستجداء ، فلا يبقون عائلة عليها ولا على الرعية . واذا رأيت فيهم ذا عقل ناقب يبشر بمستقبل سعيد فتدفعه الى المعاهد العلمية اعلمه يقتبس من العلوم والفنون ما يجعله في مصاف الاعضاء الفعدين لبلادهم . واذا لم يكن في بيت مالها ما يعينها على الانفاق في هذه الوجوه المحموده فلتضرب على الموسرين الذين اترفهم المال وابطرهم ، وهم حراس كل الحرص على اذخاره ، ضرائب تقاضاهم اياها سنة فسنة مراعية فيها

مقدار ريعهم ومبلغ مكسبهم . فاذا فعلت رأينا كيف ينشأ من اليتامى وابناء
الاكواخ نوابغ يفيدون البشرية ويسمّون باوطانهم الى المستوى الاعلى
وما اكثر الاذكيا . الالباء في الطبقة المعوزة ، وما اوفر استعدادهم للتحصيل .
فلقد روى لنا التاريخ في كل عصر وافادنا الاختبار ان اكثر الاختراعات
والاكتشافات كان اربابها من العصامين الفقراء لا من العظامين الاغنياء . فلتصعد
اذاً الامة على منابجهم القوية الى روابي العز ومراتب المجد اذا تحلف العظاميون
عن ان يفضوا بها الى الامل المرصود في ساحات الرغد والسعد . وحرام أي حرام
ان تبقى الارض الممرح مواتاً والمراع المخصاب مجدأباً ضناً ببعض دربهات
تنفق في سبيل استنباتها واستثمارها

التسامح والمخالقة

« له ايضاً »

أشق ما يكون عليه المرء ان يحيا بين قومه وحيداً لا أنيس له في عزته ،
ولا مؤسّي في نكبته ، ولا معزّي في محنته ، ولا ممرض في علته . واشقى الناس
من ناصبه ابنا . وطنه العدا . وكانوا في ملأته أعواناً عليه ، بجيث اذا نابته بلية
اعرضوا عنه وولوه ظهورهم

وانما يعاني المرء هذه الجفوة من ابنا . بلاده اذا كان شرس الطباع غليظ
المعاشرة ساقط المهمة زمن المروءة وضع النفس بذية اللسان دغل الصدر ، أشهى
الامور اليه ان يتقلب على المهاد الوثيرة ولو تملل قومه على أحد من شوك القتاد ،
وان تنصب له وحده قباب العز والمجد ولو كان وطنه على حضيض الذل والضعف
والمهانة . وحي استحكم الاستئثار في المرء حتى اصبح لا يودّ اخير الا لنفسه ،
ولا يطيب له الا ان يكون في غبطة ورفاهية وهناء ، وسواء عنده أشقي اخوانه
في البشرية ام سعدوا ، فلا تعجب للناس ان يتظاهروا عليه ويتألّبوا ، وان

يسومه ما هو حقيق به من ضروب الحسف والخذلان ويضعوا في وجهه الحواجز
ومن حويله العراقل حتى لا ينجح له مسعى ولا يستقيم له امر

فاذا راقك يا صاح ان يكثّر نصراؤك وأوذاؤك فعامل الناس بالحسنى
وتودّد لهم ما استطعت ، وجاملهم جهدك واصطنع اليهم من المعروف ما يمتدّ
اليه ذرعك ، وتغنّ لهم من صنوف السعادة ما تتمناه لنفسك ، وكن سلس الطباع
لطيف المعشر انيس المحضر رحيب الصدر بعيد الهمة سريع النجدة ، اذا
استصرحك صارخ خفت اليه دفعا للبلاء عنه ، واذا قصد اليك احد لسدّ لبانة
او قضاء ارب اهترزت لاجابة سؤله اهتراز الازيحي للتبرعات والمجود للمبرات .
واياك ان تحذله وانت قادر على إسعافه بآلك او رأيك او جاهك او شفاعتك ،
واحذر ان تحجب له املا مع تقته بأنك موضع امله وحسن ظنه . على انه اذا
تعذر عليك ان توازره بما يصلح حاله ويرأب صدعه فلا اقلّ من ان تسعه كلمة
مستعذبة تحيي فيه ميت الامل وتعينه على التجرّل . وتحرّز من ان تجره او
تصرفه يائسا ذليلا فانك بهذه الحفرة تنكأ قروحه وتهيض عظامه وتحقه يائسا

ان التسامح من اوطد دعائم التآلف وادعى الاسباب الى التحاب والتضام ،
ما انتشر في امة وتوثق حتى اصبحت اوثق من البناء المروص وامنع من المعاقل
اسوارا ، وباتت افرادها في مأمن من ان يثقبها سوس العداء او تندلع اليها نيران
الغضاء ، فيتساقون في اعيادهم كؤوس الصفا ويتهادون عبارات الولا ، وهم آمنون
مطمئنون لا يخشون عدوا صوّالاً ولا فاتكأ قهاراً

واذا راقك ان تستشف الضلوع وتحترق حبات القلوب وجوانح الصدور
لتعرف مبلنها من التساهل فامدد اليها مسبارك ، فاذا لم تر في اغوارها اثرا للتعصب
الذميم ، وكانت مكارم الاخلاق مستوية هناك على عروشها الرفيعة ، فقل ان
التسامح في أمّتك راسخ القواعد متين المباني ، لا خوف عليه من عاصفة ترزعزع
اركانه ومن زوبعة تجتاح بوانيه ودعائمه . ولكن اذا بدا لك ان الصدور ليست
على شيء من الرحب حتى لتغلي فيها مراجل الاحقاد لاقل هفوة وادنى بادرة ،

وان القلوب تنقبض لاساءة وقعت على غير عمد ، والالسة تنطلق في ميدان
البذاءة والهجر والهباء لكلمة فرطت على سلامة نية وتزاهة قصد ، ثم رأيت
الناس بعد وقوع من مثل هذه المفعولات التافهة وقد تحزبوا احزاباً وتشيعوا اشياء ،
فالتفت كل فريق تحت لواء زعيم يأتمر اوامرہ ويتبعه بنواحيه ، واخذ يصلي
خصومه احمى نار ، فقل ان التسامح ليتبرأ من أمة قائدتها التعصب الاعمى وهي
ليست من رحابة الصدر وكرم الاخلاق في شيء

ومعلوم ان كل امة مهما تكاثرت عدد حكمائها لا يزال الجهال الغوغاء فيها
أوفر عدداً من عقلائها ، وهم في الغالب . مططورون على الشر متحفزون له ، يطيدون
اليه لاول نفخة ينفخها نافخ في ايواق الفتنة . فاذا لم يكن في الامة المتسامحون
المتساهلون لم يردع اولئك الطغام عن المنكرات رادع ، ولم يزعمهم عن ايفار
الصدور وهرق الدماء وازع ، وهناك الظامة الكبرى

ونحن من اشد الامم افتقاراً الى التسامح نظراً لكثرة الملل فينا وتفرق
كل ملة الى فرق في تزعاتها ومطامحها واغراضها ومطامعها . فاذا كنا لا نتساهل
ولا نزي ناشتتنا على روح التسامح تعذر علينا ان نعرز فيما بيننا روابط الوئام
والوفاق ، ونزوع من صدورنا أصول النفاق والشقاق . وضمن ذريعة لبلوغ هذه
البغية المرصودة أن يجتمع قادة الافكار من كل ملة ومذهب في هذه البلاد
ويؤلفوا جامعة وطنية للتوفيق بين القلوب المتنازعة والصدور المتنازعة ، واستدراك
ما يقع من الخلاف بين ملة وملة . ومداواة كل نزاع بالادواء الشافية ، تقديراً
من ان يتسع الحرق ويتباين الصدع

وليجهد الخطباء والصحافيون والائمة والاساتذة جهدهم كله في ان يغرسوا
فضيلة التساهل في قلوب الناشئة وصدور العامة ، ملقين عليهم في هذا الموضوع
الخطير دروساً تلتئمهم كيف يجب ان يتسامحوا لدى وقوع الطوارئ وكيف ينبغي
لهم ان يراعوا سنة المخالقة وحسن المعاشرة ، حتى لا يتقض فيما بينهم جبل
الولا ولا تعكر كأس الصفاء . فاذا نشأوا هذه النشأة المباركة وسلکوا هذا

المسلك الحمود لا تنطوي بضع سنوات على هذه البلاد المنكوبة بكثرة المذاهب حتى نصح كتلة واحدة ، قسود فينا الوطنية الصحيحة سيادتها في البلاد المتأخية الراقية ، حيث لا يعرف المرء ابن دينه الا في معبده ؛ واما خارجه فكلهم اخوان في الوطنية ، وما اجل هذه الاخوة وما احوجنا اليها

شرف المحراث

« له ايضاً »

اذا ملأت الحضر وسمت من المدر ، وكهرت ضوضاء المدن وجلسه سكانها ، فهياً الى المزارع والحقول وروح صدرك بنسماها اللطيفة ونفحاتها الذكية ، وفكه عينيك بتلك البسط الخضراء التي نسجتها يد الطبيعة ويد الزارع معاً . هنالك ترى السنابل تتمايل طرباً وترقص جذلاً كأنها نشوى بما في قلبها من البر الذي بدونه لا يحيا الانسان ، او كأنها هائمة بداعية التسم وخير الماء وثغاه الشاء ، او كأنها تريد ان تشكر لمبدعها الذي انتبها وللأفلاح الذي تعدها وربأها منذ كانت بذرة الى ان صارت سنبله

وأني مشهد اطيب للنفس واقرب للعين وادعى الى الانس من ان ترى القرويين يتسائلون عند انبثاق الفجر الى حقولهم زرافات زرافات ، وعلى منكب كل منهم سكه ومعوله ، وفي يديه مهبزته ومزادته وخريطته ومزمارة وقيثارته ، وامامه قطعانه وثيرانه ، وفي صدره همه شماء للدأب في العمل ، وفي فؤاده امل كبير بان . . . وسمه سيكون مقبلاً كل الاقبال بعد اتكاله على مولاه الجواد وتعبيله هو على نشاطه وجده . . . وحينئذ يقوى على عيالة اهله الذين يعيشونه صغراً وكباراً على حراثة ارضه وزرعها . .

ير النهار ولا شاغل يشغله عن عمله ولا هم يقلق باله ، وضميره مطمئن لم يلوث بدنيته ولا يبال حرام ، ونفسه ساكنة شريفة لا تطمح الى المناصب

والمراتب العالية ، ولا تحدّثه الا بان يعمل في حقله حتى يستغني عن الناس ، واكره الاشياء اليه ان يطعم في مال غيره ، او يحسده على نعمته ، او يزاحمه على رقبته ، او يغبنه في بيع مزروعاته ، او يبيعه الحليب مشوباً بالماء . وابعض الرذائل الى قلبه ان يثلم عرض قريبه ، او يظن له المقت ، او يضر له الشر ، او يحتال عليه ، او يكرهه الى ما هنالك من المفاسد التي يتزده عنها ، وربما لا يعرفها ، لانها من مقترحات المدنية ولا اثر لها في العيشة الحقلية . .

هذه هي السعادة بعينها ، وما اقلّ الممتعين بها ، ولا سيما في المدن حيث تسود المطامع وتجول المخابث وتكثر الاقتراءات وتتوالى الحياتات ، وحيث ترى الضمائر ساجدة في بحر المنكرات والمخزيات على غير مبالاة ، وحيث تنازع البقاء معقود غباره ، والحسد مشبوبة نيرانه والآثثار هائج بركانه ، والجور موطدة اركانه ، وحيث لا يطيب للتاجر الا الحذاع والغبن ، وللمستخدم الا الخيانة والمكر ، وللحاكم الا الحيف والضغط ، وللقاضى الا الرشوة والظلم ، وحيث لا يحلو للزوج الا ان يخرق حرمة الزواج ، وللشاب الا ان يتسرغ في الحيات ، ويسبح في بحر الشهوات ، وللفتاة الا ان تذهب في ميدان التهلك كل مذهب خالعة ازار الحياء ، موارد العفاف في نعل القمعة بعد ان نسجت له كفنأ صفيقاً من الاستهتار

فبئس الحياة المدنية ونعم العيشة البدوية ، فاذا راقك ان ينعم عيشك ويهنؤ طعمك وتطيب حياتك ويطول عمرك ، وان تطوي ايامك بالشرف والتزاهة والاباء والاستقامة ، فعليك بالحياة الحقلية فهي مزهة عن شوائب المجتمع وذلية من العيوب اللاصقة بنفوس اهل الحضر

وما اجمل الذين ينظرون الى المحراث نظرة ازدراء ، حتى كأن الزراعة مهنة وضيعة زرية وكأن الفلاح هو من نفاية الناس ورعاع القوم . ولا ريب ان الذين يذهبون هذا المذهب هم جديرون بلامتهان ، بل هم من أقصر الناس نظراً واسقمهم رأياً ، فلا ينظرون الى الجوهر ، ولا الى النفع الحقيقي ، بل

تعمي بصائرهم الظواهر الخداعة فينبون حكمهم على الزخارف الختالة والمحاسن
 الفريدة ويعلقون بالاوهام . وكيف لا وهم يزعمون ان المراء قائم شرفه بمنصب
 رفيع يستد اليه ، او يرتبة سامية يثالها ، او بثروة طائلة يوثها من ابويه او يفوز
 بها بجده ، او بحسن طالع له الى ما هنالك من المزاعم التي لا تنطبق على الحقيقة .
 والذي زاه ويراها كل عاقل ان اجدر الناس بالاحترام من كان انفعهم لبلادهم .
 والزرع هو في نظر الحكماء اجدى من السياسي والتاجر والمثري ، لان يده
 العاملة تنزل على البلاد الخيرات ، ومحراثه الحديدي الذي يعزق به قلب الارض
 يلقي بين يديها الكنوز الذهبية . فلولا الزراعة لثلت يد الصناعة وكسدت سوق
 التجارة . والله در من قال ، وهو من اكبر فلاسفة هذا العصر « ان اداة النفي
 الحقيقية هي المحراث » والبلاد التي تعتمد على ذهبها بدون ان تعتني بحراث
 ارضها وزرعها وإقامه اغراسها ، يتعذر عليها ان تطعم سكانها » وقال احد علماء
 الفرنسيين من امد غير بعيد « يجب على الحكومة ان تمد الفلاحين بجميع ما
 لديها من الذرائع حتى يتسنى لهم ان يستخرجوا من ارضنا ما نحن في امس الحاجة
 اليه ، فنستغني عن استيراده من البلاد الاجنبية . وما من واسطة انجم من هذه
 الواسطة لرفع منزلتنا المالية وتحسين حالتنا الاقتصادية وه مقاومة اعدائنا الذين
 يجدون اي جد في ان ينقصوا من قدر اوراقنا النقدية حتى يزعموا دعائم ثروتنا
 ويضعفوا ثقة الاغيار بنا »

وان رو كفلر ذلك المثري الامير كافي الشهيد بعد ان ساح في اوربا بضعة اشهر
 عاد الى بلاده ، فسأله اصدقاؤه عما رأى في رحلته من المشاهد الجديدة بالعجب
 والاعجاب فقال على الفور : « ان اعظم مشهد رآته عيني هو رؤيتي القرويين
 الفرنسيين يعملون من الشفق الى الغسق يجد لا يعرف الملل حتى يصلحوا اراضيهم
 ويرموا منازلهم التي خربتها الحرب الكونية . ولا جرم ان هذا العزم المعروف
 به الشعب الفرنسي هو الذي جعل فرنسا في المقام الذي زاه فيها »

فلو زار رو كفلر او غيره من السياح هذه البلاد وتفقده بيوتها التي لا تزال

حتى الان خربة ، ورأى حقولها الجرداء ، وارضيتها الجلحاء ، وانتقاضها البالية ،
 واطلالها الباكية ، ودمنها الدامية ، لرئى لحالتنا ، ورق لجفودنا وخمولنا ، وعاد
 الى وطنه وفي نفسه اسراً اثر . قاين الصبر الذي عرف به الشعب اللبناني ، واين
 الهمة التي رافقت آباءنا واجدادنا حتى نغزوا الصخور ، وحفروا الجبال ، وجعلوا
 من تلك الاراضي الصلدة حقولاً خصيبة ، ومن تلك الاكام النامرة قرى عامرة
 ومن تلك المستنقعات حدائق غناء . فكأن السواعد القوية في وطننا العزيز قد
 اعتواها الشلل حتى تركت الشئبة ارزاقها بواراً ، وتزحت عن هذه الديار الى
 المهاجر حيث تذوق المرائر ، وهنا الضربة القاضية والطامة الكبرى

ألا التفاتة الى هذه البلاد المنكودة ، فان الحراب يتهددها من كل جانب .
 أو ما كافها ما قاسته من البلايا القادحات في تلك الحرب الظالمة القاسية حتى
 تنكأوا اليوم قرحتها بجلائكم عنها . تأملوا ايها الشبان الاحباء بسوء مصيركم
 وأقلعوا عن مهاجرة اراضيكم كما كان شأنكم قبل الحرب . واحرثوا بقاعكم
 حتى تعود الى حالها الاولى ، فتكفيكم مؤونة الهجرة المرة ، والا جئتم عليها
 وعلى نفوسكم جنابية لا يغفرها لكم حقدتكم . وانتم ايها الاغنياء ساعدوا
 الزراعين على احياء املاككم وأنجدوهم بالمال واعطفوا عليهم حتى تحيوا بقية
 الامل الضئيلة الباقية في صدورهم . فيبقوا من حولكم يعملون في سبيل مصلحتهم
 ومصلحتكم معاً . فانتم لا تستغنون عنهم وهم لا يستغنون عنكم ، والنجاح
 مضمون بالتضافر والتناصر ، والفشل واقع مع التواكل والتخاذل . وما اسعد
 الزراع الذي يعول على زرعه وضرعه ، ويعتمد في معاشه على المولى الرزاق ثم على
 عرق جبينه ومئاته ساعده ونضارة عافيته ، ولا يتكل الا على رأس موله ونفاذ
 محراثه وقوة فدانته



الممالك بصناعاتها

« لأمين البستاني »

متى كثرت الصناعات في بلد قل هو بلد العلم والثروة والرفي اذ لا تجتمع الصناعة والجهل ولا تجتمع والفقر ، وانما هي بنت العلم وأم الفنى واليسار ، وربما اغنت الصناعة عن الزراعة اذا راجت سوقها وقامت تجارتها ولم تكن الزراعة عنها وان أدركت الحير وانبت لاهلها البركات . هذه بلاد الانكليز مثلاً اي جزائرهم البريطانية قد ضاقت عليهم مع نسبة عددهم الكثير ومع ذلك كفتها صناعاتها التي تصدر الى انحاء العالم محمولة على آلاف من سفنها التجارية ترسل نسيجاً وماعوناً او نحاساً وحديدأ وتعود ذهباً كزناً وفضة بيضاء حتى اصبحوا أثرى أمم الارض . ومثلهم الفرنسيون الذين جمعوا اليهم الزراعة والصناعة ممأ . وكذا الالمان فقد صاروا ، على حدائث امبراطوريتهم المتحدة ، من الفنى بمكان قبل هذه الحرب التي رماهم امبراطورهم برزاياها وعرضهم بها على الهلاك والدمار وكان ما اعطاهم بيد سلبهم إياه بأخرى ، حسنة بسينة وقد تكافأتا

وللصناعات فوائد جلائل الامة فهي اذا اصدرتها الى البلدان الاجنبية اصابت منها المكاسب الكبرى ، واذا باعتها طي بلادها باعتها لابنائها بالثمن السهل اللين وهي تشغل طبقات كثيرة من قتيان الامة وفتياتها لولاهن لضاق بهم العيش ولنكدت عليهم الحياة ، ولا يظهر اثر ذلك الا اليوم تقع حرب او يقوم اعتصاب وشغب تسطل معها الاشغال الصناعية ، وتسي عشرات الالوف من الناس ولا عمل لهم ويصبحون عالة على كاهل الامة ، وما اكثر الشواهد والعبر التي تمر بنا في هذه الايام ايام الحرب والاعتصابات . وبعد هذا كله اذا شئت ان تعرف فضل الصناعة وانها أنبض دليل على مدنية الامة وتروتها وعلو كعبها في العلوم والفنون فانظر الى تار مصر لعهد فراعتها وبطالستها . والى اثار اثينا ورومية . والى اثار سورية

لعهدي فينيقيها ورومانها والى عادييات اشور وبابل تجدها كلها آيات صادقات على تقدم الصناعة في تلك الدول والايال وفي ذلك فخر مخلد لها يدل على ان الصناعة هي حياة الامم ما بقيت هذه الامم ثم هي حياتها ايضاً اذا هلكت تترجم عن سابق مجدها وتحدث عن ماضي عزها

واحق الحكومات باحياء الصناعة وترقيتها إنما هي حكومة مصر خليفة دولها العتيقة التي اعجزت الدنيا بمجال صناعاتها حتى كان ما خلفت من الآثار زينة الدهر وحلية كل بلد عظيم مثل باريس ولوندر ونيويورك وغيرهن من المدائن التي أوتيت حظاً بامتلاك شيء من نفائس قدماء المصريين وانزله ساحاتها ومآحاتها كما تقول الاقراط والعقود في الآذان والايجاد . وقد تنبهت الحكومة المصرية للعلم بعد ان افادت من الصر والقروض التي انقلتها فشادت المدارس واكثرت منها حتى اعطت كل مكان حقه ثم التفتت للصناعة فأنشأت لها بعض المدارس ثم حرت على اثرها مجالس المديريات فأقامت شيئاً من مدارس الصناعة ، الا ان كل هذا لا يفي ولا بد من المزيد وبذل المقادير الكثيرة من المال مما يمكن الحكومة . معه تجديد المدارس الصناعية واقتانها بان تجلب اليها قوماً من حذاق اهل الصناعات حتى تجتمع لمصر مزيتا الزراعة والصناعة وحتى يتدفق الخير في واديا وينساب في أباطحها كما انساب نيلها . أترى عيوننا ام عيون ابنائنا وحفدتنا قطننا البديع اماخر يغزل على معامانا وتفسح منه اثوابنا ومقرشات بيوتنا شأنه في بلاد اوربا . لقد بدأنا بصنع الطربوش في معمل « قها » لنكسور راسنا فهل لنا ان نكسور سائر الجسم من صنع ايدينا كما تكسى الامم والشعوب الراقية . وقتنا الله لادراك هذه الامة وأمثالها من حاجياتنا وكمالياتنا حتى نغني عن مجلوبات الغرب بقدر ما نستطيع واولها الابر وخياطها ومعلقة الاكل ومسراك الاسنان ، وهذه الاشياء أهون ما نجلبه من اوربا ، وانما لا غناء لنا عنه . فلتجد الحكومة في خدمة الصناعات لانها تؤدينا الى الحياة الصحيحة التي هي أليق بالنوع الانساني وهي ترفع الناس جمة عن خشونة المهجية وتذهب بهم الى نعيم العيش على جهة ملابسهم وماكلهم

بجانبهم وسائر حالاتهم المدنية . فاذا نظرت الى الممج الذين خلوا منها ، والى الامم التي حصلت عليها رأيت الفرق بينهم يكاد يكون كالفرق بين الوحشي الادمي ، والفضل عائد للصناعات التي هي زبدة المدنية وخلاصتها

الامم في معاملاتها

اصدقوا فيها تغلبوا

« له ايضاً »

اذا صدقت الامة في معاملاتها فبشرها بالفلاح واليمن . حكمة تصدق في الامة جملة وفي أحادها ايضاً . فاذا علاك دين فاقضه عند اول الميسرة تخلص منه فهو صديقك عند الحاجة اليه وعدوك عند المثل فيه ، وليس العار في الاستدانة فهي من لوازم المدنية والمعاملات ، بل العار والضرر وارदान من المثل في اداء الدين وتعاطم فوائده عليك حتى تعجز عن اداء أصله وعثراته . وما ضر مصر في ديونها الدولية وهوى بها غير المثل في ادائها أو العجز عنه ، وعن هذا العجز تفرع كل ما نحن ناظروه اليوم - من استدان فليستدن على قدر طاقته فان جاوزها وطفّر عنها ضاع في الضائعات . قلنا ان الدين ليس بعار على الامة ، وهو على ضد ذلك فرج لها ونجدة عند الحاجة اليه ، وأية أمة خلت من الدين الذي وجد في الدنيا منذ تمدن الانسان وتحضر ، بل من عهد كان الانسان على فطرته الاولى وانما تطورت صور الديون وطرقها وادواصفها مع تطور مدنيته فقد كانت في مستهل أمرها استعارات من غير مراعاة وكانت قبل ضرب النقود اعياناً باعيان . فلما كثرت المعاملات وترقت الحضارة وضرب النقودان الكريمان (الذهب والفضة) وغيرهما صار معظم الدين عن نقد ، وما زال الناس يتغننون فيه كلما فشت معاملاتهم وعظمت تجاراتهم حتى بلغوا به صنوفة الحضارة فن دين مدني الى دين تجاري ومن دين مطلق الى دين مقيد مأخوذ على رهن أو معلق على كفالة أو تضامن وما شاكل واصبح يدور في المعاملات بحكم الضرورة القصوى كما يدور الدم في

العروق فاذا وقف هذا مات صاحبه واذا وقف الدين في المعاملات ماتت هذه ، وانما يشترط فيه الصديق في المعاملة حتى يتفجع منه الدائن وتتفرج به أزمة المدينون وإلا انقلب شراً عليهما كليهما . ذاك لعدم حصوله عليه عند عدم الاستيثاق من رهن او كفالة وهذا التراكب الفوائد على عنقه الى ان يضيق بها ذرعاً وتستوعب كل ملكه . واكثر دين جمهورنا من هذا النوع . عرفت كثيراً من الاقوام بدأوا دينهم بمئة دينار وانتهوا به الى الخمسمائة . وعرفت شخصاً في الشرقية استلف من مراب ٤٠ ديناراً قبل ان يبلغ دينه بعد زمن غير طويل ثلاثمائة . وانك لتجد الفلاح يعاني كل بلاء في زرع قطعه وفي تعهده له بالنشئة والتنقية ، والري تغمره أمواهه الى أعلى فخذه ويبيت على الطوى ليالي في غيظه حتى اذا اظن ذلك الثورع المبارك أي صار قطعاً جاء المرابي فأخذ القطن بما تحته من اعواد شجيراتهِ والفلاح يدعو عليه وعلى نفسه مماً

ولم تجب هذه البليات الا من سوء المعاملة وتجاوفي المدينون عن قضاء مدائنه حقه الذي له عليه فيطمع هذا بكل ما تملك يدها ويزيد في الربا . فلو أدى الدين اليه عند ميسرته لزال الضرر عنه او أدى اليه بعضه تخف عنه واحتمله بقليل فائدة لا أن يتركه اعواماً والدائن يضم فائدة الى أخرى ثم يركبها تركيباً حتى يعجز المدينون عن السداد فيترع ملكه كله بدينه وقد قضى الامر ولا اظن بلداً تنول فيه الدين كل طبقاته مثل قطرنا ولا اظن بلداً كذلك تتأقل مدينوه عن قضاء ديونهم مثلنا . لقد اصبح عدم الوفاء خلقاً فينا وربما بذل الانسان منا ٢٠ ديناراً على مأدبة او على احياء ليلة طرب وأنس ولا تطيب نفسه عن اداء مائة قرش هي عليه لدائن حتى اجتمع فينا داء ان قتالان داء المصل في الدين وداء المروءة العليا في تسليفه ، ووراء هذين الداءين قتل الثروة العامة واثراء المرابين الذين لا تفيد ثروتهم البلاد شيئاً ، اذ قد غلب عليهم الشح وقبض اليد عن اصطناع المروءات ومروءاسة ذوي الفاقة ، فانما حب كثر المال داء عضال أعيا كل طيب وصرف صاحبه عن كل عمل مشكور ثم لو تأملت قليلاً لوجدت السبب الاكبر

البحر زهاء ٨٨٥ متراً ، وتشرف عليها من الشمال غابة شربين ظليلة الاشجار ،
وتكتنفها من الغرب غابة من الصنوبر

ولا ريب بان وجود هاتين الغابتين كان له فضل كبير على الحالة الصحية في
البلد الديري لذلك قلما انتشرت الامراض هناك او كان لها تأثير كبير

وموقع الدير من طبيعته صحي نافع . فالهواء ناشف عليل وبيوت المدينة
غير ملزوز بعضها بعض ، وماؤها نادر عذب ، وهي غير مفتوحة للرياح الشمالية
فلا تجد امراض الصدر اليها سبيلاً

والدير بلد تاريخي قديم لامع الصفحات من عهد المعنيين الى عهد الشهابيين
الى عهد المتصرفين العثمانيين

ولم تتأخر الدير يوماً تأخرها على عهد الافرنسيين وهي البلدة التي اشتهرت
باخلاصها لفرنسا الدولة المتدبة . وكانت الدير قديماً عامرة ببنيانها آهلة بابنائها
زاهرة بصناعاتها وتجارتها ، فيها سوق للحريم . معروفة بالقصرية واسواق اخرى
للصباغين والاساكفة واللاحامين والحدادين والنجارين والدباغين ، اعدا سوقين
كبيرتين احدهما سوق الميدان ، وفي الجهة الجنوبية منها دار الحكومة ، والاخرى
سوق الشاوط وفيها يتدفق النعش الشهير وتقوم على اطرافها الساحة النكدية التي
كانت في الزمن الحالي ميداناً لمشايخ الدروز من آل نكد

١٠١ قصرية الحرير فقد اصبحت بعد حوادث السنة الستين خراباً وبالقرب
منها سطوح الخرج التاريخية . وفيها دهليز طويل يدخل منه الى كنيس قديم
اليهود اصبح اليوم اثرأ بعد عين

اما بقية الاسواق فقد اقلعت اكثر محارنها ودكاكينها لان السواد الاعظم
من سكان دير القمر هاجر . سقط رأسه ومتى علمنا ان في بيروت وحدها ما
يزيد على خمسة آلاف ديري . اعدا الذين هم في مصر والاميركتين وافريقيا
وغيرها من البلاد ، متى علمنا ذلك تبين ان الفرق العظيم بين دير القمر بالاس
ودير القمر اليوم . ويقدر عدد المهاجرين الديريين باكثر من عشرين الف نفس

ولم يتخلف فيها الى اليوم سوى ثلاثة آلاف او اقل ، والديريون رجال علم وعمل
وقد ضاقت عليهم ارضهم فجهوا الى المهاجرة طلباً للرزق ولكن الديري مهبط طال
بعده عن بلده فهو لا ينفك يحن اليها ويستكشف ان ينتسب الى سراها
وفي الدير جامع قديم يرجع عهده الى ايام المعنيين . ولا تزال مآذنته تناطح
برأسها السحاب . والديريون يعتنون به كثيراً فارضه ابداً نظيفة وسطوحه
مرصوفة واذا نزل عليها الثلج في الشتاء ارسلوا من يحرقه عنها
وكانت الحكومة قبل الحرب مخصصة لهذا الجامع شيخاً يقيم فيه الصلوات
كل نهار جمعة ولا يزال الديري يذكر بلده عندما كان يستيقظ في الصباح على
صوت المؤذن الجليل وهو يصيح : الله اكبر ! الله اكبر ! . .
وموقع الدير الطبيعي يجعلها في الصف الاول من المصايف اللبنانية سواء
في طيب مناخها وعذوبة مائها او في تنسيق شوارعها وترتيب فنادقها وسائر
بنائاتها اصف الى ذلك ما يحيط بها من المناظر الخلابة والمتنزهات الشائنة
وقد نظرت اليها الحكومة اخيراً فأقرتها مركزاً رسمياً الاصطياف .
واخذ المصطافون يقبلون عليها افواجا من مصر والعراق بعد ما تبينوا ما فيها من
رخص المعيشة ، وراقتهم اخلاق اهاليها وحسن وفادتهم واكرامهم للضيف
ومن المتوقع ان يزدهر موسم الاصطياف في الدير فتبلغ مستواها الحقيقي
بين مصايف لبنان الممتازة

الانشاء

« بقلم الشيخ خليل اليازجي »

الانشاء ملكة راسخة في النفس يعين عليها سلامة الذوق وطول المزاولة
والناس فيها طبقات متفاوتة مرجعها في الاكثر الى بداهة الحاطر وذكاء البصيرة
وفزارة المادة . وله احكام اذا راعاها المحيد نبع فيه واذا راعاها الضعيف
استأنس بها فاعانتته على الجري فيه . وقبل البحث في تلك الاحكام يحسن ان

نهد لها بما تجمل به مفصلاتها او تشرح متونها فنقول :

لا ينبغي ان كل مجموع انما يتألف من مفردات وان بين كل مفرد وآخر في ذلك المجموع نسبة ما ، وتلك النسبة لا بد ان تكون اما موافقة او مخالفة وعلى هاتين النسبتين تترتب حالة المجموع من حيث حسنه وقبحه وتلاوئمه وتنافره ونحو ذلك من حالاته . واطهر ما يمثل به على ذلك الالوان فانه قد يكون بين يديك رقتان ملونتان بالوان واحدة فتستحسن احدهما على الاخرى وليس ثم من سبب الا التلاوئم بين الوان الاولى والتنافر بين الوان الثانية . وبين ترى وقعة اخرى فتقول لو وُضع مكان هذا اللون منها اللون الفلاني لكان أليق او ثال عيها . وقس على ذلك الاصوات الموسيقية والطعوم وسائر المركبات على الاطلاق . اذن فآية الاحكام في كل مركب انما هي الملازمة بين مفرداتها وانما ذلك من قبيل وضع الشيء في محله

ثم ان لكل مفرد في المركب فضلاً عما له من الاعتبار النسبي اعتباراً آخر ذاتياً من حيث حسنه وقبحه ينظر فيه اليه مجرداً . فتمى استوى المفرد حسنه الذاتي ثم قرن بما يتلاءم وياه فهناك غاية الكمال في المركب وقام الاحكام

اذا عرفت هذا وعرفت ان العبارة انما هي مجموع مفردات الكلمات عرفت ان حسن العبارة وطلاوتها وترتبان على التلاوئم بين كلماتها بعد استيفاء تلك الكلمات حقها من الفصاحة على ما هو مقرر في علم البيان وتبين لك وجه الانشاء من اين يتأتى وهان عليك ان تعرف سبب ضعفه وقوته وصحته وفساده . ولكن بقي عليك ان تعرف موضع الحسن والقبح منه وتعين محل الصحة والفساد فيه وما يتلاءم وما يتنافر من الكلمات . وهي غاية بعيدة المنال صعبة المسلك موكولة الى الذوق . واحسن وسيلة لاقتباس هذه المعرفة دراسة اسفار الكتبة المجيدين ومطالعة انقاس البلاء والاعتداء بهم والتحدي لهم على ما سيأتي ذكره

فاذا وضع الكاتب نفسه من الكتابة موضع المصور من التصوير علم ان اول ما ينبغي له ان يراعيه في كلامه انما هو حسن اختيار المفردات على ما رسمه

علماء البيان بان تكون سلسة على السمع سهلة على اللسان مستوفية احكامها اللغوية والنحوية والبيانية وغيرها . وان لا ينحو نحو الكلم المهجورة الغريبة الا اذا اضطر الى ذلك للافتقار اليها ويترب عليه حيثئذ ان يضعها موضعاً لا يشكل جهلها فيه بالمعنى ولا يقف دونه . وذلك يتم بان تشفع بمرادف لها او تنصب قرينة في العبارة تدل عليها او تكون كالمفسرة لها . وهو استعمال يتخير به بعض الكتبة يقصد به ادراج كلمة ضمن الكلام المستعمل للاحتياج اليها او لحسن وقمها فيشفها بما ذكرنا من الدلائل على معناها فلا محتج قارئها الى التفتيش عنها لتفسيرها فيستفيد منها في اثراء العبارة غنية باردة ويكون في المقالة المدرجة تلك الكلمات فيها فائدة اخرى لغوية غير المقصود من المقالة وردت عفواً في عرض الكلام . وهي طريقة حسنة في الكتابة ووسيلة قوية لنقل مفردات اللغة المفتقر اليها من بطون الصحف الى رؤوس الاقلام واطراف اللسان توسيعاً لنطاق اللغة المستعملة عند الكتّاب وتحسيناً للكلام وتزييناً له بما في تلك الالفاظ من الطلاوة التي اقلها طلاوة الجديد وترفعاً عن الرطانة بالكلم الاعجمية لمعان ومسميات حديثة او قديمة يظن ان اللغة قد خلت عن الفاظها وهي مشحونة بها كالبحر يقذف بالرمال وانما أبقى الالكى ضمنه للفئص

ومتى أعد الكاتب لديه من المفردات ما يعده الباني من الحجرة المنتقاة للبناء مما استوفى هذه الشرائط اخذ في الجمع بين تلك المفردات والملافة لها بحيث لا يقع بينها ما يقع بين حروف في الكلمة من التنافر او غيره مما مرّ لأن متونة الكلمات من العبارة متزلة الحروف من الكلمة فلا بد ان يراعى هنا ما يراعى هناك

ومتى انتهى الى العبارات عمد لها فتديره تدبير المفردات بان يزيين ضعيفها وقويها ومبتلها وغريبها فلم يتخير الوجوه المرجوحة من التركيب ولا الضعيفة من الاساليب وتجنب اعادة الكلمة المفردة بعينها في العبارة المتجاوزة الا نكتة كالتأكيد . وتكرار صورة واحدة من التعبير في ذلك الكلام على ما مر

فلا بد له حينئذ من حفظ كثير من مترادفات التعبيرات ومتشابهات الصور مع تمايز اللفظ والتركيب نظير حفظه من المفردات ولكي يستخدمها فضلاً عن ذلك فيما تقتضيه بعض مقاماته عند الاطناب والاسهاب وتعزيز الكلام وتقويته

ومن الاحكام اللفظية ان يعتمد الكاتب السهولة في التعبير ولا يميل فيه الى جهة الاغراب والتعقيد اعتقاداً انه اذا يترفع بنفسه عن اتباع الوجوه المألوفة والاساليب المتعارفة ارادة ان يبتدع طرقاً من الكلام يحدّثها لنفسه لان السهولة مع الاجادة خير من الاغراب وبينه وبين الاحسان مراحل . وافضل طريقة لتسهيل العبارات واسلوب الكلام ان يتصور الكاتب نفسه يتحدث بما يريد ان يكتبه ويتبع نسق حديثه الطبيعي واسلوبه لا يحيد عنه الا عندما تدعو الى ذلك آداب اللغة الفصحى . فيأتي الكلام حينئذ طبيعياً مألوفاً لا تمججه الاسماع ولا تنفر منه الطباع . وهذا الامر شديد الاهمية كثير الوقوع ، فأننا كثيراً ما نقرأ لبعض الكتبة قصة او حديثاً نكرون قد سمعناه منه يتحدث به فنحن لو كتبنا كما نطق به ولو كان باللغة العامية طمعاً في حسن اسلوبه وطلاوته وفراراً من التعقيد والتشويش حتى يحول ذلك بعض الاحيان دون فهم المعنى

ولا بد للكاتب قبل بري قلمه وإلاقة دواته من ان يتروّش للكتابة زمناً طويلاً يصرفه في مطالعة كتب المنشئين البلقاء كالحافظ وابن المقفع والبدیع والخوارزمي وابن خلدون وغيرهم ، ويكثر من هذه المطالعات وامثالها حتى تنطبع فيه ملكتهم ويقوى على تحديدهم ومحادثهم فيعتمد حفظ اساليبهم في ضروب التعبير ارادة ان يستخدم نسق عباراتهم فيما لديه من الكلام لا ان يستخدمها هي بعينها كما يتوهم البعض . ولا يحسب ان في ذلك وضاعاً منه او خطأ لمقامه فان الكاتب مهما ارتفعت منزلته من البلاغة واتسع صدره في مجال الكلام ليعجز عن اختلاق التراكيب الجديدة واستنباط الاساليب المتكررة آتياً بغير ما اتى به الاولون من ارباب الاقلام الذين تناهبوا البلاغة وضروها والبراعة وطرقها فلم يغادروا ثم من متردّم . ولا يعدّ اتباعهم في هذا والالتئام

بهم سرقة والا كان اكثر الكتب لوصفاً خطافين لان الكلام كاللباس للمعاني والصور مهما كثرت لا تزال قليلة بازاء المعاني . ولا بد للكاتب ايضاً من حفظ الكثير من الشعر ولا سيما ما يجري منه مجرى المثل وما يحتاج اليه في مواطن الكلام فان لذلك منافع جمة للكاتب من ترين كلامه وتقويته حتى لقد يبقى الكلام ناقصاً ضعيفاً مهما اجتهدت في اقامه وتقويته حتى تشفعه بيت من الشعر يحمله به مفصله او يفصل مجمله او يضرب مثلاً عليه او شاهداً له ونحو ذلك . ومن الكتاب من كان اذا بلغ من الكلام الى حيث يحتاج فيه الى ايراد شيء من الشعر على سبيل الاستشهاد او غيره مما مر ولم يجد في محفظه ما يناسب المقام ينظم له من عنده ما يتمثل به مخرجاً اياه اخراج كلام مقول . ولذلك فائدة اخرى وهي ما يسمى عندهم بحل المنظوم وهو ان يعمد الكاتب الى البيت من الشعر فيحمله الى نثر ويدمج في كلامه تفتناً في الكلام وتريناً له . وهي طريقة كثير من كبراء خول الكتاب كابن زيدون والبيدي وغيرهما

وبقي امر ينظر فيه الى الكلام على العموم وهو ان يكون طباق قولهم لكل مقام مقال . فمن المعلوم ان الكلام طبقات بعضها فوق بعض فيلبي ان يخاطب كل بالطبقة التي تليق به وان يختار لكل معنى من الكلام طبقة كذلك . فتي خوطب العلماء من اهل العربية والمتألقون من ارباب الترتيل وخول الانشاء وجب ان يختار في خطابهم الكلام الجزل والاساليب البليغة والنظم المنسق بالاستعارات والكنيات وسائر فنون المجاز . وكذلك اذا كان الكلام في معنى شريف يقصد فيه المبالغة والترين كالمديح والتبيين ووصف العظمة والالوية وانصر وغير ذلك مما يذهب فيه مذهب الشعر . ومن هذا القليل الخطب التي تصدر بها بعض التصانيف الانيقة وانشاء المقامات واشباهها . ومتى خوطب عامة الناس والاميون منهم خاصة وجب ان تختار الالفاظ المألوسة والاساليب السهلة والتركييب المشهورة وذلك كما في المواظ والخطب العمومية والاخبار السياسية واشباهها ، ولا بد في مثل هذا من اجتناب الالجاز والتعقيد والتزم الحقيقة دون المجاز

بلياً اذا عربته بلفظه جاء بارداً مستهجنأ فطليك ان تبدله بغيره من تشبيه او استعارة او كناية ينوب منابه في تأدية المغزى المراد

٢- ان الاجانب لقلة المترادفات عندهم يضطرون الى اعادة الكلمة مراراً كثيرة فتجنب متابعتهم في هذا الطريق وعلى الخصوص لان استعمال الضائر مباح عندنا اكثر مما هو مباح عندهم ولان عندنا للكلمة الواحدة من المترادفات ما لا تراه في لغة اخرى

٣- استعمال القيود في مواضعها وان خلت من مثلها اللغات الاجنبية فانهم يقولون مثلاً مجلس ممتلئ وكأس ممتلئة وطرف ممتلئ الخ. ونحن نقول مجلس غاص وكأس دهاق وطرف مغرورق بتخصيص كلمة لكل باب

٤- اذا كنت في مقام قصص وسرد وقائع واستنسبت حذف بعض الجمل او تقديم بعضها وتأخير الآخر فلا بأس من ذلك على شرط ألا يحتل المعنى بل قد يمكن لك ايراد القصة بقلب غير قلبها الاصلي اذا رأيت في ذلك ما يكون اشد وقعاً في النفس

٥- ان كثيراً من الالفاظ تتغير مرادفاتها في العربية بتغير المواضع التي تقع فيها مثلاً كلمة Personne الافرنسية معناها شخص و chose معناها شي . الا انا اذا جمعت الكلمتين فلا نقدر ان نترجمها بالاشخاص والاشياء كما فعل البعض (راجع الغراماطيق الفرنسي والعربي طبع الاباء اليسوعيين) وذلك لان كلمة Personne عندئذ يراد بها ما يعقل وكلمة chose ما لا يعقل . امأ الشخص فعناه الجسم الذي له . شخص او حجية (الكليات) فهو يعم ايضاً ما لا يعقل . وعلى ذلك قول المتنبي :

صائمٌ بابواب القباب جيادهم واشخاصها في قلب خائفها تعدو

فاستعملها للجياد وهي مما لا يعقل . وبناء عليه لا تصح ترجمة Personne

هنا بشخص . ومثلها chose لا تصح ترجمتها بشي . لان الشيء هو ما يصح ان يعلم او يخبر عنه فيشمل الموجود والمعدوم ممكنأ او محالاً قديماً او حديثاً « عاقلاً او

غير عاقل « فهو أعمُّ العام كما ان الله اخص الخاص ولذلك يقال في امثاله انكر من شيء . فيجب او تُترجم هاتان الكلمتان بالعاقل وغير العاقل . وامثال ذلك كثيرة في كلامهم فانقبه اليها

٦- ان كثيراً من العبارات تكون خاصة بلغة من اللغات اي انها تكون مما جرى فيها مثلاً او مما يؤخذ بمعنى المجاز ومثل هذه لا يمكن ترجمتها بالحرف بل يذكر المعنى المقصود بها ضمناً . وقرأت منذ مدة ترجمة قصة السنديانة وفيها ان الصفاة اذعنت لقوة الريح *et ne lui a nullement donné prise* (اي ولم تتعرض لصدماتها) فوجدت الترجمة العربية هكذا : « ولم تعطها قبضاً عليها » وهي الترجمة الحرفية للعبارة الفرنسية ولكنها لا يفهم المراد منها قطعياً والصحيح ان هذا التعبير مأخوذ بقول المجاز والمراد بها انها لم تتعرض لصدمات الريح كما ذكرنا فانظر الفرق بين هذا المعنى وتلك الترجمة . ويقرب من هذا ما نشاهده غالباً في بعض الجرائد مع انه يمكن المترجم اجتنابه بالتروي ومراجعة المعجم

٧- قد يكون لبعض الكلمات معانٍ كثيرة تختلف باختلاف المواضع فاحذر ان تضع المعنى الواحد منها مكان الآخر . فكثيراً ما يترجم الكتاب كلمة بمرادف لا يصلح لها في ذلك المقام فيختل المعنى وتضطرب سلسلة الانشاء . وقد قرأت منذ مدة غير بعيدة في احدى الجرائد تلعرافاً من شغاي هذا هو بنصه « يزداد سكان الولايات الجنوبية بعضاً الاجانب ويتنبأون هنا بمحدث انفجار عظيم في آخر هذا الشهر » اهـ . ولا معنى للانفجار هنـ وان هو الا لغز من اللغاز وطمس من الطلاس . على ان الكلمة التي ترجمة بالانفجار تفيد ايضاً « الثورة والهياج » فلو وضعت احدى هاتين الكلمتين لاستقام المعنى وصحت الترجمة

٨- لا تترجم شيئاً دون ان تكون على بينة من حقيقة معناه واذا التبس عليك فهم فقرة فلا تحاول ترجمتها بما يمكنك تأوينها به لانك بذلك قد ترتكب غلطاً فاحشاً وتنسب الى الواضع ما هو براء من وصته . كما وقع في ترجمة برودة

العارف البوصيري الى اللغة الفرنسية في كثير من المواضع . منها ما جاء في ترجمة هذا البيت :

كأنزه في ترفه والبدر في شرفه
فان المترجم قال :

Comme . . . la lune dans son plein . la mer dans son immensité
et le siècle dans ses soucis

فجعل الشرف وقت تمام البدر . والكرم الاتساع . والمهم المهموم . وهو تفسير غريب في بابه

هذا قليل مما يمكن ايراده من الملاحظات في هذا الموضوع وبقي علينا انه لما كان المعنى الواحد يمكن ابرازه بصور وهيئات متعددة بعضها اوضح من بعض تعين على الكاتب ان يختار من تلك الصور ما كان ابغها وقعاً واسدّها تركيباً ، فانك كثيراً ما تقرأ فصلاً معرباً فتنفّر منه نفسك لما تراه في عبارته من الركاكة ثم تراجع في اصله فتجد الفرق بين النسختين كالفرق بين الثريا والثرى . والافكار السامية اذا أبرزت بتعابير ركيكة ناقصة المدلول تفقد قيمتها وتضيع فائدتها وتكون كأمر يظهر باثواب رثة وهيئة زرية فتزول عنه دلائل رتبته ويصير مجلبة لاحتقار الناظرين اليه وهذا شأن كثير من الكتب الجليلة التي عربت تعريباً سخيلاً فأعرض عنها الناس وربما نسوا عيبها الى . ولفها بزعم ان المترجم نقلها كما هي وما كان عليه ان يصححها ويكسبها رونقاً من عنده . وأغرب من هذا كله ان جماعة من المشتغلين بالترجمة يدعون ان ما يلفقونه من التراكيب غير العربية هو من محاسن الانشاء الافرنجي التي تقتصر اليه لغتنا ، ومن ثم صاروا يتدغنون بها كلما كتبوا جملة وخاضوا في موضوع . وفاتهم ان اللغة فيها من اساليب التعبير ووجوه الكلام ما تضيق به على سعتها عن قبول ما يدخله فيها امثال هؤلاء « النيبولوجيين » وان الفائدة انما تقوم بنقل علوم القوم وآدابهم الى لغتنا لا بتشويه محاسنها ببعض عبارات سخيفة تزيد ان تكمل بها نقص افصح اللغات ولا ينبغي ان اكثر الكتب

المتداولة بين ايدي الناس في هذه الايام هي مما يعرّب عن الافرنج ناهيك عن الحرائد السياسية والمجلات العلمية والادبية التي اكثر ما فيها منقول عنهم وفي بعضها من التراكيب البعيدة عن مواطن الفصاحة ما ياباه الذوق بل هو مما يفسد ملكة القراء ويكون مزلّة لهم ، وربّ قراة تسفّحت قرارا ، فاذا لم ينتبهه كتابنا الى هذا الامر فشا الخطأ وعمّ الخلل وصار من الصعب اصلاحه .

من خطاب الى السوريين في اميركا

« لداود افندي بركات »

يا ايها السوري الذي هجر ربّي لبنان واربابه ، وبيع سوريا ومراتها ، الى بلد اتزل الله عليه الخير والنعمة طلباً لتلك النعمة وذلك الخير ، وعلى قلوب اهله النشاط والحرية والمهمة والعلم والمدنية طلباً لتلك الصفات الجميلة والحلال الحميدة . يحبك اليوم من هاجر هجرتك واغترب غربتك ويعد اليك من فوق البحار يد الاخاء يحثها لمصالحك توقان اليك هو توقان الى نفسه ، وغيره عليك هي غيرته على ذاته ، وشغف بك هو شغف بحاله . يرقب في الرقي والنجاح خطواتك كما يرقب خطواته ، ويسير في مصر الهويثا الى مرامي آماله الكبار ومنازع نفسه ليل نهار . وعين منه الى طريق افلاحه واخرى الى منهج اخيه في العالم الجديد في سبيل نجاحه . فاذا كنا على صلة ما وعلاقة بالتجارة والصناعة والجمعيات والحياة المشتركة فان لنا في تلك الارض التي هجرناها وابلاد التي انبتتنا فاجبناها عروة وثقى تربط متفرقنا وتجمع شملنا بل مرجعاً واحداً يجمع شتاتنا ويوحد امانيتنا ، فاذا تداعى منا عضو في بلد من بلاد الله او في قطر من اقطار اليابسة تداعت له سائر الاعضاء . فعين تدمع في اطراف اميركا تدمع لها كل عين في سوريا ومصر بل في كل قارة ويبس من العلم حيث يقيم السوري او يتزل . وتقر يديم في فيافي السودان تبسم له تقور اخوانه في كل مكان . فاذا ما اتيج لنا ان نتأجج على صفحات الصحف وليس لنا وسيلة للمناجاة

غيرها اطلقنا هذا القلم الضئيل يحدث اخواناً بما تكن الصدور وتسر النفوس
وتخفي الضائر

اخواننا المهاجرين تركتم بلاداً انبتكم الى بلاد آوتكم فاذا كان للثانية
فضل المضيف فان للاولى فضل المبيت والوالد والمرابي المحب . ولقد كنتم بررة
بتلك الام التي رضعتم افوايق اخلاقها وآدابها فنفتحوها بشمرة ايديكم وجنى
نشاطكم واقدامكم فصارت سوريا على شيء من الثروة والغنى اذا لم تحسدها
سائر الاقطار فانها هي ذاتها تغبط نفسها ببنين جابت ارجلهم كل ارض تشرق
عليها الشمس بل ان الشمس لا تشرق الا على ارض ليس فيها سوري حتى صار
من حقوق سوريا اذا رأت سحابة في الافق ان تقول لها امطري حيث شئت فان
لي من نتاج خيرك نصيباً بفضل ابنائي . لكن هذه الغبطة تشفق ان تكون ذات
يوم غصة اذ تضع قوة بلادنا الهاجرة ارضنا وتنكرنا سلالة تلك القوة ان لم
تعرفها ولم تعرفنا ومن لا يعرف شيئاً كيف يحبه

اجل ان سوريا تشفق منذ الآن من ذلك اليوم العصيب الذي يصيبها فهل
ترونها يا ابناءها الذين تجبونها ان تكفوها مؤونة ذلك اليوم الذي تقف فيه
ناظرة الى مئات الالوف من خيرة ابنائها وقد هجروها بتاتاً ونسوها نسياً تاماً ولم
تعرفها سلاتهم

الا ان لسوريا حقاً تطالبهم به منذ الآن . فاسمعوا صوته الصارخ ولبرا
نداءها العالي، وثقوا انه لا يجتمع الآن سوريان حتى يتحادثا باخوانها المهاجرين
ومآلهم . فاذا كانت الصحافة بينكم قد خلقت لكم جامعة وذكركم بايام
الصبا ومراتعه وجمال لبنان وبهجة دمشق ورواء حلب وخصب حمص وكرم
الاهل ومحبة الاوطان فهل يكون ابنائكم مثلكم وهم لم يتعلموا لغتكم ولم
يدوقوا لذة بلادكم ولم تنطبع على قلوبهم وادمغتهم محبة ارضكم . سائلوا ايها
الاخوان انفسكم معنا واحيروا الجواب الذي يرضينا ويرضيكم احيروا هذا
الجواب المرضي بانشاء المدارس التي تعلم ابنائكم لغتكم وتاريخ بلادكم واحفظوا

لاولئك الابناء تلك الحنسية الثمينة لانها لا تضر بكم في دار هجرتكم وهي تنفعنا وتنفعكم لانها تحفظكم لنا وتحفظنا لكم ، ولأن لبلادكم مستقبلاً زاهراً كثرُبُ إليه الاعناق منذ اليوم فانتم احق به من كل مهاجر ، لان السكك الحديدية بدأت بتقريب الابعاد وتقصير المسافات وتعمير الاراضي الخصبه التي لا نظير لها في الحُصْب والجودة في سائر المعبور . فقد باتت حلب على مسافة يوم من بيروت ، وغداً تبيت الاناضول على مسيرة يوم منها ، وبعد غد قصير سهول العراق ومعادن تدمر ومنابع الزيت في ديار بكر على مقربة من اطراف سوريا بل ان سوريا ستكون غداً ما كانته قديماً طريق الشرق الى الغرب وطريق الغرب الى الشرق . وهذا الغد غير بعيد نود ان نراكم فيه معنا بما نعرفه فيكم من النشاط وبما عندكم من رووس الاموال فتعمرون ارضكم البائرة الجميلة حيث تجدون العزة التي لا تجدونها في الغربه مهما علا شأنكم وكبرت ثروتكم لان الغريب كافرسة تفلح من منبتها

اللغة والتوسع في الاستعمال

« من مقالة للشيخ محي الدين الحياط »

... ثم لا بد لنا هنا من التنبيه على امر ذي بال وهو ان اللغة العربية لا تحيا الحياة الطيبة ولا تنتشر انتشاراً واسعاً في هذا العصر الا باستعمالها دون اعنات ولا تضيق على الوجه الذي اتصل بنا من ابنائها الاولين ، تقبل الدخيل فتعربه وتعهده منها وتتصرف به وتتوسع في المجاز والاستعمال كما توسع ابناؤها لاصليون بشرط ان تكون خالصة من شين اللحن ورثاة الاسلوب وان تتجنى عن التعر في انتقاد الالفاظ الحوشية القلقة المهجورة وان تبعد عن الاغراب او « المعضلة » على رأي البيانين في التركيب وان لا يسرع المشتغلون بها الى اعتقاد الخطأ في ما يترأى لهم انه مخالف لا تعلموه من الرسوم او القواعد التي وضعها الراضعون على حسب ما اتصل بهم من كلام ابناء اللغة الاولين اذ الناقد البصير يعلم ان تلك الرسوم

او القواعد غير ضابطة وغير مستقصية لانه لم يتصل بواضعها الا القليل من كلام
أبناء اللغة الاولين كما حققه المحققون وما اتصل اليهم مما خالف تلك الرسوم سئوه
شاذاً ثم لم يميزوا ان يقاس عليه

الدخيل

ترى بعض الكتبة او الشعراء يأبى او يأنف من استعمال الدخيل الذي له
مرادف في العربية ولم يعلم ان القرآن الكريم نفسه استعمل الدخيل مع وجود
المرادف له وقد نسج على منواله جميع كتاب العربية وشعرائها بلا استثناء ، او
لعل اكثرهم يخفى عليه ما استعمله والا فأي لفظ دخيل يتعذر وضع مرادف له .
لكن النزوع الى المرادف قد يفضي بعض الاحيان الى الاعانت فضلاً عن ان
الدخيل مما يزيد في ثروة اللغة ولا يجعلها ضمن دائرة مفرغة الحلقات وان كانت
هي من اغنى اللغات . وذلك الآن هو شأن اللغات الحية التي تقبل كل دخيل ،
على انها ان لم تقبله اختياراً فقد قبلته وستقبله اضطراراً جرياً على الناموس
الطبيعي العام

ولو بعث الله روح الشهاب الحفاجي (صاحب شفاء الغليل) فيا في كلام العرب
من الدخيل وصاحب الانتقاد على درة القواص (الى عالم الاحياء ورأى الالفاظ
العصرية التي أوجدها العلم العصري الحاضر واطلع على تطور أساليب الكتابة
وتوسع الكتبة في الاستعمال لضم الى كتابه الشفاء عدة كتب مؤلفة من ألفاظ
القوتوغراف والفونوغراف والسنغراف والتلغراف والغاز والاتومويل والبالون
والرابور والوف من أسماء الآلات الميكانيكية وسائر ما اخترع في هذا العصر
وعداً من اسكار افكار ابنائه . ولزاد على انتقاده تلك الدرة درة القواص درراً
ناصعة بالمجاز لامة بالقياس والتوسع في الاستعمال



اللغة العربية واللغات الاوروبية

« من مقالة لجبر ضومط »

اللغات الاوروبية لاول امرها

كانت مدارس الاندلس العربية في ابان عزها بالنسبة الى بلدان اوربا كمدارس اوربا واميركا اليوم الى البلدان العربية في آسيا وافريقيا . وكانت اللغة العربية لغة العلم ومنها يترجمون . ولكن لغات القوم حتى ارقاها لم تكن تقوى على ان يؤلف فيها ولذلك كان علماءهم وادباؤهم يعتمدون على اللاتينية ويؤلفون فيها . والذي في ذهني ان العلامة نيوتن الانكليزي كتب كتبه العلمية في اللاتينية لا في الانكليزية في اواسط الجيل السادس عشر او في اوائله بدأت النهضة الاوروبية الحالية واخذ الكتاب الفرنسيون والانكليز والجرمان يضعون الكتب في لغاتهم او يترجمون اليها ما في خزائن اللغتين اليونانية واللاتينية . فاخذت هذه تتدرج في اتساعها وغناها شيئاً فشيئاً حتى بلغت ما بلغت بعد نهضة استمرت في سيرها الى الآن من غير ان تقف نحواً من اربعمئة سنة ونيف اي منذ اكتشفت اميركا الى اليوم ولا تزال حركة هذه النهضة على مثل ما كانت عليه بل هي اليوم على اسرع ما بلغت من السرعة واوسع ما بلغت من الاتساع

قلت ان القوم اي علماءهم وادباءهم كانوا يكتبون ويؤلفون في اللغة اللاتينية حتى القرن السادس عشر ثم منذ حينئذ صارت مؤلفاتهم وكتاباتهم في لغاتهم الا ما قل منها فاخذت تلك اللغات تزداد توسعاً وارتقاء حتى بلغت ما بلغت الان . وكانت تنظر في بدء نهضتها تلك الى العربية وتحسدها على غناها وجمالها فاصبحت اليوم وقد انقلب بنا الحال فاصبح من كان حاسداً محسوداً ومن كان غنياً فقيراً وبالعكس

ولابد لي من ان اشير الى ان النهضة الاوروبية الاخيرة كان سببها نهضة قبلها وهي

نهضة الاجيال المتوسطة وكان بدء هذه النهضة الاولى رجوع الملوك والامراء الصليبيين من الشرق ولاسيا من سوريا وفلسطين مغلولين مقهورين

والذي احب الاشارة اليه تلميحا هو ان الاوربيين منذ ايام الغزوات الصليبية الاولى وابتداء فشلهم فيها انقبهوا لانفسهم فرأوا ما هم فيه من الجهل والانحطاط بالنسبة الى الممالك الاسلامية في الشام ومصر واخذوا في تلافي امرهم فبدأوا بانشاء المدارس الكلية والجامعة ويرجع عهد بعض تلك المدارس في فرنسا وجرمانيا الى اواخر ايام الحروب الصليبية . وكان الذين يرجعون الى اوطانهم الغربية من الشرق يحملون معهم افكارا جديدة ومبادئ جديدة وبالاجمال يحملون مبدأ نهضة فكرية اجتماعية دينية كانت سببا في زعزعة ثقتهم بالحالة التي كانوا فيها وبالعلم والآداب الدينية والاجتماعية التي كانوا يرونها كالوحي المزل لا يجوز لهم الخروج عنها او تعديلها بوجه من الوجوه . فلم يأت الجيل السادس عشر حتى كانوا تشرّبوا افكار الشرقيين وعلوم الشرقيين اعني العرب في الشام ومصر وفي مستعمراتهم في اسبانيا وفي العدوّة المقابلة لها في افريقيا . وتمّ لهم في بدء ذلك القرن امران الاول غلبتهم على التفوق الشرقي العربي باستيلائهم على الاندلس كلها وابعاد العرب عنها لم يبق فيها منهم الا من انتحل النصرانية . وهذا وان كان من الاهمية بمكان عظيم الا ان الامر الثاني وهو اكتشاف اميركا واكتشاف طريق رأس الرجا الصالح كان اهم من الغلبة على العرب في الاندلس وطردهم عنها

سبب أهمية التغلب على الاندلس واكتشاف اميركا
وطريق رأس الرجا الصالح

الانقلاب كما لا يخفى ذل والغلبة عز . الانقلاب يدعو الى الحذل وقصر المطامع والرضا بالحاصل ، مهما كان ، خوفاً من الصيرورة الى ما هو ادنى وادهى والغلبة تدعو الى عكس ذلك كله . ان طرد العرب من الاندلس كان بمثابة احساس لاوروبا بالغلب ، وأما اكتشاف اميركا فكان لاوروبا غلباً ظاهراً فعليا ،

وقد استمر لها هذا الثلب مدى ثلاثة سنة كانت في اثنائها تزايد غنى وجاها . وكذلك اكتشاف طريق رأس الرجا الصالح فانه ادى الى سلسلة انتصارات على شعوب افريقيا واسيا وغلبة على ممالك كان لها الثلب سياسة وتجارة وصناعة على ما سواها من الممالك . وكل هذا جعل نهضة اوربا على نحو وقوة سنة بعد سنة وجيلاً بعد جيل الآن وعلى ذلك كان الحال في الشام ومصر والعراقين وشبه جزيرة العرب قلت ما قلت لا ذكر العارفين بالتاريخ ان اوربا بدأت تستيقظ من جهلها على عقب الحروب الصليبية واما نهضتها العظيمة فبدأت باكتشاف اميركا واكتشاف طريق رأس الرجا . واما مصر والشام والعراق فبدأ جودها ونومها منذ ابتدأت اوربا تستيقظ واخذت بالتراجع منذ بدأت اوربا بالتقدم وقد ابتدأ تقدم اوربا وتاخرنا نحن منذ اكتشاف اميركا اي من اربع مئة سنة ونيف

اللغات تابعة ابدًا لاحوال المتكلمين بها فاذا تقدموا وسادوا تقدمت وسادت واذا تأخروا وذلوا تأخرت وذلت . بدأت اللغات الاوربية بالتقدم منذ ابتداء القرن الثالث عشر او ما قبله قليلاً فابلت او اخر القرن السادس عشر حتى كانت قد اصبحت على مستوى لغتنا العربية في ابان نهضتها وعزها او تكاد . ومنذ ذلك الحين ما زالت اللغات الاوربية في تزايد من غنى وارتقاء والعربية في تزايد كذلك ، لكن من فقر والمخاطات الى اواسط القرن الماضي فان العربية استيقظت حينئذ باستيقاظ الدولة المصرية المحمدية العلوية واستيقاظ العاشر اللبنانية معها وساعدها في يقظتها هذه الارشاليات الكاثوليكية والبروتستانية بما شادته هذه الارشاليات من المدارس العالية وبمن علموهم فيها من نخبة ابنائها وابناء السواحل السورية . وزاد في اتساع هذه النهضة ان اكتشفنا بالمهاجرة طريق اميركا من جديد وطريق رأس الرجا الصالح ايضاً فلم نبلغ القرن العشرين حتى استردت لغتنا العربية ما كانت خسرت في زمن المخاطاها واستأنفت فوق ذلك كما اعتقد شيئاً من التقدم الذي تتمتع فيه خطوات اللغات الاوربية

وها نحن الآن نحاول ان تصل العربية في قرن الى ما وصلت اليه لغات اوربا

في اربعة قرون ، على حين لا تزال اوربا سائدة ونحن مسودون ، وظافرة ونحن مظلورون (أي مظلور بنا) ومبتكرة ونحن مقلدون ، ومتبوعة ونحن تابعون وعالمة بما تصنع ونحن جاهلون ، وفوق ذلك هي مطلقة ونحن مقيدون . وذلك بما لا يكون بل لا بد لنا من الزمن الكافي لتبلغ لغتنا العربية في العلوم والفنون ما بلشته الانكليزية والفرنساوية . ولولا اني اعتقد ان الاستعداد الفطري فينا وفي لغتنا العربية اقوى اجمالاً من استعداد الغربيين ولغات الغربيين لقلت انه يستحيل علينا اللحاق بهم بعد ان سبقونا هذا السبق البين في اثناء المدة التي اشترنا اليها الا اذا حدثت من الحوادث ما أخرهم وقدمنا وفلاً من عزهم وارهف عزمنا وكل ذلك بما ليس في الحسبان بل ليس في أفق آمالنا ما يشير اليه

النضال القديم بين الغرب والشرق

« بقلم انيس الحوري المقدسي »

مسألة الشرق والغرب قديمة جداً ترجع الى ما قبل التاريخ المدوّن . وأساسها تنازع متواصل بين شعوب اوربا وشعوب آسيا على السيادة والتجارة . فما اسفار الفينيقيين البحرية ، وما حروب الفرس واليونان والروم ، او غارات المسلمين والصليبيين وحملات الاتراك والاوربيين ، بل ما المسألة الشرقية المشهورة ، إلا حلقات من سلسلة واحدة هي ذلك النضال القديم الذي عرفته شواطئ البحر المتوسط منذ برزت من تحت المياه واصبحت صالحة للحياة

على انه لا يعني بالغرب في مجئنا الآن كل امم الغرب ولا بالشرق كل امصاره وعناصره بل يواد بالاول الشعوب السائدة المتسلطة اقتصادياً على سواها ويواد بالثاني الشرق الادنى اذ هو منشأ المدنية الروحية التي امنت دوراً مهماً في تاريخ العالم . ولكي يسهل البحث علينا في هذا الموضوع ويكون الحكم فيه اقرب الى انصواب رأينا ان نقسمه الى قسمين رئيسيين وهما :

المدنية الغربية

او المدنية الحديثة قائمة على ثلاثة اركان هي : العلم والنظام الاقتصادي وروح التعاون

فالعلم - وهو معرفة نواميس الطبيعة واستخدامها قد سهّل على الانسان اسباب التقدم وفتح له ابواب النجاة . به اكتشفت مجاهل الياسة وعرفت مسالك البحار وقبض على أعنت الكهرباء ، والبخار واخترت احشاء الفضاء فاصبح الانسان سلطان الاكوان . ولا حاجة الى ذكر ما للعلم من الشأن في ترقية المجتمع البشري فذلك امر لا يحمله احد اليوم . على انه لا بد من كلمة تزيل بيا بعض ما قد يعلق في اذهاننا نحن الشرقيين عند سماعنا لفظة علم . فاننا لا تزال نطلقها على علّاتها فنقول علم الكلام وعلم اللاهوت وعلم الادب وعلم النحر كما نقول علم الهندسة وعلم الطب وعلم سلك البحار وعلم الآلات . وانما يراد بالعلم الذي هو دعامة المدنية الغربية العلم المبني على درس احوال الطبيعة وفهم نوااميسها واستخدامها لفائدة الانسان . فان العلوم الكلامية مع سموها لا تحسب في المدنية الحديثة الا عوامل مساعدة لا اركان رئيسية . هذه الدول التي زارها تتعاضم وتتبسط شرقاً وغرباً قد جعلت معارفها على العلم الطبيعي فاستخدمته في مصانعها ومتاجرها وسفحرت لجيوشها واساطيلها وجعلته عدتها في فتوحها وغزواتها . العلم الذي ينمي الثروة ويزيد قوة الانسان ويدال له العقبات الطبيعية هو الذي يقوم عليه العمران الحديث

نعم لم تخلُ مدنية ما من شيء من العلم ولكن اية مدنية تقدر في ذلك بالمدنية الحديثة ؟ اي شعب استخدمته لسيادته ومجده وثروته كما تستخدمه الشعوب السائدة اليوم ؟ فهو مفتاح عظمتهم وبه تغلبوا على سواهم وبدونه لا تستطيع امة ان تتخلص من قبضتهم

النظام الاقتصادي - واهم اركانه المال . فهو بلا سراء دم العمران ومجرى

الملك او الرئيس او تحت هيئة خاصة هي مجلس الامة لكي تسير في طريق التقدم والنجاح . فالامم المتخاذل افرادها لا ترى لها من رأي عام تحقومه ولا شريعة تحافظ عليها وبالتالي لا وطنية لها فهي مفككة العرى اذا اجتمعت على امر قالى حين ثم تعود الى التخاذل والتباغض . والتاريخ شاهد على ان الشعوب الغربية كانت ولا تزال اكثر اهتماماً بالعصبة الوطنية من الامم الشرقية ولذلك قويت واشتد امرها وتفردت بالسلطة والجاه والثروة

٢- الثقة بالنفس : وهي ايضاً من دلائل روح التعاون في الامم : تظهر في القيام بالمشاريع الكبيرة وتكريم ابطال الوطن ونوابه . فان المشروعات الكبيرة لا تقوم في امة من الامم ما لم يكن في افرادها ثقة متبادلة تسهل لديهم انشاء الشركات والجمعيات والمحافظة عليها . كذلك قل في تكريم الابطال والنوابغ وتعظيم ما يقومون به من الاعمال فا ذلك الا ثقة الفرد بأمته وهذه الثقة تدفعه الى احترامها واحترام نفسه والمباهاة بوطنه وبذل نفسه لاجله . وما احوجننا نحن الشرقيين الى هذه الروح روح احترام النفس والثقة بالمواطنين . بل ما احوجننا الى ما للغربيين من الميل الى تكريم العظماء وتقديس اعمالهم او قل الى ستر معاييبهم بدلاً من تشهيرها وبراها بحجة ليعون الآخرين . الثقة بالنفس نسمة من نسمات الحياة القومية فهي لا تظهر الا في الشعوب الحية القوية ، وهي التي تدعم دستور البلاد وتقوي روح الشريعة ، هي التي تسهل انشاء الشركات والمجالس او هي التي تربط افراد الامة برابط الوطنية الحققة والمصالح المتبادلة فيستطيعون ان يسيروا معاً متكاتفين متضامنين

الغربي يثق بنفسه ويثق بوطنه واهل بلاده وهذا هو السر فيما زاه من تضاول الترقين وتضاعفهم امامه حتى في عقر دارهم . فهم يوثرون كل ما هو غربي ويعظمون كل ما هو اجنبي ويعتقدون ان لا خير ولا صلاح الا فيما ينشأ من الغرباء . مرض سرى في عروق الشرقيين على اختلاف تركاتهم حتى اصبح استنصاه من اعسر الامور لا سيما وان احوال الشرق الدينية وتقني الدعوات

العربية فيه عن طريق المدارس « اللاتونية » اي المدارس التي تحاول قتل لغة البلاد وتاريخ رجالها لا تزال ترمي الى تقوية هذا المرض وتسميم النفوس به ولا شك ان للامتيازات الاجنبية يداً قوية في تعميم هذا الداء . فهي اقرار من الشرقي انه اقل ثقة بنفسه منه بالعربي وتباً من العربي بذلك . او هي صورة . منصوبة امام الامم الشرقية لترهيم ضعف نفوسهم وتحاذلهم ازاء الامم الغربية الغرب غير كامل وفيه كثير من المعاييب الفادحة التي لا زها في الشرق ، فيه روح الاثرة والطمع والشهوة ولكن فيه ايضاً كثير من المزايا الفاضلة التي يجب على الشرق ان يتعلم بها واهما ما قد مر . معنا بيانه

المدينة الشرقية

ان حياة الشرق اليوم مزيج غريب من بعض مظاهر المدينة الغربية وبقايا المدينة الشرقية القديمة . واعني بالمدينة الشرقية تلك المدينة الروحية التي لم تنشأ بالعالم ولم تشد على مبادئ المادة . بل ظهرت وامتدت وسمت بالعواطف وسادت على العالمين بالدين ، تلك المدينة التي انشأها الاتياء على نواميس النفس محتقرين مطالب الجسد ورفعوها على دعائم الروح غير مكترئين للطبيعة ، من برية سيناء وصحراء العرب وعلى ضفاف الاردن وبحر الجليل ظهرت شرائع الحياة الشرقية التي امتدت غرباً وشرقاً فقوضت الحضارات القديمة وتجمست في قوتين كبيرتين واحدة تعلبت على الشرق الادنى وهي الاسلام والثانية تعلبت على الغرب وهي المسيحية

ومع ما بين هاتين القوتين من الاختلافات فانهما ترجعان الى مبدأ واحد
او روح واحدة قوامها

١ - التسليم المطلق للعناية الالهية

٢ تعظيم الآخرة واحتقار الحياة الحاضرة

وليس الغرض ان تنفرغ لشرح هذه المبادئ الالهية فتتعدى على حقوق اللاهوتيين والفقهاء . انما الغرض ان نلفت النظر الى تأثيرها في حياة الشرقيين لما

لذلك من العلاقة الحيوية يبحثنا الحاضر

فالشرق كما ذكرنا آنفاً مزيج من عنصرين احدهما اكتسبه بالتقليد وهو مظاهر المدنية الغربية والثاني ورثه بحسب النبوة وهو مبادئ الحياة الروحية . فبينما نرى الغربي ذا المدنية العلمية الصناعية التجارية عزوماً فعلاً يثق بنفسه ويتكلم على ذراعه نرى الشرقي وارث المبادئ الروحية والنظريات السماوية قنوعاً عطوفاً راضياً بما قسم له . وبينما نرى الغربي خدوماً للمصلحة العمومية عاملاً على ترقية المجموع نرى الشرقي معنياً بالمصلحة الخاصة قليل الاكتراث للمصلحة العامة . ذاك يعيش في الدنيا كأنه خالد فيها فعني بدرس احوالها واستخدام نواميسها والاشتراك مع سواء في تحسينها ، وهذا يعيش كأنه على سفر فلا يهتم بما حوله من امور دنياه ولا يبالي بما يسعد اخاه

الغربي العالمي يحب النظام ويحترم الدستور لمعرفة ان في ذلك صلاحه وراحته والشرقي « الاثري » ينظر ابدًا الى ما وراء الوجود فيعيش على متون الاثيرة شريعته إلهية يراد بها في الاكثر حماية الضعيف والبائس لا خدمة الجمهور وترقية الجنس فهو لذلك لا يطيع شريعة بشرية او نظاماً طبيعياً إلا اذا كان منفذ الشريعة والنظام مستبداً قوياً . ولقد صدق من قال لا يصلح للشرق إلا مستبد عادل . والمدقق في حالة الشرقي العقلية يجد انه كفرد شديد العواطف حاد الذهن كثير النباهة وربما فاق الغربي في هذه ولكنه ينقصه مزايا التعاون والاجتماع التي هي ضرورية جداً لارتقاء الشعوب

الخلاصة

والخلاصة ان الغربي يفوق الشرقي في الحياة العملية - في اهتمامه بالعلم الطبيعي ومخلفاته على النظام الانساني . على ان الشرقي يفوق الغربي في العواطف الروحية والخضوع للأنظمة السماوية . قال احد الكتبة الغربيين في مجلة اتلانتيك Atlantic الميركية : « بماذا يفتخر لنا نحن الغربيين على سوانا ؟ أبقرانا العقلية وعواطفنا العقلية ؟ كلا فنحن دون الشرقيين في ذلك . ولكننا نفاخر شعوب الارض قاطبة

بجياتنا العلمية ونظامنا الاقتصادي فبها قد سدا على الآخرين وبهما ستبقى لنا
السيادة في كل حين . - وهو لعمرى كلام وجيه . نعم بذلك يفوق الغرب على
الشرق وليس للشرقيين من أمل في الحياة والتقدم الا متى أضافوا الى مزاياهم المبنية
على العواطف الروحية مبادئ العلم والعمل فيندفعون الى الامام وهم مرتبطون
مما يرباط التضامن والتعاون متحدون في سبيل المصلحة العامة والافباطل كل سعي
لهم نحو الحرية وعبث كل ما يبذلونه في سبيل الاستقلال

الاصطياف

« ليوسف غضوب »

من كتابه (اخلاق ومشاهد)

من المدينة وضواحتها ، والشوارع وغابرها ، والمكاتب وارقامها ،
والتجارة وهموها

الى راية عالية هادئة صامتة ، متوجة بالصنوبر النض يلتف من حول بيت
صغير معمّم بالقرميد الاحمر ينفسح امامه الافق الواسع ويطوف به اريج الازهار
وتفرد له الاطيار في الاسعار . معلق بين الارض والسماء تكاد تنسى فيه متاعب
الحياة واوبئة المفاسد والاخلاق

الى النهوض في الصباح على نشيد البلبل وهينمة الاغصان . ترسل اليك
الشمس من النافذة خيوط نورها تلمسك في الجبين ، تقبل شعرك ، تقول لك
انهض وانظر ملكة الهاء صاعدة في حلالمها الذهبية من وراء صنين . تراقبها
القيوم البيضاء ساجدة كأجواق الملائكة من حولها . واجبل يرتدي معطفاً من
الالوان ، تتغير من آن الى آن . والوهاد تنفث ما بقي فيها من ظلام الليل ،
والاجراس ترن بعيدة وقريبة تنادي الطبيعة أن هي من رقادك . والديك يتلو
صلاته امام صفحة الفجر

الى كتاب ادبي تتأبطه الى عين خراة ، بين صخور قائمة ، في ظل سنديانة

هرمة . تقرأ تارة وتفتح تارة صدرك للنسيم العليل تتدود منه صحة وعافية وترسل طرفك الى قرى في سفح الجبل امامك كأنها قطع الاغنام ، دهمها الذئب فهي متلاز بعضها الى بعض ضمن إطار من الاشجار الخضراء او من حقول القمح الذهبية الى بندقية تغدو بها الى الادغال الى الاودية العميقة والقمم العالية تترقب الطير وتتبعه . تتعلق اذبالك بالعوسج وتتسلق الحافآت . وقد تزل بك القدم وقد تحب سدى فتصوب فوهة البندقية الى هدف وتطلقها فيرن صداها في الوادي ويمتد ويتجاوب من مكان الى مكان كأنه أفاق في بطنها طائفة من الجن فهي تتصايح وتتنادى وتتشاور على من نعص عليها سكونها وسباتها . ثم تجلس بعد التعب وتصفح الطبيعة وما فيها من جمال وجلال . او تهوي الى نبع ترتشف منه الزلال بجفني يديك وتبلل صدغيك بمائه البارد

الى جلسة على قمة الجبل عند المساء والشمس مائلة الى الغروب تتداني قليلاً قليلاً من الافق وامامها غيوم مختلفة الالوان والاشكال تارة تشبه جيشاً وطوراً تشبه مسبعة فكانها صور متحركة على ملاءة اللانهاية والبحر كالصفحة الفضية ممتد واسع قد قسمته الشمس بصولجانها الذهبي فتتنازعه الغيوم ترد عن البحر نور الشمس والشمس تغذ فيها سهامها فتسكب الدماء . فيتخرج الافق فتعوي الشمس مغلوبة على نفسها كأنها تنطق . في عباب الماء ، وكأنها وهي تودع الطبيعة متألمة حزينة تقبل نوافذ بيوت انسان وتقبل ثلج صين فتترك من نفسها شيئاً يبقى فيها بعد قضائها

الى سر تحت النجوم الزاهرة والقمر يتهادى بينها كالقنق الغر بين جماعة من المتطرفات ، وبيروت ممتدة امامك تشع بالانوار تنفصل منها من حين الى آخر نجوم السيارات فتخفي في منعطفات الطرق ثم تبدو على اكتاف الروابي ثم تسمع دويها بين يديك

وانت طائر على اجنحة الحيل اذا بصوت رخيم يزيق اسدال الظلام وينبعث في سكون الليل فتحنج احشاؤك وتظل به . مسحوراً

الى اللذة النفسانية والمشاهد الطبيعية والصحة والراحة والهناء
 لا الى مائدة خضراء تحفُ بها الوجوه الصفراء . والاعين الملتهبة والقلوب
 المضطربة والايدي المتقبضة يجلس اليها الفتى غنياً سليماً ويقوم عنها فقيراً مريضاً
 لا الى مراقص تفسد الاخلاق ، وتسلب العقول وتدور بالقلوب كما تدور
 لا الى الكاس والطاس والتمرُّغ في حمات الخمر يسخر بك المادة ويكرهك
 ذووك

جمال الطبيعة

« بقلم كرم البستاني »

احد مثني (لسان الحال)

ان كل من يحب الطبيعة يراها جميلة في كل احوالها وفي مختلف هيئاتها
 ومن تراه لا يحب تغلق ستار الليل عن مبسم الفجر وتدافع امواج الاشعة
 على رؤوس الجبال تدافع الغمام في السماء ؟
 ومن لا يحب ظهيرة الصيف عندما تبث سلطنة النهار بالحياة المشتعلة الى
 قلب الارض ؟
 أم ليل الشتاء عندما تلقي الطبيعة على وجه البسيطة ملاحف الثلوج البيضاء
 تتلأل في الليلة الصاحية تحت لمعات النجوم كأنها بحر من الماس ؟
 أم لواء المغيب عندما ينطوي عن منظر يأخذ بالقلوب ؟
 أم لطف نسيم المساء الجميل . أم زمزم الرعود ، وهدير العواصف وعويل
 الرياح وتكسر الامواج . أم كل ما يبدو من العوامل الطبيعية التي نحس لها
 وقعاً في نفوسنا ؟

بيد ان اجمل مشاهد الطبيعة هو اليوم الماطر ، لا ذاك اليوم الذي يفاجئك
 بسيله العرم ، بل الذي متى نهضت صباحاً من سريرك وأزحت ستائر نافذتك
 رأيت فيه المطر ينهال على مهل انهيالاً متواصلاً كأن الدنيا لم تعرف منذ كانت

صحوا . ويبدو لك حينذاك جمال البيت ولذة الاجتماعات العائلية حول المواقد او
الموائد يتجلى فيها الحب الاهلي ، وتبين لك في الافق الوان غريبة ، والاشجار
كانها اشباح تحفق فوقها الارواح ، تمد أذرعها نحو السماء كأنها رهبان خشع ، وتحس
الارض تصلي ، والسماء شاحبة ولكنها مضيئة ضياء تخفي معه عظمة النهار الشاس
حتى اذا أمسى السماء خلتها كأنها اقتربت من الارض لتحتضنها وتحبها
ليست القطرات المتساقطة الا رسلاً سماوية تبشر بالخير والبركات . وماموسيقى
وقعها على الارض الا أغردة حياة تهبط على البساتين والحقول والبيوت والطرق
اجل ان لليوم الماطر ألحاناً خاصة ، وما أصوات الانسان والوحوش على اختلافها
ودمدمة الدوايب ووقع الخطى الا بخفاقة تحت ستار المطر الحريري
ان اليوم الشاس يوم محبوب بجماله وضيائه ، غير ان النفس اكثر اتحاداً
بكدرة التأم وما يلبده في النفوس من غمام السويداء منها بصفاء السماء ، وما
يجلب معه من بهجة

ايها الريح

« لجبران خليل جبران »

تمر أنا مترنخاً فرحاً ، وآونة متأوهاً نادياً ، فسمعك ولا نشاهدك ، ونشعر
بك ولا نراك . فكأنك بحر من الحب يغمر ارواحنا ولا يغرقها ، ويتلاعب
بافتدنا وهي ساكنة

تصاعد مع الروابي وتنخفض مع الاودية وتنسبط مع السهول والمروج .
ففي تصاعدك عزم ، وفي انخفاضك رقة ، وفي انبساطك رشاقة . فكأنك مليك
دؤوف يتساهل مع الضعفاء الساقطين ويرفع مع الاقوياء المتشاكخين
في الحريف تنوح في الاودية فتسكي لنواحك الاشجار ، وفي الشتاء تنور
بشدة فتشرد معك الطبيعة بأسرها ، وفي الربيع تعلق وتضعف ، ولضعفك تستفيق
الحقول ، وفي الصيف تتوارى وراء قلب السكون فنخالك ميتاً قتله سهام
الشمس ثم كفته بجرارتها

لكن - أنادباً كنت أيام الحريف ام ضاحكاً من خجل الاشجار بعد .
 عريتها من ملابسها ؟ أغاضباً كنت ايام الشتاء ام راقصاً حول قبور الليالي المكسرة
 بالثلوج ؟ أليلاً كنت ايام الربيع ام محباً اضناه البعاد فباء يصعد بالتهنيد أنفاسه
 على وجه حبيته الطبيعة لينبها من رقادها ؟ أميتاً كنت ايام الصيف ام هاجعاً في
 قلوب الاثمار وبين جفنت الكروم وعلى ييادر القش ؟

انت تحمل من أزقة المدينة انفاس اللعل ، ومن الروابي ارواح الزهور .
 وهكذا تفعل النفوس الكبيرة التي تحمل اوجاع الحياة بسكينة ، وبسكينة
 تلتقي بافراحها

انت تهمس في اذن الورد اسراراً غريبة تفهم مفادها فتضطرب تارة ،
 وطوراً تبسم

انت تبطل . هنا وتتسارع هناك وتتراكض هنالك ، ولكنك لا تقف ابداً .
 وهكذا تفعل فكرة الانسان التي تحيا بالحركة وتموت بالسبات

انت تكتب على وجه البحيرة اشعاراً ثم تحوها ، وهكذا يفعل الشعراء
 المترددون

من الجنوب تجي . حاراً كاللحبة ، ومن الشمال تأتي بارداً كاللوت ، ومن
 المشرق لطيفاً كالمس الارواح ، ومن المغرب تندفق شديداً كالغضا . أم تقب
 انت كالدهر ، ام انت رسول الجهات تبلغ الينا ما تتمنك عليه ؟

تمر غصوباً في الصحاري فتدوس القوفل بقساوة ثم تلجدها بلحف الزوال .
 فهل انت انت ذلك السيل الحني المتوج من شعة الفجر بين اوراق الغصون ،
 المنسل كالاحلام في منعطفات الاودية حيث تتأيل الزهور شغفاً بك وتتخاصر
 الاعشاب سكرًا من انفاسك ؟

تشور ظلوماً في البحار فتحرك ساكن اعماقها ، حتى اذا ازبدت حقاً عليك
 فتحت فاهها لجّة ولقمته من السفن والارواح لقمّة مرة . فهل انت انت ذلك
 المحب المتلاعب حنوً بغدائر الاطفال المتراكضين حول المنازل ؟

الى اين تتسارع بارواحنا وتنهذاتنا وانفاسنا ؟ الى اين تحمل رسوم ابتساماتنا -
وماذا تفعل بشملات قلوبنا المتطايرة اهل تذهب بها الى ما وراء الشفق - الى
ما وراء هذه الحياة . ام تجرُّها فريسة الى المغاور البعيدة والكهوف المخيفة ،
وهناك تقذفها ميمناً وشالاً حتى تضحل وتختفي ؟
في سكينة الليل تبيح لك القلوب اسرارها . وعند الفجر تهيك العيون
اهتزازات اجفانها . فهل انت ذاكر ما شعرت به القلوب وما رأتها العيون ؟
بين جنحيك يستودع الفقير صدى انسحاقه ، واليتيم حرقته ، والحزينة
تأوهاتنا . وطبي اثوابك يضع الغريب حنيته ، والمتروك لهفته ، والساقطة عويل
نفسها . فهل انت حافظ لهؤلاء الصغار ودائعهم . أم انت كهذه الارض لا نودعها
شيئاً الا تحولها الى جسمها ؟
أسمع انت هذا النداء وهذا العويل ، وهذا الضجيج وهذا البكاء ، أم
انت كالاقوياء . من البشر تمتد اليهم الاكف فلا يلتفتون ، وتتصاعد نحوهم
الاصوات فلا يسمعون ؟
أسمع انت يا حياة للمسامع ؟

ايتها الارض

« من مقالة له ايضاً »

ما اجلك ايتها الارض وما ابهاك
ما أتم امتثالك للنور وانيل خضوعك للشمس
ما اظرفك متشحة بالظل وما املح وجهك مقنماً بالدجي
ما أعذب اغاني فجرك وما اهل تهايل مسائك
ما اكلك ايتها الارض وما اسناك
لقد سرت في سهرلك ، وصعدت على جبالك ، وهبطت الى اوديتك ،
وتسلقت صخورك ، ودخلت كهوفك ، فعرفت حلمك في السهل ، وانفتك على

الجبل ، وهدوءك في الوادي ، وعزمك في الصخر ، وتكتسك في الكهف ،
فانت أنت المنبسطة بقوتها ، المتعالية بتواضعها ، المنخفضة بطولها ، اللينة بصلابتها
الواضحة بإسرارها ومكنوناتها

لقد ركبت بحارك وخضت انهارك ، وتتبع جداولك فسمعت الأبدية
تتكلم بك وحزرك ، والدهور تترنم بين هضابك وحزونك ، والحياة تتأجج
الحياة في شعبك ومنحدراتك ، فانت انت لسان الابدية وشفاها ، وأوتار
الدهور واصابعها ، وفكرة الحياة وبيانها

لقد ايقظني ربيعك وسيرني الى غاباتك حيث تتصاعد نفاسك بخوراً .
وأجلسني صيفك في حقولك حيث عقدت الازهار والثمار أكلّة على هام الاشجار .
وأوقفتني خريفك في كرومك حيث يسيل دمك خمرًا . وقادني شتاك الى
مضجك حيث يتناثر طهرك ثلجاً ، فأنت انت العطرة بربيعها الجوادة بصيفها
الفياضة بجريها النقية بشتائها

في الليلة الصافية قد فتحت نوافذ نفسي وابوابها وخرجت الى
مكبلاً بقيود انانيتي فألفيتك شاخصة بالكواكب وهي تبسم لك ، فترعت عني
قيودي واتعالي وعلمت ان منزل النفس قضاؤك ، ورغائبها في رعائبك ، وسلامتها
في سلامتك ، وسعادتها في العبار الذهبي الذي تنثره النجوم على جسدي
في الليلة المبطنة بالغيوم ، وقد ملأت غفلي وجودي خرجت انيث فوجدتك
جبارة هائلة مسلحة بالعاصفة ، تحارين ماضيك بحضرك ، وبصرعين قديمتك
بجديدك ، وتعاثرين ضيلعك بضليعك . فعلمت ان نظام البشر نظامك ، وناموسهم
فاموسك ، وستهم سنتك ، وان من لا يهصر بارياحه ما يبس من اغصانه يموت
مللاً ، ومن لا يترق بثوراته ما يلي من اوراقه يقنى خولاً ، ومن لا يكفن
بالنسيان مات من ماضيه كان هو كفنًا لماضي الماضي

ما اكرمك ايها الارض وما اطول أناتك

ما اشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم ، الضائعين
 بين ما بلغوا اليه وما قصرُوا عنه
 نحن نضح وانت تضحكين
 نحن نذنب وانت تكفّرين
 نحن نجدف وانت تباركين
 نحن ننجس وانت تقديسين
 نحن نهجع ولا نلهم وانت تحلمين في سهرك السرمدي
 نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وانت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم
 نحن نزرع راحاتك^(١) العظام والجحيم وانت تستبئينها حوراً وصفصافاً
 نحن نستودعك الحيف وانت تملأين بيادنا بالاغمار ومعاصرتنا بالعناقيد
 نحن نصنع وجهك بالدم وانت تغسلين وجوهنا بالكور
 نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والتذائف وانت تتناولين عناصرنا
 وتكونين منها الودود والزناجب
 ما اوسع صبرك ايتها الارض وما اكثر انعطافك
 ما انت ايتها الارض ومن انت ؟
 أطفلة انت في حضن الفضاء ، ام عجوز ترقب الايام والليالي وقد شبت من
 حكمة الليالي والايام
 ما أنت ايتها الارض ومن انت ؟
 أنت الجبال في عيني ، والشوق في قلبي ، والخلود في روحي
 أنت انا ايتها الارض فلو لم اكن لما كنت



فهرس الكتاب

صفحة	
٢	مقدمة الكتاب
٣	الباب الاول في العلم والادب
٢٨	= الثاني في الفضائل والنقائص
٨٨	= الثالث في الحكم والمواعظ والنصائح
٩٧	= الرابع في اللطائف
١١٧	= الخامس في الحكايات والنوادر
١٥٣	= السادس في الشعر الوصفي والقصصي
١٧٤	= السابع في الفخر والحماسة
١٨٢	= الثامن في الحكم
١٩٠	= التاسع في الشوق والفراق
١٩٥	= العاشر في الشكوى والعتاب والاستعطاف
٢١٤	= الحادي عشر في المدح والتهنئة
٢٢٦	= الثاني عشر في التعازي والمرائي
٢٣٩	= الثالث عشر في اللغة
٢٤٩	= الرابع عشر في المقالات
==	كلام في البصر لاشيخ ابراهيم اليازجي
٢٥٠	مجاورة النبات « له ايضاً »

الجنون فنون	١٥٦
الكوخ والقصر	٢٦٠
الكأس الاولى	٢٦٢
أهنا. أم عزاء « له ايضاً »	٢٦٥
زيد وعمرو « له ايضاً »	٢٦٦
العصامي خير من العظامي للهوري بطرس البستاني	٢٦٩
التسامح والمخالقة « له ايضاً »	٢٧٣
شرف المحراث « له ايضاً »	٢٧٦
المالك بصناعاتها لأمين البستاني	٢٨٠
الامم في معاملاتها « له ايضاً »	٢٨٢
دير القمر بقلم بطرس البستاني صاحب البيان	٢٨٤
الانشاء بقلم الشيخ خليل اليازجي	٢٨٧
احكام الترجمة لخرجي شاهين عطيه	٢٩٢
من خطاب الى السوريين في اميركا لداود افندي بر كات	٢٩٧
اللغة والتوسع في الاستعمال من مقالة للشيخ محي الدين الحياط	٢٩٩
اللغة العربية واللغات الاوربية لجر ضوء ط	٣٠١
النضال القديم بين الشرق والغرب بقلم انيس الحوري المقدسي	٣٠٤
الاصطياف ليوسف غصوب	٣١١
جمال الطبيعة بقلم كرم البستاني	٣١٣
ايها الريح لجبران خليل جبران	٣١٤
آية الارض « له ايضاً »	٣١٦

